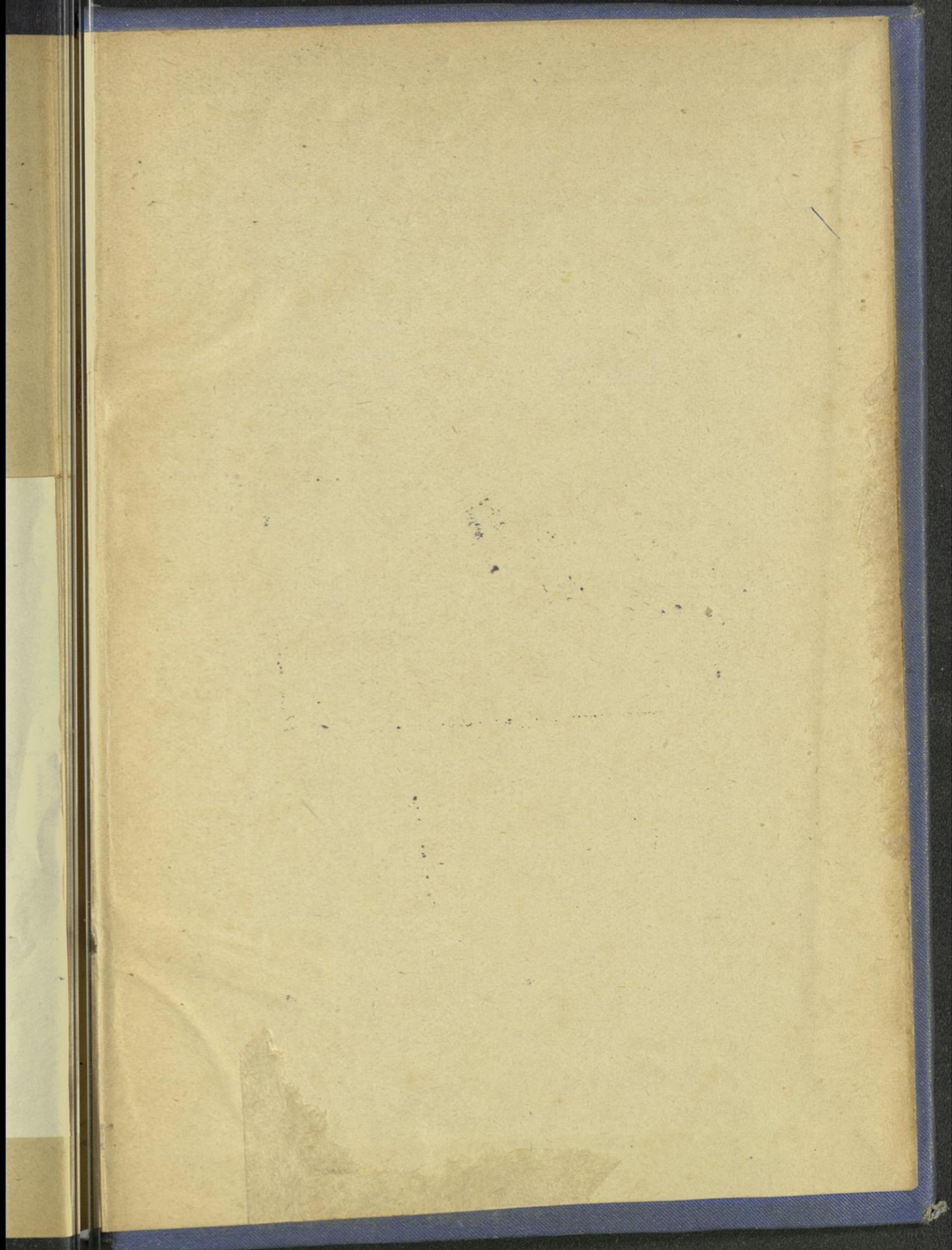


23
P2
V.1



232.9 : P21 h A v.1 C1

پاپیسی - جیوانی

حیاة المسیح ترجمة الارشمند بیت انطونیوس بشیر

TAN 4

232.9

P21hA

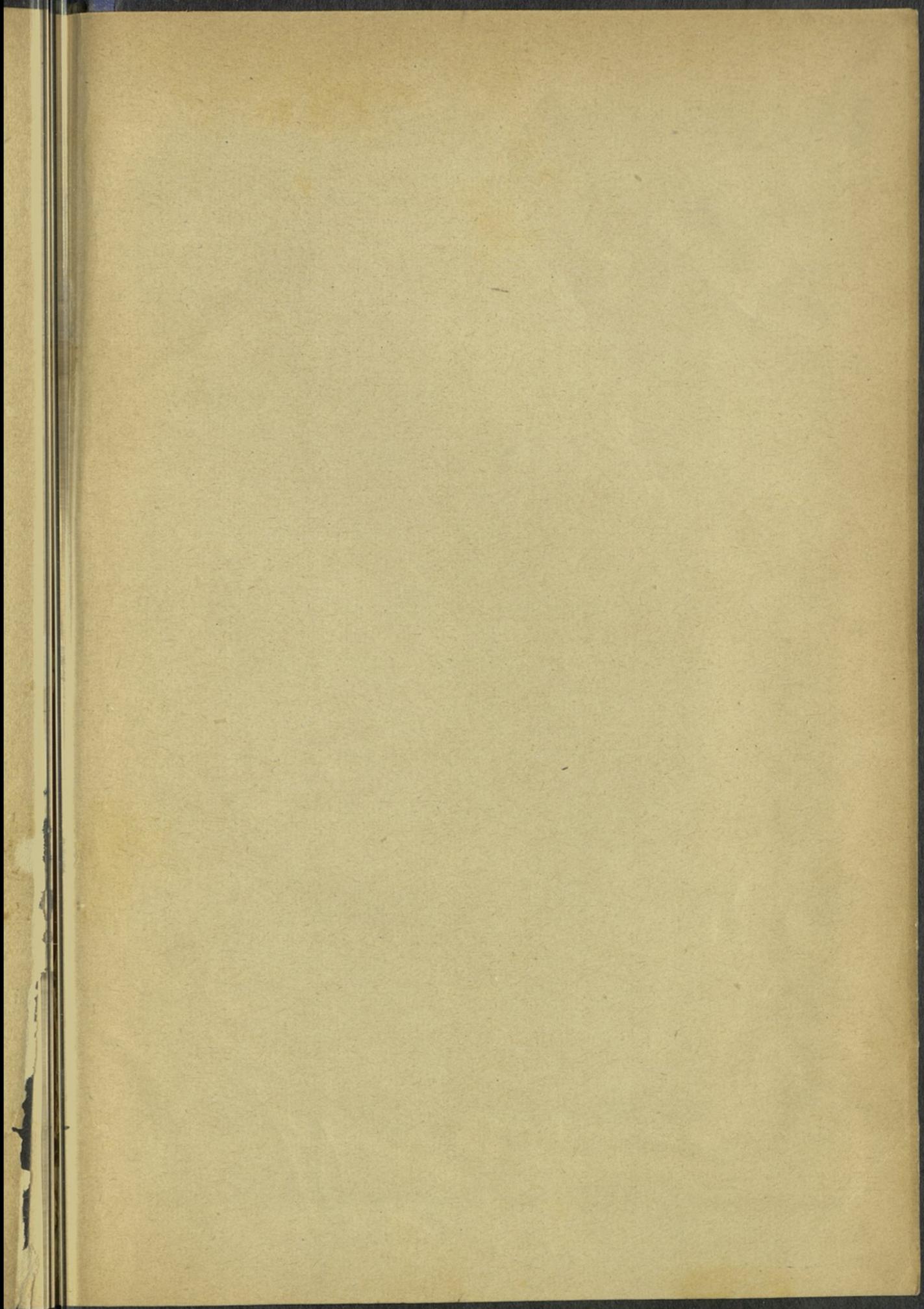
v.1 c.1
M 10 54

JAFET LIB.

29 JUL 1991

JAFET LIB.

15 AUG 1991



الى المؤلفين واصحاب المجلات والجرائد العربية في كل مكان

نلقت انتظار الرصفاء الكرام اصحاب المؤلفات
العصيرية والصحف العربية الزاهرة الى عنواننا الجديد الدائم
كما ادناه راجين ممن يبادلنا منهم ان يوصلنا بطبعوعاته
الجديدة ونحن بكل سرور نوصله بطبعوعاتنا وباجراء
الخالدات تبعاً ونؤمل من كل مؤلف ان يرسل اليانا كتبه
الجديدة والقديمة لندرسها ونفرد لتقدير ظها فصلاً خاصاً في
آخر كل مجلد من الخالدات ان شاء الله
عنواننا دائمًا : **الخالدات**

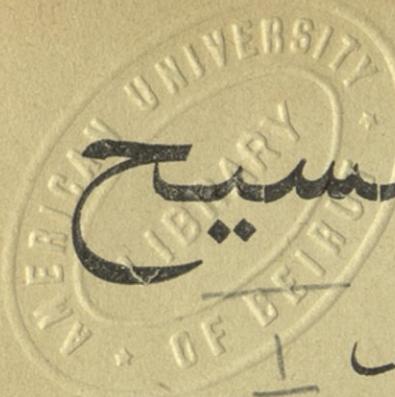
Rt. Rev. Antony Bashir
1201 First East Street
Vicksburg Miss.
U. S. A.

مطبوعات الارشمندرية انطونيوس بشير

- ١ - الحياة البسيطة لواغانار
- ٢ - الرجل الذي لا يعرفه احد لبرتون
- ٣ - اعتراف تولستوي
- ٤ - حياة المسيح لباليبي - جزء اول
- ٥ - حياة المسيح « - جزء ثان
- ٦ - المجنون لجبران
- ٧ - « السابق
- ٨ - « النبي
- ٩ - رمل وزبد «
- ١٠ - كلامات جبران «
- ١١ - ابن الانسان « (معد للطبع)
- ١٢ - دروس في الكنيسة الارثوذك司ية انكلزي
- ١٣ - التعليم المسيحي الارثوذكسي «
- ١٤ - اقرأ وفكّر
- ١٥ - مراقي النجاح (تحت الطبع)
- ١٦ - اليوم وغدا لبرزابين (حب الطبع)
- ١٧ - ثلاثة مفكرين في الدين (تحت الطبع)
- ١٨ - الكتاب الذي لا يعرفه احد «
- ١٩ - ديانة تولستوي «
- ٢٠ - أخيلي تولستوي «
- ٢١ - السنة الاولى من مجلة الحالات
- ٢٢ - لماذا أنا مسيحي لكرابين

232.9
P21hA
V.1
CIL

حیات المیسیح



الجزء الاول



بقلم الفیلسوف الایطالي الشهیر

میوفانی بایینی

ترجمه عن الانگلیزیة

ادر سخندریت انطونیوس بسر

وطبع على نفقة مجلة الخالدات

هذا الجزء هو المجلد الثالث من السنة الثانية للخالدات

ویلیه الجزء الثاني

عن هذا الكتاب لغير مشترکي الخالدات دولار ونصف في اميركا
ما عدا اجرة البريد — وثمنه للمشتريين دولار في اميركا و ٢٠ فرشاً
مصرياً في الشرق خالص اجرة البريد 38434

مطبعة العرب للبستانی — الطبعة الأولى —
الطبعة الأولى —

PRINTED IN EGYPT

اهداء الكتاب

إلى الشبيبة الناطقة بالضاد في الشرق والغرب

١٩٣٠

اللهم يا أخوتي شبان الشرق العربي الحبوب ، المتفرقين
في هذه البلاد النائية والمتخلفين في المواطن العزيزة - اتم
الذين أحبكم يسوع وقام القداسة بعميام طهارة قلوبكم
عندما قال : « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد لن تدخلوا
ملائكة السماوات » اللهم يا إزهار بلادي وكل آمالها من
الحياة ، اللهم اهدى هذا الكتاب الذي يصف حياة المحرر
الاكبر ورجل الإنسانية الواحد ، الذي أحبكم ويحبكم
وسيحبكم إلى الأبد

فاجعلوا حياتهم نبراساً تستذيرون بنوره لتبلغوا ميناء
السلام السعيد وتهضموا بوطنكم إلى أوج الراحة وال عمران
والعظمة .

أخوك الحقير

الدكتور سعيد بن نظريوس بسيم

أميركا الشمالية - ١٩٢٩

بيان وشكر

قد ترجمت هذا الكتاب منذ خمسة أعوام أجابة لاقتراح
حضرت الاستاذ العالم السيد نعوم مكرزل صاحب جريدة المدى الغراء
في مدينة نيويورك ليطبع في مطبعة المدى الزاهرة . وقد طبع
الاستاذ مكرزل ، الشديد الغيرة على كل خالد من الادب ، القسم
الاكبر من هذا الكتاب ولكن الحريق الذي أصاب مطبعته منذ
ثلاثة أعوام ذهب بالمطبوع من الكتاب قبل ان يتجلد ويعرض للبيع .

ولما كانت أشغال الاستاذ الكثيرة قد حالت دون طبع هذا
السفر الخالد مرة ثانية لذلك رأيت ان اقوم اليوم بطبعه وجعله جزءين
من الخالدات التي وقفت صفحاتها منذ بدأة سنتها الثانية على نشر
حالات الادب الحديثة والقديمة في لغات الغربيين وليس بينها ما هو
احق بالنشر من هذا السفر .

وانني شاكر للأستاذ العالم والصديق الأديب السيد نعوم غيرته
اذ كر فضله في كل حال وبكل سرور انشر الكلمة التي تلطف

بكتابتها في صدر هذا الكتاب مع الفصل القيم الذي كتبه قدس الاب
العالم الخوري منصور اسطفان مؤملا الا يضن علينا الاستاذ المحبوب
بالفصل الذي وعد ان يعده ليكون «مؤخرة» للكتاب لا «مقدمة»
لنضيفه الى الجزء الثاني ان شاء الله .

ادر سخندر بيت انطونيوس بير

المتمرد المصلاح والابن الشاطر

ان استطاعت وصف الرعد بهزيمه ، والزلزال باختلاجه ، والاتي[ّ]
بحرفه ، والاعصار بتدميره واجتتاحه ، فانت قادر على وصف جيوفني
پاپيني الذي كان تارة كفوزيفوس بلاده يتقيأ الحمم وطوراً كالنسيم
المهينم فيه الانعاش والموسيقى

رجل متمرد - ثائر - خارج على الرث[ّ] من التقاليد في طلب
الجديد المقيد - رجل معجب ببولس الرسول وبالقديس اوغسطينوس
اعجابة بالتطور الموصل الى المعرفة ، واي موهوب على معدل تسعين
في المئة لم يكن متطرفاً « يختبر الامور كلها ليتمسك بأفضلها »

لما اقترحت ترجمة « تاريخ المسيح » لجيوفني پاپيني اقترحت
سد فراغ في عالم الناطقين بالضاد ، واستبدال الشحوب بالنضارة ،
فبجي النداء الاشمندرية انطونيوس بشير وكان له في ذلك الجم[ّ]
من الفضل ، لانه لم يائل جهداً في جعل الترجمة مثالاً جميلاً من المعرفة
والمقدرة والتجدد ، الا[ّ] انه عجز عن ان يكون الا[ّ] كوييني والليغوري
وفم الذهب والمعري وابن رشد وابن سيناء وابن المقفع والسمعاني
وافرام السرياني والباحث وبديع الزمان واليازحي وفارس الشدياق في
وقت واحد

هذا جيوفي پاپيني حدو بولس الرسول والقدس اوغسطينوس
او انه تحداها

وقد نفرد فصلاً نصيفه الى الكتاب يكون «مؤخرة» لا
«مقدمة» فمن شاء ان يسمع الرعد قاصفاً ، والصراحة عارية ، والبلاغة
ماهلة ، والاعيان والرجاء والمحبة على عروشمَا ، ومن كان جاءعاً الى
المعرفة فليقرأ هذا الكتاب مسيحيأً كان ام غير مسيحي لأن
الجواهر لا تختص بفئة دون أخرى

نعم مكرزل

نيويورك .

جيوفاني بابيدني

ما أنت ميتة ولكن حارة : يا نفس !!

بعلم الاب الاديب صاحب الامضاء

« في احد من آhad آب الخاتمة ، نحو الساعة الرابعة ، كنت اتنزه
وحدي كعادتي حزيناً كثيراً ، في اطول شارع من شوارع فلورنسا
واعرضها ، وفي يدي جريدة — شريتها ، والله اعلم باي ثمن من
الهوان — وكنت امشي رأسي محني ، تعباً ، مجدهداً ، سئماً ،
مغضباً ، ناقماً من الحر وعلى البشر . . . وتلك ساعة ينهض فيها
الناس من قيلولتهم بلداء ، وينحرجون من منازلهم وفيهم خادع الامل
ان يجدوا في الخارج نسمة هواء وطراوة المساء . . . وازدحمت
الجموع وتراسقت على الارصفة ، وهم سائرون يتضاحكون ويتبادلون
التحايا . . .

« وإذا أنا على غير ما اهوى . ما كنت اعرف احداً وكنت
بغض كل احد . كنت قبيح الهندام ، وكنت دميم الصورة ،
وكنت اصفر اللون وفي ملامحي قساوة النفور وعدم الرضى . وكنت
أشعر ان لا احد يحبني ، ولا احد يكفيه ان يحبني . ومن نظر الي
احتقرني بكل قواه وسار وتعذاني ويلتفت بعضهم ازوراً الى المتود

الذى سر وجاز ، ويستهزئون بي ولا سيما الصبايا الصباح الحيا بملابسهن
الحمراء والبيضاء ، ووجوههن السمراء ، واسنانهن اللامعة ، فقد كنّ
قاسيات على وكثيراً ما كنت اسمع وراء ظهري قهقههن الرنانة —
لعلهن ان لم يكن مني ضاحكات ، ولكنني كنت في تلك الساعة
متأكداً وكانت أتألم ... وكانوا كلهم في غبطة وهناء .

« حين ذاك وعلى الفور كنت اثور واحس كأن في نسي
غليان دم وفي كل اعضائي اضطراها . واصبح : لا ، لا ، لن
يكون هذا . اني انا ايضاً رجل . واني انا ايضاً اريد ان اكون عظيماً
وسعيداً ! ومن تظنون انكم انت ايها الرجال الحقى والنساء المتنوقات
الذين تمررون بقربى بمثل هذا التفخيم ؟ سترون ماذا اعمل انا .
اريد ان اكون اعظم منكم ومنكم اجمعين وفوقكم اجمعين !

« انا صغير ، انا دميم ، انا فقير ، ولكن لي نفساً وهذه النفس
ستعجب عجائب فتلتقطون الي جميعكم وتستمعون . اذ ذاك اعمل شيئاً
وتظلون لا شيء . سأعمل واخلق واصبح اكبر من اكبركم وتظلون
تاكلون وتشربون وتتنزهون كالليوم ... ومتى مررت ينظر الي
الجميع . النساء الجميلات تكون لهن الي نظرة ، والفتيات الضاحكات
يسخنعنى ويأخذون يدي راجفات ، والرجال الرصناه يرفعون
قبعاتهم عاليات جداً فوق رؤوسهم عند ما اجوز انا ، انا ذاتي ، انا
الرجل العظيم ، انا النابغة ، انا البطل ... »

زفة من زفات النفوس الطاعة الطاحة الى اعلى ذرى العلياء
حتى قمة الالوهية ! وصورة مصغرة جداً عن منازع قلبه النزاع الى امتلاك
كل شيء والسلط على كل شيء صورها في كتاب له صدر سنة
١٩١٢ عنوانه « رجل متناه » يصف مطامع رجل غير متناهية .
وكان قد اجتاز عتبة العقد الثالث من سنينه وولج الرابع . اذن يوم كان
في ابان فوران الطموح وغليان التشوّق الى مرق المجد ومثوى الخلود ،
او بالاحرى يوم كان يرى نفسه تفيق من غيبوبة الاحلام والاوہام
وتدرج من اسماى اطواب الخيال الى حضيض الحقيقة المرة
ومذلة الهوان .

كانت هذه الافكار — اوہام العظمة — تساوره وهو حدث .
فحديثه اذ ذاك يرجع به الى خمس عشرة سنة غابرة فقد حدث نفسه هذا
المحدث وهو في نحو السادسة او الخامسة عشرة . قوله كلامُني مثل
هذه الصدد اذ كان في الثامنة او التاسعة اذ قال :-

« وعثرت يوماً على قصة تتوبيخ بترارك في الكابيتول فقرأتها
وقرأتها وانا اقول في نفسي :- « وانا ايضاً ! وانا ايضاً ! » ولما اعلم حق
علم لماذا وضع هذا الاكليل على رأس هذا الشاعر المتضخم . «
ولا غرو ان يزداد هذا الطموح به يوماً في يوماً لانه يقول :- ولدت
وفي مرض العظمة . » وكل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر . والقول في

يا پيني صحيح !

ومعظم الناس بلوغاً إلى مثل هذا الغرض إنما يتسلون بالمال
وپاپيني منه معدم فقد قال : « كنت في ذلك الزمان فقيراً
فقد بغشت دائمًا أولئك الذين ولدوا بين الخزائن الملاينة - أولئك
الذين امكنتهم أن يشتروا دائمًا كل ما يشتهون وهمني قليلاً
أن أخرج لابساً ثياب أبي العقيقة رثة بالية مهلهلة مبقعة . . . »

ولد في بيت فقير واعوزه الكثير ولا سيما إلى ما يسد جوع
نفسه قبل جوع جوفه . فقد كان فيه جوع كلبٌ وظمة لا ينفع إلى
الكتب والجرائد والمجلات . وهذا هو المال ، غير الرنان ،
الذي اراده وسيلة إلى بلوغ الوطر . جد به إلى مطالعة كل شيء
ومعرفة كل شيء وجد لا يدانى .

ولما كانت موارد المال من امه وابيه نزرة يسيرة جداً تقاد
للامتناد - ولا سيما اذا قورنت بما يصرفه الاحداث في هذه البلاد
على الكماليات لا على الفضوريات - كان يقتصر على نفسه من
ثمن قوته يشتري به جريدة او مجلة يسد بها جوع نفسه ، وهي جائعة
لا تشبع ، او ورقاً وحبراً ينشر عليها ما اختزن في رأسه .

هام بالمطالعة وهو صبيٌّ ، ولكن ليس على عادة الصبيان للتسلية
بحكاية والتلهي باضحكوكه ، بل سعيًا وراء العلم واكتناز المعرف .
لكنه في نهره الروحي ما عف عن كتاب ذاته يده . سما حوى
هذا الكتاب او ترافقاً . وقد وجد في سلة ابيه من المئة كتاباً ونحوها

ما رسم في ذهنه الطري او هاماً واكاذيب . . . وما وقف عند حد القراءة السطحية ، بل كما قال : « كنت احلم وافكر واعيد التفكير وابني واحاول ان احرز . وكانت جميع هذه الكتب مقدسة احفل كل الحفول بكل ما تقول . ما كنت اميز التاريخ من الخرافات والحقيقة من الرواية . وكانت احرف المطبعة لعني شهادات على الحقيقة معصومة ! »

وكم هي للاكثرين في كل زمان ومكان !

قضى السنين يلتهم الكتب التهاماً ويقرأها على غير انتظام . كتباً ما كانت لتبني نفسه بل لتهدمها هدماً — وقد عثر عليها في بيت أبيه كما قدمنا . حكى قال : — وفي جملة هذه الكتب خمسة مجلدات أو ستة خضراء شريرة ، اخلاط فولتيرية ، يقوضون فيها الله واللاهوت المقدس ويتمكرون على أحاديث التوراة وكهنة الكثلكة . . . وقد عرفت فيما بعد كم كانت هذه الكتب الكفرية شديدة المضرة علي غليظة . لكن لها علي فضلا — حسن الامر او قبح — اني نشأت رجلا ، عنده الله لم يكن قط موجوداً .» — « فأنا ابن أب كافر عُمِّدت خفية وكبرت لم أسمع موعظة ولم أحضر قداساً . فماً وقع لي قط ما يسمونه « أذمة في النفس » أو « ليالي جُفروا » أو « اكتشاف موت الاله » فان الله عندي لم يمت بقط لانه لم يوجد قط في نفسي . . . »

هذا تأثير الكتب . . . التي قرأ وهذه ثمرتها الفجة فيه !

* * *

لكن هذه الكتب القليلة لم تكن لتنفع غليل نفسه وتطفي
أوار قلبه الظماء إلى كل شيء !

وأخيراً . . . بعد طول اصطبار وانتظار واستخدام حيل - وهو
لم يبلغ الرابعة عشرة - دخل مكتبة فلورنس الكبرى وفيها مليون
كتاب ! انه ليوم انتصار عظيم ويوم طرب وسرور على قلب هذا
الفتى الذي لم يذق يوماً طعم السرور ! فهو أخذ التذمر والمرارة من
الدهر ورجال الدهر ولما يفتح عليه بغير العمر !

ابن ثلاثة عشر ربيعاً دخل قاعة القراءة في المكتبة العظمى
يتأبط كتاباً عالياً - كتاب كنستريني في دروين - ووجهها وفيه
عاطفة احترام ما شعر بشيء لها حتى في الكنيسة عندما كان حدثاً.
وجلس على اول مقعد خال وقرأ ساعة ولم يفقه ما يقرأ لشدة ما داخله
من اضطراب وسرور واعجاب !

وعاد التردد إليها وهو حائر في مطالب النفس يريد عرفان كل
شيء ولا يدري المسالك ومن اي الابواب يبدأ . واستعان بالقواميس
ودوائر المعارف يتصفحها ويتفحصها بحثاً . وخلبت له دوائر المعارف
 فهي حلمه الاسمي وغرضه الاعلى بوهمه انها تستوعب كل فن وعلم

وهذا مطلبه قائلاً : كل الكتب جداول وروافد تجري الى هذا البحر الخصم !

قال : - وجزت هذا الخصم وغصت في محيط العلم وانا كما
همت ان اشبع عدت وبي جوع جديد وظماً جديداً لا ينفع . «
وعلى كثرة ما قلب وتنقب في دوائر المعارف - ورآها ناقصة غير
واافية برام - حسن له ان يضع دائرة ! وببدأ فيها وهو ابن
خمسة عشر وكتب من صفحاتها مئتين وترزيد ثم مل وفل عزمه من
هول الشقة وطول الشقة وعزم ما حبر ليه جرها الى الفلسفة . قال :-
« والله اعلم في اي كتاب وبيئة قد طلبتها ! »

وما عتم ان تركها ليختار علم التاريخ من العام شاملًا كل الاذمان
وكل الاقوام وكل البلدان . »

ووقع في دروسه على كتاب « كنتو » في التاريخ العام وكان يعجب
به وقد ساعده على كشف النقاب عن عدة قضايا عالمية عويصة ،
ففكر في تصنيف اوسع منه واصدق واكمل واوثق . « ان كنتو كان
كاثوليكيًا وكان محافظًا اما تاريخي فيكون كفريًا وثورياً لاني كنت
في هذا العهد كأبي كافراً وجهمورياً »

وبدأه بتاريخ مصر والمصريين حتى الاسكندريين وهم ان
يتناول تاريخ الصينيين اذ بدأ له ان تاريخه العام لم يكن له رأس . لأن
رأس التاريخ بدء الخليقة « وما كنت - كما قال - افكر في ان

ارجع ، كما فعل كننتو ، الى ایام العبرانيين السبعة والى « كوني فكانت » والى الفردوس الارضي . كان ينبغي لي ان احدث عن بدء الكون ليس اخذآ باقوال موسى بل تبعاً للعلم . والعلم اذ ذاك عندي ممثل بكميل فلامريون وشارل درون . ! »

وحوله هذا الخاطر عن تاريخه العام الى بدء الخليقة — الى التوراة . فقرأ كل ما كتب في هذا الباب . قال « وخطر لي خاطر قلت : كل الكتب المعروفة في شروح التوراة وتفسيرها قد وضعها كهنة واساقفة ولاهوتيون ومؤمنون ومتعبدون . . . اذن ينقص — وكنت احب ان ينقص — شرح على التوراة بقلم ملحد كافر حر غير متحيز . . . وهذا الكتاب لا اثر له ولا وجود . فانا الذي اصنفه . »

وشرع يجد ويبحث . . . فدرس العبرانية مبادئها وبدأ من التوراة في الآية الاولى « في البدء خلق الله السموات والارض » فاذا هو في اعو奇妙 المسائل واصعب المشاكل ! وكان يحسبها من المحنات الهينات . قال :- « وكتبت وكتبتك وكتبتك وما كنت انتهي الى خلاص من هذه المتعاب . واعوزني ان استنجد غيري . وكان قائماً في وهبي ان الثقات من العلماء هم الذين يغالطون الكهنة ويويدون العقل . . . ! »

وكتب على الآية الاولى مئتي صفحة مرصوفة ! وانتقل الى

الثانية وهجرها ولم ينل منها مأرًا حتى انتهى إلى الثالثة : « وقال الله ليكن نور فكان نور »

« كيّات قد أوقعت الهيبة والجلال حتى في قلب الخطيب لونجـن فضلاً عن كونه وثنـاً . أما أنا ، تلمـيد بالـوـفتـير ، فـلم تـلقـ على اقل اعتـبار بل اوـحـتـ ضـحـكاً . ضـحـكاً من الله الـذـي خـلـقـ النـورـ قبل ان يـخـلـقـ الشـمـسـ ! »

ما اخفـ اـحـلامـ النـاسـ — ولو عـلـمـاءـ اـعـلـاماـ — متـى سـخـرواـ ماـ يـجـهـلـونـ ! وقد قال شـاعـرـ حـكـيمـ ٠٠٠٠ عـرـفـتـ شـيـئـاـ وقد فـاتـتـكـ اـشـيـاءـ !
وـخـتـمـ عـلـىـ كـتـابـهـ وـلـماـ يـنـتـهـيـ إـلـىـ الـآـيـةـ الـرـابـعـةـ مـنـ الـكـتـابـ !
فـصـورـ فيـ الـهـوـاءـ مـاـ اـرـتـفـعـتـ وـاستـقـامـتـ وـأـمـالـ فيـ الـفـضـاءـ سـابـحـاتـ
ماـ اـسـتـقـرـتـ وـاسـتـراـحتـ !

ولـماـ ضـبـوـلتـ نـفـسـهـ عـنـ نـيلـ ماـ طـلـبـتـ وـقـصـرـتـ يـدـهـ عـنـ كـيدـ
منـ جـهـلـتـ قـالـ : « وـرـأـيـتـ اـنـ اـعـودـ إـلـىـ الـخـطـطـ الـقـديـمةـ : هـجـومـ
وـطـعـانـ . وـاهـدـفـ الـدـيـنـ ! وـرـسـمـ هيـكـلاًـ لـكـتـابـ ضـخـمـ ضـدـ الـدـيـنـ
فيـهـ تـهـكـمـ وـهـنـءـ كـتـبـ بـعـضـ فـصـولـهـ ثـمـ طـواـهـ وـهـكـذاـ دـوـالـيـكـ .
لـاـ يـسـتـقـرـ عـلـىـ حـالـ مـنـ الـقـلـقـ . »

* * *

خـيـبةـ بـلـ خـيـاتـ هـدـتـ مـنـ عـزـيـةـ يـاـ يـاـيـيـ وـهـوـ فيـ اـوـلـ درـجـاتـ الـحـيـاةـ

وتـيه في قفار الخيال ويبـاب الاوهام فـما وجد لداء نفسه دـواء شـافيًّا ولم يـلق لـقلق قـلـبه مـسكنـاً هـادـئـا فـعاد إـلى نـفـسـه وـقـد تـولـد فـيـها تـشـاؤـمـ يـائـسـ وـانـطـوىـ فـيـها كـاـنـطـوـتـ القـلـعـةـ عـلـىـ ذـاتـهـاـ وـلـيـسـ فـيـهاـ مـنـافـذـ .

وـثـابـ إـلـيـهـ الـعـقـلـ فـتـسـأـلـ عـنـ الـحـيـاـةـ وـأـسـبـابـهـ وـاغـرـاضـهـ وـلمـ يـسمـعـ جـوـابـاـ بلـ سـمعـ هـذـاـ السـؤـالـ الـذـيـ لاـ يـجـدـيـ ،ـ المـترـدـدـ عـلـىـ لـسـانـ كـلـ سـؤـومـ مـتـضـجـرـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـمـكـانـ :ـ «ـ وـهـذـهـ الـحـيـاـةـ اـتـسـتـحـقـ أـنـ تـحـيـاـ؟ـ قـالـ وـبـمـ أـحـيـبـ .ـ كـانـتـ الـحـيـاـةـ تـعـدـنـيـ قـلـيلـاـ وـلـاـ تـعـطـيـنـيـ شـيـئـاـ .ـ وـارـتـمـيـتـ فـيـ حـضـنـ هـذـهـ الـحـيـاـةـ التـعـسـةـ الشـقـيـقـةـ فـمـاـ لـبـثـ بـلـ اـنـكـشـفـتـ لـيـ عـنـ الفـرـاغـ وـالـأـلـمـ الـكـمـينـ .ـ »

هـذـاـ التـشـاؤـمـ الـقـاتـلـ مـكـنـهـ فـيـهـ ،ـ إـلـىـ حـينـ شـيـنـهـورـ بـفـلـسـفـةـ الـقـاتـلـةـ وـقـدـ تـعـدـاهـ إـلـىـ اـقـصـىـ حدـودـ التـطـرـفـ وـلـاـ غـرـوـانـ اـتـقـيـادـ پـاـپـيـنـيـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ إـلـىـ شـيـنـهـورـ حـاـمـلـ لـوـاءـ الشـؤـمـ وـالـتـشـاؤـمـ وـرـاسـمـ الـحـيـاـةـ رـسـوـمـاـ سـوـدـاءـ كـالـحـيـةـ لـاـ يـرـىـ فـيـهاـ خـيرـاـ بـلـ يـرـىـ خـيرـهاـ شـراـ وـصـلـاحـهاـ فـسـادـاـ .ـ لـاـنـ پـاـپـيـنـيـ يـوـمـ قـرـأـ فـلـسـفـةـ الـأـلـمـانـيـ لـمـ يـكـنـ لـهـ فـيـ الدـنـيـاـ مـاـ يـحـلـيـ لـهـ مـرـارـةـ الـحـيـاـةـ .ـ قـفـرـ ،ـ وـعـدـمـ ،ـ وـاـخـفـاقـ ،ـ فـيـ اـثـرـ اـخـفـاقـ فـيـ رـغـائـبـهـ الـعـظـيمـةـ ،ـ وـجـدـ مـوـصـولـ الـأـصـالـ بـالـاسـحـارـ إـلـىـ بـلـوغـ اـمـانـيـهـ وـمـاـ هـوـ بـالـغـ اـمـنـيـهـ فـلـهـذـاـ تـمـسـكـ بـفـلـسـفـةـ شـيـنـهـورـ إـلـىـ اـجـلـ ثـمـ خـبـرـهاـ فـغـرـ بـلـهـاـ وـطـرـحـهاـ وـذـلـكـ بـعـدـ حـينـ •

في ١٩٠٥ ، بعد ما عكف ثلاث سنوات على الفلسفة ولا سيما الالمانية يتفهمها ، اصدر كتابه « غسل الفلسفة » — وهو اول كتاب لپاپيني تناولته المطبع — وقد قال في مقدمته « وهو احدى ثمرات تحريري من اشياء تأملت منها »

وفي مقاله على شينهور عارض رأيه في الالم برأي القديسين في الكنيسة — الكاثوليكية طبعاً ، وپاپيني — ليعلم القراء — لم يكن يومئذ مؤمناً . ولكنـه على كفره المطبق قد كان دائمـاً دائب التطلع دائمـاً التشوـق الى معرفة الاديان وقد قرأـ كثيرـاً من سير القديسين وفقـه . قال : « صحيح ان القديس يتـألم فرحاً بالآلام التي انما هي له خـيور باعتبار الخلاص الابدي » . وقال : « ان القديس يبحث عن الالم بكونـه المـا . فليس زهـده كـزهد شـينهور ، وسـيلة للهـرب من الالم بل هو سـعي وراء الالم » .

* * *

« والقديس يسمـو سـائر الناس لأنـه لا يتـذمـر ولا يـشور لأنـه لا يتـألم . فلو لمـ يتـألم حـقيقة لما كانـ له استـحقـاقـات كـافية قـدـام اللهـالـذـي افـتدـى النـاسـ بـالـمـرـ وـالـعـذـابـ ، بـجـراـحـه وـدـمـه المـسـفوـكـ . انـ شـينـهـور يـريـدـ انـ يـخلـصـ منـ الـاـلـمـ بـالـشـفـقـةـ اـمـاـ القـدـيـسـ فـاـذـاـ اـسـتـعـمـلـ الشـفـقـةـ كـانـتـ ذاتـ اـجـرـ لـاـنـهاـ اـكـثـرـ مـاـ تـكـونـ مـؤـلـمةـ مـوجـعةـ »

عودُهُ إلى پاپيني الفتى

قضى إلى نحو العشرين من حياته وحيداً . ولما نقض عنه دثار
الحدثة هم في اصطفاء الآخرين واصطحاب الأخوان يعطفون عليه .
فقد كان ، ككل بشر إلى عطف الأصحاب في حاجة . إلى يد في
يده ، إلى أحد يسر إليه بكل الأخلاص وفتحة الصدر ، عواطفه
ومنازعه وافكاره التي لا يمكن أن تُسر حتى إلى الآباء والأمهات ، إلى
قريرين يستغله معه ، إلى أكبر منه يتعلم منه ويقوده إلى أعلى منه
يساعده ويفقّهه .

قال : « كنت أترسم الوجوه والقلوب وما كنت أجد في اغلب
الوقات إلا إشفاقاً أو احتقاراً — وابشع منها — هذه الصحابة
الكريمة السهلة المنال ، صاحبة شبان سلبي التربية يسكنون بذراعك
ليحذثوك الحمار ، والحانة ، والدراجة . » وما أكثر رفاق السوء !
ولكنه لم يألفهم !

فقد كان إلى ما هو لذة الروح أميل منه إلى ما هو لذة الجسد .
وان كان قد هوى حيناً مع الهوى فقد نهض واستوى .
قال في جملة ما قاله . . . وقد جزت إلى الحب الحرام والاهواء
الممنوعة ثم إلى الخطبة الجائزة وانتهيت ، أنا أيضاً ، إلى حضن الأفراح
المشروعية أفرح الزوج المقدس . . . »

قال غوثه الألماني : « الانوثة الخالدة ترفعنا إلى السموات ؟ »

ليكن ! وانا لا رغبة لي اليوم البتة ان اشادّ غوته واجادله لكن عليّ
ان اقر من جهتي ان الانوثة الحالدة لم تحملني نحو الاعالي ولا نحو
الاعماق . لا الى فوق ولا الى تحت - ابداً . . . »

وقال : « ولم اطلب من النساء شيئاً لروحي - وهن لم يكن
يستطيعن ان يعطيني شيئاً . وبما اعرف وارى واذكر انهن لم
يعطيني شيئاً . لا تصورا ولا شيئاً من قوة حتى ولا دفعة نحو الاعالي
الالهية التي نزعتم اليها دائمًا روحى الحائرة . . . »

* * *

وبعد بحث توفق الى طالبي علم اكبر منه عمرًا واغزر علمًا فالذى
معهم نوعاً من عصبة ادبية سميت « الثالثة » وما طال حتى افترقوا
لتطرف بدا من پاپيني - وپاپيني في كل شيء متطرف حتى آخر
حدود التطرف . في نقه ورأيه - وامحسى الثالثة . وعرف اخواناً
غيرها وما اختلفوا حتى اختلفوا وتفرقوا وهو انفرد بنفسه وحده يتعمق
في افكاره ظناً منه ان الفكر يخرج به من عالم الكآبة والقلق الى
البهجة والفرح . وقد تأصل في دماغه تصور واحد هو ان يثبت بحجج
لا ترد وبيانات لا تصد ان الحياة شر .

قال : « وبدائي اذ ذاك ان العلم وحده يمكنه ان يُلقي اليَّ
كلمة التأكيد والتثبت » وعكف على الفلسفة وتأه في بواديها وكان ،

كما قال ، يحب النظريات اكثراً من البيانات ويؤثر التصورات على الامتحانات . وقادته مذاهبه الكثيرة الشعاب الى مذهب « التوحيد » عني به « ان عنصراً وحيداً يؤلف الكائنات كلها وانتهى منه الى تتيجته التي شاءها واهماً بقوله : - « انا العالم ! » في سلسلة طرودة غير موصلة الرابط .

وهم ^{تمكّن} منه ردحاً وحل حلاله زماناً الى ان قال : - « وصحوت كثيئاً . ولما كنت معتاداً ان أحسبني كأني قطب العالم تبين لي اني ذهبت ضحية خرقاء لسفسطة كلام »

احب ان يخضع العالم وساكنيه لارادته ويفير ما فيهـ من اخلاق وطبعـ واوـهامـ ولـكـنـ ارادـتهـ الـتيـ ارادـهاـ مـطـلاقـةـ منـ كـلـ قـيدـ قد وقـفتـ سـداـ دونـهاـ اـرادـاتـ مـخـالـفةـ لهاـ وـمـوجـهـةـ ضـدـهاـ قالـ : - وهذا يدلـ علىـ اـنيـ بدـلاـ منـ انـ اـكونـ إـلهـاـ ماـ كـنـتـ الاـ «ـ مـجـدـوـباـ »ـ . وهذا الاقتناعـ جـدـ بهـ الىـ الـبحـثـ عنـ طـرـيقـ آخرـ وـصـولاـ الىـ اللهـ - وهوـ انـ يـضـاعـفـ مـرـمىـ اـرادـتهـ . . . لـكـنهـ فيـ ذـلـكـ الحـينـ ، اـضـاعـ كـلـ يـقـينـ بـالـفـكـرـ وـالـعـقـلـ وـالـفـلـسـفـةـ

قالـ : - وـانتـقامـاـ ليـ منـ هـذـهـ اـخـيـةـ المـرـةـ الخـجلـةـ تحـولـتـ الىـ بـثـ الشـكـوكـ فيـ رـؤـوسـ الـعـتـقـدـينـ ، اـسـكـتـ المـتـهـوـسـينـ وـاسـخـرـ منـ المـتـعـصـبـينـ وـاحـقـرـ الـمـتـشـدـقـينـ . وـكانـ هـذـاـ سـرـورـاـ لـيـ صـرـأـ عـقـيـاـ أـلـيـاـ . وـلـكـنـيـ كـنـتـ بـهـ مـسـرـورـاـ . وـكانـ هـذـاـ ثـأـريـ الـوـحـيدـ !

وبعد هذه الغضبة المتوجهة شرّاً وشراً فكر في مذهب «الأنانية» المستقلة المقطعة عن كل صلة من صلات العائلة وربط الوطنية ورمى عنه آخر لجام من لجم السلوك القويم فكان فوضويًاً أنانياً . فقد اقر : « ما رأيت غاية جديرة بي خارجاً عن نفسي . فقد كنت في عوز الى حرية الغير لاجل حرتي »

وأقطع مع اصحاب له لفوا لففة ، الى الحمر والحسيش والمخازى يتوهمن انهم يشفون ما بانفسهم من علة ومن غليل . ولكن طاش سهمه فتبدل غضباً وحقداً وضغينة على الفلسفة والفلسفه وقد نزاهم وتقويض ما شيدوا من مذاهب . . . ولم ير من وسيلة الى وطره الا « الجريدة » .

* * *

« عند رجل في العشرين كل قد يعم عدو وكل فكرة ريبة وكل كبير الى محكمة حكم . » هذا ما قام في ذهن پاپيني في العشرين . الى التجديد إذن ! وها نحن إذن على الاهبة !

ومعه عصابة من ابناء العشرين ذاهبون مذاهبه ! الى التقويض ، الى التهدم حتى لا يبقى قائم قال وقالوا : هل بقي عوالم لنفتحها وحقائق لنوضجها ؟

وحصون وقلاع لنقوضها باصوات ابواقنا؟
لنهبِطِ الله من اعلى عمائِم السماء والملوك من اعلى قوائم
عروش الثرى
نريد ان نخلع عننا رداء الاديان وثوب الفلسفات وقسان
الاوهام ومعانق الخيال واحدية المنطق وسراويل الآداب ! ٠٠٠٠ «
عاصفة هوجاء في صدور جوفاء !

« ومن هذا الضجيج الصاخب ومن هذه الثورات المهاجمة ومن
هذه الكبراء العجاجة سوف تصدر اربع صفحات او ثمان او ست
عشرة : هي الجريدة الخالدة ! ولسوف تدعى « الشعلة » ولكنها
لم تصدر !

* * *

الجريدة ! حلمه الذهبي . ان خاب في « الشعلة » فما هو في غيرها
خائب . فعقد ، واصحاباً له هم على هواه ومذهبـه ، الخناصر على
تحقيق هذا الحلم واصدوا في سنة ١٩٠٣ مجلة سموها « ليوناردو »
عاشت الى سنة ١٩٠٧ فاستبدلوها في السنة القابلة بمجلة « الصوت »
وما خفت صوتها الصارخ الا سنة ١٩١٦ في ابان الحرب ، لاسباب
مالية فقط ، وكانت لها ضجة وصرير في رؤوس الشبيبة الايطالية
وصولة ونفوذ في صفوفهم هيأت افكارهم الى حومة الوعى ورغبتهم
في اقتحام مشتجر القنا .

إذن . الشهرة التي راودها پاپيني قد انقادت اليه صاغرة سافرة
وفي هذا العمر في منتصف فجر القرن العشرين اذاع پاپيني صوته فدوى
في أنحاء ايطاليا من اقصاها إلى اقصاها وتغلغل منها إلى الآفاق فالتفت
اليه الناس ، كما كان قد تبجح وهو صبي ، وانصتوا يستمعون له
وفيهما المأخذ الاب المشدوه الجنان ، وفيهم المتغيط الناقم الغضبان ،
وفيهما المصفق الطروب الجذلان .

* * *

وهنا ظهرت مواهب عقله الرجيج وبواطن نفسه الطموح وامتاز
في إنشائه الحافي وأسلوبه الحمس وتراثه المتراءكة جلاميد فوق
جلاميد . وعباراته المتزاحمة طوداً إلى طود . فهي نفسه الحياة في
إنشاء الحبي .

وقد اغناتنا عن وصفه كاتباً بما وصف به نفسه على طريقته
المأثررة وصرحته المشهورة فهو في هذا الباب قريع دهره
وحيد عصره .

قال : « . . . وبما ان الوجه هرآة النفس — كما قالت حكمة
الايم — فلن يستغربن أحد ان پاپيني هذا سفاح الفصاحة
ولقيط الصحافة وبرأيا الفن وصلوك الفلسفة وعربض السياسة
وو بش الثقافة . لا يدع فرصة تمر الا اقتحم واندنس في جميع مشاريع

الجَمَاهِيرُ الْفَكْرِيَةُ . . . وَلَا يَغْرِبُ عَنْ بَالِ احَدٍ مِّنَ النَّاسِ أَنْ هَذَا
«الْبَهِيمَةُ» هُوَ أَعْلَظُ جَمِيعِ الْأَوْبَاشِ وَالْعَلْجَانِ الَّذِينَ يَقْتَاتُونَ مِنْ
أَرْضِ إِيطَالِيا . . .

« وَفِي الْوَاقِعِ أَنْ هَذَا الْعِيرُ الْعُورُ كَلِبٌ إِلَى كِتَابَةِ كُلِّ
مَا يَفْكَرُ فِيهِ وَإِلَى قُولِ كُلِّ مَا يَتَصَوَّرُهُ حَقْيَقَةً . وَكَأَنْ هَذَا لَا يَكْفِيهِ
فَهُوَ يَجْرُوُهُ جَرَأَةً عَلَى أَنْ يَتَيَّزَ وَيَتَغْيِطَ حِينَ يَضَايِقُونَهُ . . . »
الصَّيْتُ الشَّائِعُ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ النَّاسُ وَالشَّهَرَةُ الْمَذَائِعَةُ صَارَا قِيدًا
كَفَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ قُوَّاً قَطُّ وَمَا كَانَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَطُ
مُنْتَهِيَ قَصْدَهُ ! قَالَ : -

« وَبَعْدَ أَنْ حَصَلَتْ ، فِي غَضْوُنِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ أَوْ أَرْبَعَ ، عَلَى
مَا قَدْ يَبْدُو لِكَثِيرِينَ نِجَاحًا وَانتِصَارًا - ذِيَوعُ صَيْتٍ وَتَهَافِتًا عَلَى
قِرَاءَةِ مَقَالَاتِي وَمَنْاقِشَاتِ فِيهَا ، وَأَنْ أَكُونَ مَتَّبِوعًا وَمَرْهُوبًا - بَعْدَ
أَنْ حَصَلَتْ عَلَى هَذَا كَلَهُ شَعْرٌ أَشَدُ مِنْ قَبْلِ بَفْرَاغٍ فِي نَفْسِي
مُعِيَّاً . . . »

وَسَاءَلَ نَفْسَهُ : « أَهْذَا كَلَهُ الَّذِي أَلْهَى صَبَوْتُ ؟ وَهَذِهِ هِيَ
الْغَاییةُ النَّهَايَةُ الَّتِي تَعْبَتُ لَهَا مُجَهَّداً أَيَامِي وَلَيَالِي ؟ مَاذَا يَهْمِنِي أَنْ أَكُونَ
أَوْ أَنْ أَصِيرَ فِي لِسُوفَاً « لَامِعاً » وَكَاتِبًاً مَعْرُوفًا فِي عَالَمِ الْأَدَبِ
وَصَانِعَ كَلَامٍ وَتَاجِرَ أَرَاءً وَافْكَارًا ؟ وَبَعْدَهُذَا مَاذَا ؟ وَإِلَى أَينَ ؟ . . . ». . .
وَعَادَ إِلَى نَفْسِهِ وَعَرَضَ لَهَا كُلَّ مَرَاتِبِ الْمَجَدِ وَمَصَاعِدِ الْفَخَارِ

وَإِذَا هُوَ كَمَا يَقُولُ، شَاعِرٌ أَنِي خَلَقْتَ لِأَمْرِ سُواهَا . . . كُنْتُ أَعْتَدُ بِكُلِّ قُوَى نَفْسِي أَنْ عَلَيَّ رِسَالَةٌ فِي الْعَالَمِ رِسَالَةٌ لِي وَحْدِي وَرِسَالَةٌ عَظِيمٌ . . .

وَمَنْ دَعَانِي؟ مَا عَرَفْتُ وَمَا أَعْرَفُ . مَا كُنْتُ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَحْسَنَ أَحْيَا نَا كَمَا يَقُولُ مُسِيحُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْدُ ، مَهَا يَكْلِفُهُ الْأَمْرُ ، إِلَى فَدَاءِ جَدِيدٍ وَمَا كُنْتُ أَعْتَدُ بِالْعَنَائِي وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَرَانِي فِي الْغَدِ الْقَرِيبِ كَمَا يَقُولُ مُسِيحُ فَادِي الشَّعُوبِ ! . . .

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ مُنْكِبًا عَلَى التَّبْحُرِ فِي الْكِتَابِ عَلَى شَتِّي أَنْوَاعِهَا وَخَصَّ بِأَنْعَامِ النَّظَرِ وَتَدْقِيقِ الْبَصَرِ ، كِتَابُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ . قَالَ « كُنْتُ أَتَأْثِرُ تَأْثِيرًا لَمْ يَقْعُ لِي قَطُّ مِنْ قَبْلٍ عِنْدَ قِرَاءَتِي مَرْقُسَ الْأَوْلُوقَا وَمَتِي وَيُوحَنَّا » .

وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَقْلِدَ الْأَلَّهَ الْمُتَجَسِّدَ فِي أَعْمَالِهِ وَمَعْجزَاتِهِ لَعَلَهُ يَتَوَصَّلُ إِلَى كَمَنْهُ قُوَّتُهُ فَيَسْتَعِيرُهَا ! قَالَ : وَأَحْيَا نَا كَانَتْ حَالَةُ نَفْسِي أَشَبَّهُ شَيْءًا بِحَالَةِ اللَّهِ يَصْفِي إِلَى جَمَاعَةِ مَتَّالِمَةٍ يَصْلُونَ عَلَى قَدَمِيهِ وَيَسْأَلُونَهُ عَتْقًاً وَهَنَاءً وَمَوْتًاً وَفَدَاءً » وَهُوَ مَشْفُقٌ عَلَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَهْلِ الْعَالَمِ وَيَرِيدُ أَنْ يَرْدِهِمْ إِلَيْهِ وَيَرْفَعُهُمْ مَعَهُ إِلَى ذَرَى الْأَوْهِيَةِ ! .

* * *

هَذَا هُوَ التَّجَدِيدُ الَّذِي أَرَادَ وَلَكِنْ بِأَيْمَانِ الْوَسَائِطِ يَأْتِيهِ ؟ .

تساءل : أي أجزاء الانسان أشرفها وأنبئها وأتقاها ؟ أجل هي النفس . فاذا شاء امرؤ ان يؤثر في الرجل تأثيراً شريفاً وجب ان يعمل في النفس ومتى تغير الباطن تغير الظاهر وبتجدد النفس يتجدد العالم . وعنهـ قد كان الانسان كلـه اولاً - جسماً ثم جسماً وروحـاً معاً والـان وجب ان يصير روحـاً وروحـاً فقط . وبعد العهد الحيواني والعـهد الانساني ينبغي ان يأتي العـهد البطـلي ، الملائكي ، الالـهي . وبعد عـهد القـوة عـهد النـبـوغ في خـدـمة القـوة - وأخـيرـاً عـهد النـبـوغ المستـقل المـحرـر ، عـهد الـارـادـة المـسيـطـرة ، عـهد الروح المـتـسلـط على كلـ قـوة »

« ان أقود الناس الى هذا الملكـوت ، وان احقق هذا العـصر الجـديـد : ذلك هو الـواجب الذي أوجـبـته على مختارـاً . فـكـانت رسـالتـي إذـن مـزـدوـجة : ان أـبعـدـ الناس عنـ الحياة الحـاضـرة وـاقـرـهمـ منها وـانـ أـهـيـءـ الحياة العـلـيا الـلاـبـشـريـةـ التيـ كـنـتـ أـتـامـسـهاـ فـاجـعـلـهاـ منـظـورـةـ » . ولـكنـ بـأـيـةـ الـطـرقـ ؟ وهـلـ كانـ أـهـلـاً لـلـقـيـامـ بهـذـهـ المـهـمـةـ العـظـمىـ ؟ وهـلـ منـ أـمـلـ لـهـ بـنـجـاحـ ؟ أـسـئـلةـ أـورـدـهاـ إـلـيـهـ وـرـدـدهـاـ . ثمـ خـلاـ بـنـفـسـهـ وـقـالـ :ـ

« لاـ بـدـ ليـ قـبـلـ انـ أـبـدـأـ رسـالتـيـ أـكـونـ منـ نـفـسـيـ وـاثـقاًـ فـاتـنـظـفـ وـأـكـبرـ وـأـبـلـغـ الـكـمالـ الـادـبيـ وـالـتـسـاميـ الـعـقـليـ . إذـنـ أـنـ أـتـحـولـ قـدـيسـاًـ وـنـابـغـةـ ! »

إذن أن يُعد العدد ، عدد الروح ، عدد القوة ، عدد الأقناع
ليتبع ويطبع ورأى أن يستعين بالفن ! .

شعراء كثيرون نظموا كثيراً وقالوا كثيراً وقل من استهوى
منهم الناس واستتبع . ففكر هو في نظم علوا يسميه « يوم
الغضب » وهو يوم الدين الأخير إذ تلاها الناس كبارهم وصغارهم
خافوا وارتعدوا وأفاقوا وارتدعوا ونهضوا من سبات الجمود إلى يقظة
التفكير وتبعوه .

كان حامه العظيم أن يصير « الها »
تخيل هيكلها ولم ينظمها !

* * *

أمل خادع وحلم بعيد ولكنه هكذا حلم وهكذا أمل !
قال : وقد علم البعض أو حاولوا أن يمزجوها بالله نساكاً
وحبسها وقد يسيئ لكتن أنا ان أدخل في الله كائي من الالوهية
اللامتناهية جزء و قطرة و ذرة ذلك لم أرده قط بل شئت أن يكون
الكل جزءاً مني خاضعاً لي ، كما لو كانت الجبال والكون كاب والعالم
أعضاء من جسدي وأعضاء طائعة .

قال : ما كنت أوقن بالله . فالله لم يكن عندي موجوداً اذ
ذلك وما وجد قط من قبل وأردت أن أخلقه للمستقبل وأعمل مني ،

انا الرجل الضعيف الحقير ، ذلك الكائن الاسمى الغني القدير !
وعلى هذا الامل وهذا الاستعداد للرجل — الا له فكرت ان
أنشر ديانة ولكن اين ؟ افي اوروبا القديمة الفقيرة ؟ كلا بل في
امريكا ، امريكا الشمالية الواسعة بلاد الممكناات ! حيث كل دخيل
جديد مكرم وحيث لكل معتقد هيكل ولكل موسى عاصمة !
وبحث عن معين له يرى رأيه قال : وقد لاقيت رفيقاً خليقاً بي
محنوناً مثل عازماً على مراقبتي وان يقاسمي الخيبة والهوان والظفر !
و قبل ان يشد الرجال الى عبر الatlantic أخذ يعد عدته فدرس
الانكليزية واخلاق القوم وعاداتهم . لكنه خاسه امر وهو المهم :
ان يذهب نبياً جديداً يبشر بالملكون الجديدين في ارض جديدة —
اكتشفها من قبل ايطاليا عظيم — ذلك لا بد ان يكون قد يسألاً
و قائدًا ونصف الله !

ولكن كيف يتصورون قديساً ولا معجزات يجترح ولا عجائب
ومؤسس دين ولا سطوة تؤيده ولا نفوذه ، واما لا حول عنده ولا
طول ؟

فاهتم اذن ان يصل الى صنع المعجزات بان يزيد قوى ارادته الى
ما لا نهاية له حتى اذا أمر الناس والأشياء من دون حاجة الى افعال
خارجية تأتى .

وطلب هذا عن طريق القدس الذين يجترحون العجائب

والمحوس الذين يدعون اجتراحها واحب ان يعرف مذاهبتها في ذلك
فاجهد النفس في التنقيب والدرس .

قال : كان القديسون يذهبون بي الى التعمق في الاديان
والمحوس الى العلوم الغامضة . طريقان يختلفان ظاهراً وكنت قد
عرفت هذين الطريقين احدهما الهي يعود الى الفراديس المطهرة
والآخر ارضي الى الجحيم الحميم .

فدننا من الاديان هذه المرة ببعض العطف ، حتى من النصرانية —
من الكثلكة . قال : وطالعت الاناجيل وليس في تلك البغضاء
العمياء الفلترية التي رافقني في سنواتي الاول . و كنت قد عدت
الي الكنائس ليس فقط لاعجب بالزخارف والنقوش ورسوم المذاياج
وفسيفساء المعابد . واعدت قراءة الاناجيل لابحث فيها عن المسيح
ودخلت الكنائس لأجد فيها الله .

والعبادة كانت تجتذبني — ليس فقط بجمال الرتب وموسيقى القدس
الصارخ فان شيئاً مبيهماً ملتبساً : الحاجة الى الایمان وان أعود طفلاً
وان اشعر بذاتي اني في شركة النصرانية التي فيها ولدت — هذا
الشيء المبهوم كان يتحرك في خفيقاً ولا يشاء ان يبدو جلياً . وقرأت
القديس اغوضطينوس وتأملت افكار پسكال حتى وصلت الى
« مدخل العبادة » « والتأملات الروحية » للقديس فرنسيس ده
سال والقديس اغناطيوس دي لوبيلا مؤسس اليسوعية .

أفضل هذا في النفس ورغبة في الأطلاع ؟ أجل هذا هو .
ولكن كان هناك خميرة إرادة بالإيمان ورغبة وضيعة في الاشتراك
بهذا الامتحان الديني البديع الذي أتّجحب للعالم - منذ المسيح - تحفًا
غالية ثمينة في النفوس وما ثر الأعمال .

استهونه أعمال القديسين ولكنهم لما علمنا يعلمون العجائب ،
التي كان يصبو إِلَيْهَا اجترارها بكل جوارحه ، باستلامهم المطلق
وتقديمهم لله ذواتهم تقديمًا لا رجوع فيه ولا عودة قال : أما أنا فلا
أريد أن أتعري من ذاتي ولا استطعت . وهاله الامر فانطلق يبحث
عن « غوامض الغيب » ومذاهبها المتشعبه - وكان منذ سنين قد
دخل هيكل الخُدُّع والخرافات التي قال فيها : إنما هي أشبه الأشياء
بألف ليلة وليلة - تتبع آثارهم ودرس أسرارهم وعرف أخلاقهم
وأفكارهم وجمع معلومات كثيرة وما جاء دور اختباراته وحسب أنه بلغ
المنى خدع وفقر ثم عاد . . . حتى سئم وتعب لكنه قال لا بد من
اكتشاف السر فاما بلوغ المنى او ورود المنايا ! ولكن . . .

* * *

تنكرت عليه نفسه بعد هذه الخيبة المرة وتنكر عليه أصحابه
حتى رأى الموت واقفًا له راصدًا فانتهى مكانًا منفردًا بعيدًا عن الناس
لأنه تخيل لهم كلهم أعداء له وعزم على أن يلحق بقمم الجبال قريباً

من السماء بعيداً من ضوضاء المدينة وقيل الناس وقائهم لا يعلم به أحدٌ .
مضى وقد قال : سأنزل من الجبل اما ظافراً عتيماً كأله أو لن
أنزل . ولكن نزل ونزل خائباً مقهوراً . . . كجامعة صحرٍ حطّه
السيل من على

قصورٌ في الخيال تقلصت كالخيال !

* * *

مرة هي الخيبة على تقوس البشر وأمر منها على من وهم وهم أن
يسود البشر . ولكن هذه النفس الرامية إلى الخلود والصافية إلى
اللامتناهي المرتاحة فيه القلقة في سواه ، إذا أظلمت يوماً ثم طلبت النور
استنارت وإذا سقطت زماناً ثم حاولت النهوض نهضت واستقامت
وإذا تشعبت عليها الطرق وبحثت عن الطريق الحق على نور المداية
بسلامة النية وصفاء القلب وصلت واستراحت .

وهذا يأيني رأيناه فراشة حول مصباح وخفاشا في نور الصباح
يحوم ثم يحط ويذوم ثم يسقط ولا يقر به قرار ولكنه بعد أن أنهك
وأجهد في المطالب والرغائب وعاد عن كلها خائباً فكر في أمره وكأنه
تبين بصيصاً من ضياء الحق في قفره فعلق به لا يترك .

* * *

في «صورتان في جرن» وهي مقالة نشرها في غضون سنة ١٩٢٠
ما ينم عن اتقابه على ذاته وخروجه على ماضي حياته وفي جملة ما قال:
«... وقد أجتذبني سحر الماء الرأك... وجلست أفرق
يدي الاوراق الميتة عن وجه الماء لأجعل مرآة أكبر ترني وجهي
الاصلف المقلوب وأنا ثم منذ دقائق منحنٍ على الماء أفكر في الزمان
في شرائعه الغريبة العجيبة إذ لحت بقعة الى جانب صوري صورة
أخرى... والتفت على الفور فاذا رجل قدّ جنبي وأخذ ينظر مثلّي
في مرآة الماء وتأملته كأني في حلم - ثم بعد انعام النظر ظننتني أرى
فيه شبيهًا بي وأخيراً القيت لخاطي على الجرن ثم حدقت في وجهه
المنعكس في قعر الماء العميق فادركت الحقيقة حالاً . قد كان انعكاس
وجهه شبيهًا أتم الشبه بما كان وجهي منذ سبعة أعوام مضت ...
وفكرت أن هذا الرجل الذي أضحك منه ، هذا الوليد الجاهل
الاحمق قد كان في غير هذا الزمان «أنا» .

«كيرياوه الصبيانية وعدم خبرته العالم وجده الغليظ باسرار
الحياة ، كل هذا ، بعد أن سلاني ساعة في بدء أمره ، أثار في نوعاً
من الاشواق والابتذال ثم تحول شيئاً فشيئاً تفوراً ...»
«... وحل يوم لم يسعني أن أكظم بغضي وغيطي من «أنا»
الماضي فقتلت له محتدأً مستدأً ما أنا بالذى يمكنه أن يعيش معك
بعد الآن ...

« وحاولت الهرب منه وهو ممسك بي... وجلسنا معاً على الصخور
الاصطناعية نفرق باليدينا الاوراق لنتأمل صورتنا وما بدا وجهانا ،
نحن كلينا ، متباورين على مرآة الماء القاتمة المكدة اندرت بحركة
سريعة وقبضت على « أنا » الماضي من كتفيه ورميت به من رأسه
إلى حيث كانت صورته في الماء المضطرب وغرزت رأسه في الماء بعيداً
وضغطته شديداً بكل قوة الحقد المضطرب في وإذا « أنا » البشع
المقوت قبلًا ، « أنا » الضحك البليد في السنين المائة قد مات
إلى الأبد

مات پاپيني القديم وبعث پاپيني الجديد !
لقد خلع عنه ثوب الماضي العتيق الذي رأيناه فيه ولبس ثوباً جديداً
لم يكن ، في هذا الحين الذي يصفه ، قد كمله وجمله على
الشكل الذي نراه فيه ظاهراً في « حياة المسيح » ولكن المسافة بين
الجديد والقديم قريبة جداً .

* * *

في عام ١٩٢١ ظهر كتابه « حياة المسيح » !

معجزة من معجزات الدهر !

مؤلف هذا الكتاب قد ألف كتاباً آخر ، منذ سنوات ،
ليحكي حياة كئيبة لرجل أحب ، حيناً ، أن يصير إلهاً . والآن في

نضوج نفسه وضميره قد حاول أن يكتب حياة الله صار إنساناً ». «
ان بين الكتابين لفرقًا ! وبين النفسين لتغييرًا .
وفي هذا موضوع النظر .
فسبحان المغير الذي لا يتغير !
 تلك الكبراء الفضفاضة قد تحولت تواضعًا وديعًا .
وذلك الطموح الجموح قد تبدل رضيًّا فنوعًا .
ولكن تلك النفس المتهجمة ما غيرت هجومها الا وجهة الخير
 فهي تريده لكل حي وفي كتابه هذا يقنع پاپيني « بعض الخير
لبعض النفوس — وحتى لنفس واحدة »
ولعل المنتفعين به كانوا كثيرًا .

* * *

اما كيف وصل الى من قال : « انا الطريق » فهو امر كافال
في مقدمته التي تعد وحدتها كتاباً جليلاً ، طويل شرحه
وعسير وصفه . »

وربما امكن ايجازه بما قال يوماً جواباً عن سؤال : « قراءة
الإنجيل قادتني حتى باب الكنيسة »

* * *

وقد اغمض على بعضهم أو اغمضوا هم عيونهم عن تفهم الكنيسة
التي دخلها پاپيني لكنه في عرض صلاته الى المسيح ، إذ رأى الفساد
طامياً والشر فاشياً رفع صوته اليه ضارعاً :

« انت تعلم هذا ايها المسيح يسوع ، وترى ملء الزمان قد عاد
وان هذا العالم لا يستحق بعد الا عقاباً بظوفان من نار او ان يخالص
بتوسطك وكنيستك وحدها ، الكنيسة التي شيدتها انت على
صخرة بطرس ، التي وحدها تستحق اسم كنيسة ، الكنيسة الواحدة
الجامعة المتكلمة عن رومة بضم نائبك المعصوم ما تزال طافية على خضم
العالم المهيأج الموحل ، تزيدها هجمات الخصوم قوة ، وصدمات البدع
عظمة ، ومر العصور تجديداً . لكنك انت الذي تؤيدها بروحك ،
تعرف كم من الناس ، حتى من الذين ولدوا في حضنها ، يعيشون خارجاً
عن شريعتها »

وهذا الكتاب ، على سذاجة عبارته وخلوها من التنميق
والتزويق ، قد خلب لبه فقال فيه : « ليس من حياة للمسيح ، ولو
انها مكتوبة بقلم انبغ كتاب العالم ، يمكن ان تسمو جمال
الانجيل وكمالها »

حدثي حبر من اخبار ايطاليا جليل قال : في صباح احد الايام
رأينا پاپيني داخلا على رئيس أساقفة فلورنسا والدمعة في عينيه فثنا
على ركبتيه وقال : سيدني ارجو ان تقبلني في حظيرة خرافك . . .

أما لماذا رجع ؟ فقد استدركه لمن قد يتسائل من اتباعه ومن غير اتباعه إذ قال : لم يرجع عن تعب بل بعكس ذلك قد افتحت أمامه حياة أقسى واشظف وواجبات أشق وأصعب ، ولا خوفا من شيخوخة قريبة فهو يمكنه أن يقول أنه بعد فتى ، ولا رغبة في شهرة عالمية فهو أرجح له في هذه السنين أن يصانع ويمالق من ان يستخف بالقاضي ويستحر . لكن هذا الرجل العائد الى المسيح قد رأى المسيح مخونا — وما هو شر منه — منسياً فساقه شوق عظيم الى تذكرة والذود عنه »

وفي منطقه السديدي قال : « لا خيار للمرء ايا من كان الا ان يختار بين الله والعدم . فان تحول عن الله فلن يجد له سبباً حلاً ان يخضع لاوثان القبيلة او لضم العقل او لضم الشهوة . في ذلك الزمان زمان الحمى والكبرباء كان كاتب هذه السطور قد اهان يسوع اهانات لم يرهنها ايها احد » وقد احب التفكير ما استطاع وهذا الكتاب دليله ، ولو ضئيلاً في نظره !

في سكينة النفس وطمأنينة الضمير وتحت نير من قال « نيري طيب وحملي خفيف » انتهى پاپيني من الارض ناحية خالية هادئة ومعه بضعة كتب وفي رأسها الاناجيل وهناك ، في اقل من سنة ، كتب كتابه « تاريخ المسيح » الذي طبقت شهرته الخاقدين وعد الادباء والكتاب افضل كتاب اخرج للناس في القرن العشرين !

اذن من وادي الضعف واعماق التفكير العميق اخذ پاپيني يتدرج
صعدا في جبل الكمال السامي — من مذود بيت لحم الحقير ، الى
هيكل سليمان الكبير الى جبل الزيتون فالى جبل الجبلة يرافق
يسوع في اطواره واسفاره حتى وقف به الفكر والقلم على طابور فرفع
عينيه الى العلاء ونادى باحر النداء يا يسوع !

في صلاة جاءت في البلاغة آية ولطلب الضياء راية ولحاجات
النفوس غاية پاپيني في كتاب « تاريخ المسيح » أصبح ناراً على علم .
وصلاته الى المسيح في آخر هذا الكتاب فريدةٌ بين درر .
« الله الله يا منصفان »

نيويورك .
الخوري منصور استفان

كلمة المترجم

ان هذا الكتاب هو اعتراف رجل ارتد الى الاعان البسيط
بالمسيح بعد ان ظل تائماً في حصارى الشك والاحاد عديد السنين .
ولاغر وان يبلغ كتابه ما بلغ من الشهرة البعيدة ، وتقع الحقائق
الخالدات التي جاء بها في قلوب القراء « فان فرحاً عظيماً يصير في
السماء بخاطيء واحد يتوب اكثر مما بسائر الابرار »

كان جيوفاني پاپيني كفراً ، فوضواً ، يبغض البشرية ويمقت
جميع ابناء جنسه ، وثائراً متمراً على الشرائع الدينية والأنظمة الإنسانية ،
وقد كان باعماله واقواله ومؤلفاته عدواً لدواداً ليسوع ، يحتقره ويحاربه
بكل ما بلغته قحته وقاده اليه كفره والحاده . غير ان يسوع الحائم ،
الطوبل الاناء ، الذي وطأ ايام بطرس المتزعزع ولم يتركه يهلك
في عار نكرانه ، واشرق في قلب بولس بنور وحيه الطهور رادعاً
اياه عن التردد والعصيان ، لم يشاً ان تُحرم الإنسانية ثمار عقل هذا
الرجل النابع الذي كان ، ولا يزال ، اميراً من امراء الفكر الحديث ،
واماً من كبراء ائمة العلم والفلسفة في هذا القرن الحاضر ، لم يشاً يسوع
صديق الحياة السعيدة ، ان يظل هذا الفكر الكبير هائماً في تيه
الشك والضلال فبعث اليه فجأة باشعة من نوره الالهي فأنار ظلمة حياته

الشقيقة ، وانعشه بنسمة من روحه القدسية ، ففتح قلبه للحياة الحق
بعد أن أغفلته سو يداء حياته الأولى . ثم ما لبث أن قدم إلى العالم
كتابه هذا «حياة المسيح» الذي بسط فيه بملء الوداعة والرقة حياة
رسول الحرية والسلام . وملخص المقيدين بقيود الأرض والمادة
الكتاب الذي رسم لبناء القرن الحاضر ومن سيتبعهم من أبناء
الإنسان ، في كل زمان ومكان ، صورة خالدة تسمو بالتأمل في جمالها
إلى عالم علوي يشعر فيه انه في حضرة يسوع الخالد في ملوكوت
السموات .

قرأت هذا الكتاب في الصيف الماضي ، بعد أن قرأت الكثير
عنه وعن مؤلفه ، قرأته فكان لي من كل فصل من فصوله الف
دليل على عنایة الله غير المتناهية التي تعهدنا برجمتها أبداً فترسل إلينا
من حين إلى حين من يوقظ ذواتنا الغافلة وينعش قلوبنا الغارقة في
اقدار المادة ، ومحبة المادة وعبادة المادة ، حتى كأنما الحياة كلها في
نظرنا مادة في مادة . غير اني ما فرغت من مطالعته للمرة الأولى حتى
رأيتني مكبباً على درسه للمرة الثانية والثالثة وانا اكاد لا اصدق أن رجلاً
من أبناء هذا القرن المادي يستطيع أن يصور يسوع بهذه الصورة
الحيوية التي رسماها پاپيني في كتابه هذا . وأنني أستطيع أن أقول ، وقل
اكون مخطئاً في قولي ، أن كتاب «حياة المسيح» هذا قد يكون
له من التأثير في حياة المسيحيين (بالاسم) الوثنيين (بالفعل) العائشين

في هذا القرن العشرين ما كان من التأثير لرسائل القديس بولس في حياة الوفنيين الاولين الذين كانوا وثنيين، اسمًا وفعلاً . وللزمان حكمة في صحة هذا الرأي

وقد كان في مقدمة ما احدثه هذا الكتاب في نفسي من التأثيرات العزم على تعربيه الى لغة الاباء والاجداد ، وتقديمه كباكرة اتعابي الروحية في جهادي للقيام بواجباتي جهد طاقتني . عزمت على ذلك منذ نيف وسنة . غير ان واجبات المهمة التي انتدبني خدمتها ، عن غير استحقاق مني ، غبطة مولاي الجليل الطوبى والاحترام ، كيريوس كيريوس غريفوريوس بطريرك مدينة الله انطاكية وسائر المشرق، كمعتمد للكرسي الانطاكي في امريكا الشمالية ، كانت تقضي علي بالتجول المستمر في سائر ارجاء البلاد ، من شمال كندا الى جنوب فلوريدا ومن شرق مaine الى غرب كاليفورنيا ، ومن اوريفون الى المكسيك ، والقيام بخدمة نفوس اخوتي المتفرقين في البلاد ولا كاهن لهم يعني بخدمة نفوسهم . كل ذلك كان يحول دون وضع عنمي في حيز العمل . غير اني اغتنمت فرصة هذا الصيف الذي خصصته لزيارة المكسيك فجئت الى مدينة تشيواوا في اوائل حزيران واقطعت الى عمل الترجمة مكتبًا على الكتابة بكل قوقي حتى فرغت من تعريب اخر فصل من فصول هذا الكتاب في اليوم الحادي والثلاثين من شهر تموز سنة ١٩٢٤

وغير خاف على القراء الكرام ما يصادفه المعرّب من الصعوبات
وخصوصاً في تعريب الالفاظ الوضعية ، والاصطلاحات العلمية الممتلئة
منها الكتب الحديثة ، ولذلك فاني أستميحهم عذرًا على ما يجدونه
من القصور في عملي هذا ، لا سيما وأننا لا أقصد من ورائيه سوى اطلاع
أبناء قومي ، الذين اقف حياتي خدمتهم ، على كتاب جليل هم في
أشد الحاجة اليه ، بلغتي البسيطة التي جلّ ما ارمي اليه من ورائها ان
تؤدي المعنى الى ذهن القارئ باسهل ما يكون من البساطة ، وتلامس
قلبه قبل ان يعجب بها عقله .

و قبل ان اختتم كلامي هذه اودّ ان الفت نظر القارئ العزيز الى
الملاحظات الآتية :

١ - ان هذه الترجمة العربية لحياة المسيح قد تقللتها عن
الترجمة الانكليزية للأنسة دوروثي كافيلد فيشار المطبوعة في مدينة
نيويورك في شهر ايار سنة ١٩٢٣ الطبعة الثامنة ، وليس عن
الاصل الايطالي .

٢ - قد اشارت حضرة الأنسة الفاضلة في مقدمتها للترجمة
الانكليزية الى انها حزفت من الاصل الايطالي بعض عبارات وجمل
وفصلين كاملين لأنهما رأت ان ما جاء فيها هو ملائم لابناء ايطاليا
دون غيرهم من سائر الامم لاشتمالها على عادات واصطلاحات ايطالية

صرفه ، وانها لو ترجمت الى اية لغة غير الايطالية لجاءت غامضة غريبة
على القارئ فلم تقدره شيئاً .

٣ — يلاحظ القارئ عند اطلاعه على الكتاب ان المؤلف قد استشهد بآيات كثيرة من الكتاب المقدس ، عهديه القديم والجديد ، وكثيراً ما يورد آيات مأخوذة من أسفار متعددة من الكتاب فيسردها بعضها وراء بعض كأنما هي جملة واحدة مأخوذة من موضع واحد ، وقد ترجمت كل هذه الآيات كما وردت مع المحافظة على المعنى الكتابي من غير ان اتفيد بترجمة واحدة من الترجمات العربية للكتاب المقدس ، متوكلاً من كل ذلك تأدية المعنى المراد الى ذهن القارئ بعمل البساطة .

٤ — قد ورد في الكتاب كلمات اعجمية كثيرة ، من اسماء ملوك ومؤرخين ، وشعراء وفنانيين ، وفلاسفة وامة وغير ذلك من الاسماء الغريبة على قراء اللغة العربية ، ان لم يكن كلهم فجليهم ، ولذلك رأيت اتماماً للفائدة ان اورد ترجمة مختصرة لكل منهم بحسب الضرورة بحواش اضافتها الى الكتاب لكي اسهل على القارئ الاديب مطالعة هذا السفر النفيسي والتقطاط ما به من الدر الغوال .

وانني ارجو ان تصادف خدمتي هذه قبول الاخوة المواطنين
وان يكون لها التأثير الفعال في حياتهم الروحية فيبذلوا في سبيل خدمة
تفوسيهم الخالدة نصف ما يبذلونه في سبيل اجسادهم الفانية ويقبلوا
جميعهم الى المعلم الصالح يسوع معين الحياة الحق فيشربوا من مائه
الحي ولا يعطشون الى الابد .

عن مدينة تشووا المكسيك في ٢٠ ايلول سنة ١٩٢٤

الدكتور سمير ابو النطون

مقدمة

منذ خمسائه سنة والثورة قائمة على قدم وساق من انتحلوا
لأنفسهم اسم الاحرار المفكرين — الذين يفضلون الحياة المقيدة
السجينة على الخدمة العسكرية الشريفة — منذ خمسائه سنة وهم
عيشًا يبذلون الجهد الكثيرة لقتل يسوع مررة ثانية : لقتله في قلوب
المؤمنين .

ان جيوش اعداء يسوع قد اجتمعوا ليواروه الثرى عندما سمعوا
في غفلة أوهامهم نعيه الثاني . والى جانب هؤلاء الاغرار وقف جيش
آخر من الجاهير العميان المدعين الذين يدخلون المكتب ظانين انها
مزار لهم ، وآخرون من ذوى العقول الغليظة ، والرقاب القاسية ، الذين
يدعون انهم عاملون على فتح السماوات العليا بمناوشات فلسفهم
والواهية ، وغيرهم من الاساتيد الذين تحدرت ضمائركم ، وتسممت
دماؤهم بمخدرات فلسفة ما وراء الطبيعة ، وسمّ اللغات الحديمة —
وقف جميع هؤلاء الجنود مسلحين مدرّعين — يكررون عبارة
بطرس (١) الناك التي اثار بها الرأي العام في اوربا فقد منه جيوش

(١) بطرس الناك : هو أحد رهبان فرنسا المتفددين بالـــلاجة في الوعاظ
والخطابة والتذيع والكتابـــة . وقد كانت مواضعـــه التي الفاها في أوروبا في
اواخر القرن الحادى عشر ، بعد رجوعـــه من سياحة قام بها في الاراضـــي

الصلبيين . غير انهم يكررونها لكي يتخدوا من الرأي العام قوة
يشرون بها حرباً صليبية اخرى — حرباً صليبية ضد الصليب وليس
في سبيل نصرة الصليب . وقد بلغت القحة في فريق منهم أنْ
اوحت اليهم مخيلة لهم البليدة الخاملة ان الانجيل حديث خرافه وكل
ما يمكننا ان نستخلصه من حوادثه عن حياة يسوع هو انه كان انساناً
عادياً ، ثلثه نبي ، وثلثه ساحر ، وثلثه قائد عصابات ، وانه لم يصنع
عجبية ، ولم يجترح آية غريبة قط في حياته . واما الذين بربوا بواسطته
من امراضهم فكانوا من سخيفي العقول الذين استولت عليهم
الاوہام فاستعبدت قواهم المفكرة الى حين فخيل اليهم انهم مرضى ،
ومصرعون ، ثم ما لبثت سحائب اوہامهم وسخافة عقوفهم ان
انقضعت فادرکوا أنْ لم يكن بهم من ضعف قط . واما في موت
يسوع فيقولون ، انه لم يصلب على الصليب كما توهם اتباعه ، وانما خيل
اليهم ان اليهود صلبوه وقبروه ، ولكنه لم يمت ، ولم يقبر ، بل توارى
عن الابصار حتى ظن الجميع انه قد مات ، ثم ما لبث ان عاد فظهر في

المقدسة في فلسطين ، من اقوى العوامل الدافعة للحملة الصليبية الاولى . وقدقاد
هذه الحملة بنفسه مارا بهنغاريا وهو يقود جيشاً مؤلفاً من ثلاثة الف حندي غير
مدربين على النظم العسكرية ، ولذلك لم يبلغ منهم الا القليل الى اورشليم . وقد
امتاز بطرس بشجاعته البالغة في هذه الحملة العظيمة . وعندما رجع الى بلاده انشأ
في بلدته اميان ديراً لنفسه وظل رئيساً حتى توفي سنة ١١١٥ .

المكان حيث توهموا انهم قبروه لكي يحمل الناس على الاعيان بأنه
مات وقام من بين الاموات .

وغيرهم يؤكدون لك انه كان اثنين واثنين اربعة ، كذلك
حكاية يسوع اسطورة الفها بعض المشعوذين في ايام اوغسطوس
وطيباريوس ^(١) وان كل كتب العهد الجديد ما هي الا صور
مسوخة عن النصوص النبوية القديمة .

ومنهم من يعتقدون بأن يسوع كان رجلاً فاضلاً مخلصاً خلير
البشرية جماء ، ولكنه كان بعيد الخيال ، كثير التقلب ، وانه
درس على علماء اليونانيين والبوديدين ثم عاد فانتحل لنفسه ما درسه ،
وجمع من مختلف التعاليم التي سرقها عن اولئك الاقوام المبادىء التي
اظهرها ، لكي يدعم دعواه بأنه هو « ماسياً » الذي كان ينتظره
بني اسرائيل . وقال آخرون انه كان بشرًا فوق البشر ، وانساناً
تناهى في الكمال ، وانه كان سابقًا لرسول ^(٢) وبماشراً بالديموقراطية

(١) اوغسطوس و طيباريوس : امبراطوران من امبراطرة رومية القديمة

(٢) روسو : هو جان جاك روسو ، اشهر مشاهير كتبة القرن الثامن عشر واكثرهم نفوذا في جيله . ولد من اب ســاعاتي في جنيف سنة ١٧١٢ وأفضل ما نعرفه عن السنواتخمس والثلاثين الاولى من عمره مسطر في اعترافاته الجريئة الحرة التي طاعت للمرة الاولى سنة ١٧٨٢ - ١٧٨٩ وقد ظهرت شهرته في عالم الادب للمرة الاولى في باريس بعد ان تعرف الى ديدرو وغريم ودباش ومدام دابينه وغيرهم من قادة الرأي العام في سنة ١٧٤٥ وفي سنة ١٧٥٠ كتب مقاله المشهور الذي بحث فيه في موضوع « هل ساعدت المدنية

الاهمية ، وان مبادئه الممتازة قد نفعت كثيراً في تهذيب ابناء زمانه ، غير انها تقادم عليها العهد اليوم فاصبحت غير صالحة لابناء هذا الزمان .

وغيرهم من ارادوا التخلص من الموضوع تخلصاً فاصلاً ، عادوا الى الفكرة القائلة بان الانجيل اسطورة قديمة ، وان حياة يسوع حديث خرافية ، فضلوا في صحارى الكفر والخيرة ، وقالوا ان يسوع لم يولد قط على هذه الارض لا في زمان ولا في مكان معروفين .

المحدثة على تنقية الاداب والعادات» متىخذناً الوجهة السلبية غاية لبحثه فنال جائزة كلية ديجون فاتجهت اليه انتظار الادباء في سائر ارجاء فرنسا . وفي سنة ١٧٥٤ زار مسقط رأسه جنيفا في سويسرا ، وعند عودته منها كتب روايته الاولى جولي او « نوفال الواز » التي طبعت في سنة ١٧٦٠ ، واتبعها بكتابه المشهور « العقد الاجتماعي » وهو كتاب سياسي طبع سنة ١٧٦٢ مع رواية اخرى عنوانها « اميل » او التهذيب . وقد اثارت المبادئ المودعة في هذه الكتب خواطر الجهوز ضد مؤلفها واعتبرت الكنيسة الاراء المسطورة في الرواية الاخيرة « اميل » طعننا اليها في الدين ، ولذلك صدر الامر بحرق الكتاب في باريس وفي جنيفا في وقت واحد . وقد اضطر روسو بعد ما رأى من هياج الناس ضده للهرب الى انكلترا حيث استقبله هوم وبوسوال على الرحـب والسعـة في سنة ١٧٦٦ . غير انه لم يقم طويلاً في انكلترا حتى عاودته مخاوفه فأساء الظن باصدقائه الانكليز ، ورجع الى فرنسا في ايار سنة ١٧٦٧ فلم يتعرض له احد بشوء في هذه المرـة . وقد عاش فقيراً جداً ، وكان يحصل معاشه من القليل الذي كان يناله من كتبه وعمله في دائرة المعارف ونسخه لقطع الموسيقية ، وفي ايار سنة ١٧٧٨ ترك باريس وذهب الى قرية قريبة منها اسمها ارمـانـونـقـيل ، حيث توفي في تـوزـ من السـنةـ عـيـنـهاـ ، ويرجـعـ انه مـاتـ منـتحرـاـ .

ولكن أي بشرٍ يستطيع ان يملأ الفراغ الذي يتركه يسوع في القلوب الإنسانية — يسوع الذي يودون ان يقتلوه ؟ ان القبر الذي يعدونه لدفنه ثانية قبر عميق ، وهم يزبدونه عمقاً في كل يوم ولكنهم لم يقدروا ولن يقدروا على لحده فيه ، او حجبه عن انتظار محبيه .

وبعد هذه الهججات العدائية بدأت مصانع الكفر والحاد تضنه ديانات جديدة لا تباعها المارقين عن الدين ، وما أكثر ما اخرجت تلك المعامل في أثناء القرن التاسع عشر من البيانات التي كان يقوم بها الكثيرون من المرتدین عن السراط المستقيم : من مثل ديانة الحق ، وديانة الروح ، وديانة الاخاء العام ، وديانة الفروسيّة ، وديانة البشرية المحرّدة ، وديانة الوطنية ، وديانة الاستعمار ، وديانة العقل ، وديانة الجمال ، وديانة السلام ، وديانة الآلام ، وديانة الرحمة ، وديانة الاشارة ، وديانة المستقبل ، الى آخر ما هنالك من الالفاظ الرنانة فكان بعض منها عبارة عن بضعة مبادئ مسيحية ممسوحة ، مسيحية مشوّهة ، مسيحية مفككة الاوصال ، مسيحية بدون الله ، وغيرها ، وهي الاكثرية ، انما قامت لغایات سياسية او فلسفية فارغة تجرب ان تحرّر نفسها من عالم الاسرار والروح . ولكن الذين تبعوا تلك الديانات الجديدة عن اقتناع وتسليم كانوا قليلين ، بل اقل من القليلين ، ولم تلبث ثورة هيامهم وانشغالهم ان همدو لأنهم لم يجدوا في تعاليمهم الجديدة المتقطعة ، التي كانت تستهوي بعض ذوي الغایات والمنافع

المادية او الادبية ، — لم يجدوا ما يعلّم الفراغ الذي تركه خروج
يسوع من قلوبهم .

وبعد ذلك قامت كتيبة اخرى من تلك الكتائب بهجمات
جديدة ترمي الى هدم تلك الديانات المزورة الغريبة وایجاد ديانة
جديدة تؤدي الى افهام البشر الحقيقة التي ينشدونها في اديانهم . فقام
الناسون والارواحيون والسفسطائيون ، والمنجمون ، والعلماء المغوروون .
يدعون انهم وجدوا المبدأ الذي يغنى البشرية قاطبة عن المسيحية ،
ولكن مثل هذا المزيج من الخرافات القدرة ، والتنجيم العقيم ،
والفلسفة المحسوسة قسماً متعمقاً ، والمعرفة الرديئة الباطلة ، والمجاز المشوّه
والخيال البعيد ، والبشرية المحمضة الحرّيفة ، والمبادئ البدوية
المسوحة عن اصلها الجليل ، والمسيحية المزورة — كل هذا مع جميع
ما بذلوه من هذا القبيل لم يكن ليقنع الا نفراً من ضعيفات النساء
وسخيفي العقول من الرجال ، وانما مثلهم في تجاربهم مثل ذلك الذي
يسعى الى تصفية الفضاء غير المحدود بصفاته ذات الثقوب الضيقة
المحدودة . عند هذا الحد وقف اولئك الاغرار ولم تتسلل مبادئهم
إلى اكثـر من بضـعة الوفـق من الـضعفـاء بالـروح .

وفي الوقت ذاته كان آخر اعداء^(١) يسوع يتحفز للظهور في

(١) العدو هنا هو الفيلسوف الالماني الجاحـد فـرـديـك نـيـتشـي (١٨٤٤ -)

(١٩٠٠) صاحب المبدأ المشهور القائل بـانـاـنـسـانـ يـسـطـيعـ انـيـرـغـمـ ذـاـتـهـ عـلـىـ

بيت قسيس الماني ، ومن على كرسي التعليم في كلية سويسريّة .
فقد هبط هذا من جبال الالب وهو يتزلم في اشعة الشمس قائلاً :
« ان يسوع نحر الحياة في فؤادها » : لأن الخطيئة جميلة ومثلها الترد
والمقاومة . وكل ما يجذب على مسائل الحياة « بنعم » جميل برج .
(وزار أثوسترا) ^(١) بعد ان رمى في البحر المتوسط الاصل اليوناني
للعهد الجديد المنقَّح في ليزيك ^(٢) وطرح معه مؤلفات ما كيافيلى ^(٣)

الكمال محصر قواه في السعي الدائم وراءه : أما فلسفته فهي ضرب من ضروب
الانانية الحرقاء ، وقد كان رسولاً ومحامياً في حياته عن السوبرمان : او الرجل
الأفضل يد انه مات مجنيوناً .

(١) زار أثوسترا : هو المشرع والنبي الفارسي القديم ، الذي أوجد الديانة
الفارسية في السنة الالف قبل المسيح المتضمنة في كتاب « الفراندافتا » وهي
الديانة التي كان يدين بها الفرس قبل ان اعتنقوا الاسلام .

(٢) ليزيك : مدينة في المانيا سكانها نحو ستين الفاً ، مشهورة بنسخة العهد
الجديد اليونانية المنقحة فيها والمعتبرة من اصح نسخ العهد الجديد اليونانية .

(٣) ما كيافيلى : هو نيكولا ما كيافيلى السياسي والمورخ الايطالي المشهور ،
ولد في فلورنسا سنة ١٤٦٩ وتوفي سنة ١٥٢٧ . واول ما ذاع صيته في عالم
السياسة في ايطاليا عندما تعيين كاتم اسرار مجلس العشرة في فلورنسا . وقد ظل
المدير الوحيد لمصالح جمهورية فلورنسا مدة اربع عشرة سنة ، كان في اثناءها
اميناً على مصالح مدينة آبائه وجده وخلصاً في خدمتها والسعى وراء عمرانها
وتقدمها . وعندما راجع الحكم الى عيلة ماديسى بمساعدة البابا يوليوبس الثاني في
سنة ١٥١٢ عزل ما كيافيلى من منصبه ثم اودع السجن بتهمة وجهت اليه
خلاصتها انه تواطأ مع بعض الثوريين على قلب الحكومة الجديدة ، ولكنه لم
يعكش في السجن طويلاً حتى افرج عنه فاعتزل السياسة وذهب الى بيته في سان

بدأ يثبت على اقدام تمثال «ديونيسيوس» (١) مؤملاً ان القوة
ستتجدد في رجل الماني ابن لقس لوثيري ، كان قد تناهى عن الكرسي
الذي كان يشغله في احدى جامعات العلم في سويسرا ، ومع ان انشيده
كانت لذيدة للاذان ، فإنه لم ينجح قط في ايضاح ما كان يرمي اليه
من وراء اقواله الرنانة في الحياة المكرمة التي يجب ان يضحي الانسان
من اجلها جزءاً كاملاً من كيانه الروحي ، وهو احتياجه الى قمع
غراائزه الحيوانية : كما انه فشل ايضاً في ان يقول لنا باية طريقة وقف

كاسيانو حيث انكب على الكتابة والتاليف . ومن خيرة مؤلفاته كتاب تاريخ
فلورنسا الشهير من ١٢١٥ الى ١٤٩٢ ، وكتاب «الامير» الذي نال شهرته
في عالم الادب بواسطته ، وكتاب «علم الحرب» وروايات مختلفة . واسم
ماكيافيلي يكاد يكون مرادفا لكل ما هو فظ وغليظ من انواع الحكم الاستبدادي
في جميع الحكومات

(١) ديونيسيوس : هو ابن ارمودراتيس . وقد بدأ شهادة في الشجاعة
التي تقزد بها في الحرب التي اثارها السيراقوسيون على القرطاجيين ، وكان سيداً
مطاعاً وطاغية مستبداً في سيراقوسا . وكان شديد الاستبداد والبطش برعاه
حتى انهم كانوا يخافون ظله ، وقد حفر مغارة بشكّل اذن في صخرة ودعاه
اذن ديونيسيوس . وكان في داخل هذه المغارة سجن عظيم ووراءه غرفة سرية
تصل اليها اصوات المسجونين في المغارة بطريقة واضحة وكان ديونيسيوس يقضي
اكثر اوقاته في هذه الغرفة السرية لاستماع ما كان يتكلم به السجناء والانتقام
منهم اذا تعرضوا لشخصه المظيم . وقد مات في السنة الثالثة والستين من عمره
سنة ٣٦٨ ق.م. بعد ان حكم عانياً وثلاثين عاماً وخلفه ابنه ديونيسيوس
الصغر في الملك . وعندما استلم ابن زمام المملكة دعا افلاطون اليه ودرس
عليه مدة ييد انه لم يكن افضل من ابيه بل اقتفي اثره في الاستبداد وظلم العباد .

يسوع حاجزاً في وجه الحياة ، يسوع الخالد الذي انما جاء ليقودنا الى
حياة اسعد واسعى من حياتنا البشرية . غير ان هذا العدو المقاوم ليسوع ،
عند ما رأى ذاته واقفاً على ابواب الابدية ، كتب كتابه الاخير
وعنوانه : « المصلوب » ! .

« ٢ »

ان محن الدهر وما اكثراها ، وجهود الانسان وما اوفرها ، لم
 تستطع مع كثرة ما جربت ان تنيي يسوع من هذه الارض . فان
 تذكرة ظاهر في كل مكان وزمان : وان الوف الصليبان القائمة على
 جدران الكنائس والمدارس وعلى رؤوس قباب الاجراس ، وقين
 الجبال ، وفي المزارات الصغيرة في الشوارع ، وفوق الاسرّة ، وعلى
 القبور — كلها تعيد للذهن موت ذلك المصلوب ابداً . ولكن ترى
 لو اخذت التماثيل من الكنائس ، وزنعت الايقونات من البيوت
 والمذابح . فهل تستطيع ان تحجب يسوع عن الانظار ؟ كلا والالف كلا !
 فان المتاحف مملوءة من ذكره ومن آثاره . وهل اذا حرقت جميع
 كتب الطقس والفرض المقدسة يحترق معها ذكر يسوع ؟
 كلا ! فان اسمه وكلماته مدونة في جميع كتب الآداب في سائر اللغات .
 حتى ليكون التجديف عليه اعترافاً غير مراد بوجوده !
 اجل ، ان يسوع نهاية وبداية ، بل هاوية سر الهي تسطر تاريخ

البشرية الى شطرين متباعدين ، لأن الوثنية وال المسيحية لم تتصلا ولن تتصل ، احداهما بالآخر . فعندنا زمن قبل المسيح وزمن بعد المسيح . بل ان جيلنا ومدینتنا ، وحياتنا كلها تبتدئ بولادة المسيح ، واذا دفعتنا محبة الاطلاع الى البحث عما جرى في العالم قبل المسيح وتقهم اسراره ، فان ذلك لا يلامس ارواحنا لانه ليس من اوضاعنا ، وهو مقيد بقيود غريبة عنا ، وخاضع لنظم غير نظمنا ، وانما وضع لزمان غير زماننا ، ولا قوام غير اقوامنا ، فليس لنا فيه ما يحرك شواعرنا ، ويستميل قلوبنا . وكثيراً ما يكون في ذلك القديم بعض الجمال ، او كل الجمال ، ولكنه لسوء الحظ جمال ميت . فقد كان الناس يتحدّثون بالقىصر في ايامه اكثراً منهم يسوع ، وعلم افلاطون (١) علوماً اكثراً من يسوع . ولا يزال ابناء هذا القرن يذكرون العاهل الروماني ، والfilisوف اليوناني ، ولكن من من الناس في هذا

(١) هو فيلسوف اثينا الشهير ، الذي جمع بين قوة الفكر وحدة الذكاء ببروسيه العديدة واجتهاده ، وقوة الجسد والعضلات بمواطنته على الرياضة الجسدية ولذلك كان افضل واحكم اهل زمانه . وقد بدأ حياته الادبية بقرض الشعر وتأليف الروايات . وعندما كان في العشرين من عمره جيء به الى سقراط فتلمذ له ودرس عليه مدة . وبعد أن سافر في بلاد عديدة وجمع اختبارات مختلفة أقام في ضواحي اثينا يلقي خطبه المشهورة التي كان يتواجد لسماعها العلماء والنبلاء والطلبة الاذكياء من سائر أنحاء اليونان . وقد مات في يوم عيد ميلاده ابن ثمانين سنة نحو سنة ٣٤٨ قبل المسيح . ونالت كتاباته من الاحترام ومبادئه آراء من الاعتبار درجة بالغة حتى دعاه العلماء « بالاطي »

العصر يهمه ان يكون متعصباً لقيصراً ضد قيصر؟ بل اين الافلاطونيون
في هذا الزمان وain خصوم الافلاطونيين .

وعلى العكس من هذا نرى ان يسوع لا يزال حياً في العالم الى
اليوم ولا يزال فريق من العالم يحبه ، وفريق يبغضه ، فريق تختلط
قلوبهم بمحبته ، فتدفعهم الحبة الى بذل حياتهم في سبيل نشر مبادئه
وتعاليمه وفريق تتاجج نيران العداء في قلوبهم ، فيبذلون كل ما
تصل اليه ايديهم لتخرير مبادئه وتقض تعاليمه . على أن في هذه
المقاومة التي يصادفها يسوع من اعدائه المتألين على قتله ثانية لا كبر
دليل على انه لم يمت ، بل هو حي الى الابد لأن الاموات لا يرعبون
أحداً ، وأما الذين يقفون حياتهم لحاربه يسوع وعدم الاعتراف بمبادئه
وتعاليمه فهم انما يقضون عمرهم في نشره للعالم وتخليد ذكره بينهم من
حيث لا يقصدون .

نخن عائشون اليوم في العهد المسيحي الذي لم ينقض بعد . فإذا
شتنا ان فهم معنى العالم الذي نعيش فيه ، والحياة التي نحياها ؛ اذا
شتنا أن ندرك حقيقة وجودنا ، فليس لنا مورد نستقي منه ماء الفهم
والمعرفة التي نحن في أشد الحاجة اليها سوى معيين يسوع ، فيجدر
بكل جيل أن يقرأ ويكتب بشارته الخالدة . على أن جيلنا الحاضر
قد كتب وطبع هذه البشارة أكثر من جميع الاجيال الماضية ، ولذلك
ربما كان على مؤلف هذا الكتاب ان يقرر ذاته على كتابة كتابه

هذا . ولكن مثل هذا التبرير ، اذا كان هنالك من حاجة اليه ،
يُبَيِّنُ ظاهر لـ كل من يقرأ هذا الكتاب .

فإن عصرنا الحاضر قد ابتعد بروحه عن يسوع أكثر من كل العصور المسيحية التي تقدمته . ولذلك فهو بالحقيقة أشد العصور حاجة إلى يسوع . لأن الكتب القديمة التي بين أيدي أبناء هذا العصر لا تكفي وحدها لقيادتنا إلى المسيح . فإنه لم يظهر في العالم حتى الآن كتاب عن حياة المسيح ، ولو كان مؤلفه من أكبر علماء زمانه النابغين ، يلخص حياة يسوع بما نراه في الاناجيل من البساطة والجمال والكمال . فإن الدقة والرصانة الظاهرة في الاناجيل الاربعة الاولى من العهد الجديد لا يمكن أن تجاريها قوة في العالم منها تفردت بالعظمة والنبوغ . وقلما نستطيع أن نزيد شيئاً على ما أوردوه لنا من الحقائق . ولكن من منا يقرأ الاناجيل في هذه الأيام ؟ بل من يستطيع أن يفهمها ولو عزم على قراءتها ؟ فهنالك ملاحظات علماء اللغات القديمة ، والتحريرات الناجمة عن الترجمة من لغة إلى لغة ، وتفاسير المفسرين وذوي الاختصاص من اللاهوتيين ، والزوائد والحواشي التي يزيدونها في الموسوعات ، والقراءات المتعددة المتضاربة ، إلى آخر ما هنالك من الصعوبات التي لا يصبر عليها إلا ذروه العقول الصبوره والمحبة للبحث والتنقيب . غير أن القلب يحتاج إلى أكثر من ذلك .

فإن لكل عصر من العصور حاجاته وافكاره وغرائب جنوبيه

ولذلك يجب ان تترجم الاناجيل القديمة ، المكتوبة بلغة قديمة ، الى لغة الضالّ لكي تنقذه الحكمة التي فيها من ضلاله . لأننا لا نستطيع ان نبقي المسيح حيًّا في قلوبنا ، او ان يجعله حاضرًا معنا الى الابد ، ما لم نعمد الى احیائه فینا من حين الى حين ، وذلك لا يتم لنا اذا صبغناه وصورناه بريشة العصر الحاضر والوانه ، بل يحدُر بنا ان نعبر عن حقيقته الخالدة وتقصّ سيرة حياته غير المتغيّرة ، بعبارات جديدة وامثال جديدة تتطبق على حياتنا اليوم .

ورب قائل يقول ان العالم مملوء من مثل هذه الكتبـيات التي ترمي الى احياء يسوع في قلوب المؤمنين ، ولكن مثل هذا قول ، ان النافع المفيد من هذه الكتب مهجور مهمل ، وغير النافع عدمه افضل من وجوده . لأننا لو اردنا ان نكتب تاريخ الكتب التي كتبت عن يسوع لاعوزنا الوقت واضطررنا الى ان نكتب كتاباً اكبر حجمًا من هذا الكتاب . ولكنـه يحسن ان نقسم البحث في افضل ما كتبـه المؤرخون عن يسوع الى قسمين . اولاً : الكتب التي كتبـها مؤلفون متمسكون بالعقائد القديمة . وقد كتبـوها ليقرأها المؤمنون . ثانياً : الكتب التي الفها العلماء ليقرأها غير المؤمنين . ولكن لا الكتب الاولى ولا الكتب الثانية تستطيع ان توجد في القلوب التعزية التي ينشدـها الجميع اليوم .

« ٣ »

اما ترجمات يسوع التي كتبت ليقرأها المؤمنون والاتقيناء فهي
كتب جافة مملة لا يرى القارئ اول صحيفة منها حتى يتحول عنها
نافقاً لتعوده قراءة السهل الرقيق الذي يأتيه بالغذاء الجوهرى لكيانه.
بل هي اشبه بسراج قديم نصب زيته ، ولكن فتيله لا يزال مشتعلًا
تنصاعد منه رائحة كريهة كرائحة البخور القدر او الزيت العطن ،
رائحة تسد حلقك ، وتتراكم في منخر ياك ، فتفقد مرتاحفًا بين
الحياة والاختناق . يأتي القارئ الذي تعود قراءة تراجم الرجال العظام
المدونة بالعظمة ، ودرس الادب والشعر في الكليات ودور العلم وقد
ألم بشيء منها ، يأتي مثل هذا القارئ فيتناول كتاباً من هذه
الكتب المكرمة فلا يقرأ منه بضعة فصول حتى يخونه جلده ، ويذهب
صبره على قراءة ذلك النثر البليد الثقيل ، والانشاء المعقد المرقع
بالاصطلاحات القديمة التي كانت جميلة ومفهومة منذ الف سنة فامست
اليوم متحجرة ميتة . وتكون الحال ارداً مما ذكرنا عند ما ينزل
هؤلاء الكدش الى ميدان الفصاحة والبيان ، وما اغرب الكدش
وراكمه بين الحياد والفرسان . فان طلاوة هذه المكتوبات الزائلة ،
وزخرفاتها المحدودة الباطلة وكتابتها العالية الموافقة لروح العصر الذي
دوّنت فيه ، وحرارتها الاصطناعية الناتجة عن طلاوتها الظاهرة —

كل ذلك يثبط همة القارئ ولو كان من أشد الناس رغبة في الدرس والتحصيل . وإذا لم يتغلل مؤلفو هذه الكتب بين أشواك البيان وأسراره فأنهم يقعون في مثل ما يقع فيه كثيرون من الوعاظ الذين يعمدون إلى فصاحة الألفاظ أكثر مما إلى بلاغة المعاني وتأديتها ببسط العبارات إلى أذهان السامعين ، وبالاختصار ، فإن مثل هذه الكتب التقوية إنما كتبت للقراء المؤمنين يسوع ، أولئك الذين كثيراً ما يستطيعون أن يقضوا حياتهم بدونها . ولكن العاديين من عامة الناس ، والذين ينظرون إلى الدين وكتبه نظرة عدم الاهتمام ، والذين يحتقرن الكتب الدينية ، وأبناء الفنون العالية الذين تعودوا عظمة الاجيال القدية وجدة الأيام الحديثة وبهرجتها ، لم يفكروا قط في أن يلقوا نظرة واحدة على هذه المجلدات ، وإذا صدف أن وقع مجلد منها في أيديهم فأنهم يلقونها جانباً حاماً يقرأون عنوانه . وإذا امعن النظر في الأمر نرى أنه لامثال هؤلاء فقط قد كتبت تلك الكتب ، لأنهم هم الضالون عن حظيرة خراف يسوع ، وهم يؤلفون اليوم أكثريه الرأي العام الساحقة في سائر أنحاء المعمور .

واما النوع الثاني من ترجمات يسوع فهو الكتب التي الفها العلماء والمؤرخون من اخذوا الحيداد موقفاً لهم في القضايا الدينية ، فلا هم بالمؤمنين ليعرفوا ولا بالكافرين فينصفوا . ولكن هذه الكتب لم تكن أكثر فائدة من الكتب الأولى لوصول الضالين وهدايتهم إلى

نور المسيحية التي لم يتعلموا شيئاً من تعاليمها . لأن الذين دونوا هذه الكتب لم يقصدوا أن يكون لها مثل هذه النتائج الحسنة ، ولأنهم هم أنفسهم في مقدمة الضالين عن طريق الحق وفي أشد الحاجة إلى من يرجعهم إلى المسيح الحق والحيّ . وفوق ذلك فإن الطرائق التي يتمشون عليها في كتبهم ويتبعون بطلاقهم عليها اسماء تاريخية ، علمية ، انتقادية ، هي نفسها تقودهم إلى التأمل في الكتب التي يقرأونها ، والحقائق السطحية التي يطلعون عليها ، والاجتهاد في تأييدها أو نقضها على وفق ما توحى إليهم أميالهم ورغباتهم ، وهم لو عقلوا لعمدوا إلى درس تلك الكتب وفهم ما وراء تلك الحقائق من القوة والنور والحياة . فان معظم أولئك المتكلسين يريدون أن يجدوا الإنسان في الآله ، والحقائق الحسية الظاهرة في العجائب ، والخرافات في التقليد ، وقلما تجد لهم كتاباً من غير تلك المواثي البليدة والزوائد التافهة ، التي يضيفونها إلى الكتابات المسيحية الأولى ، ومع انهم لا ينسكون ان يسوع كان شخصاً حقيقياً في العالم فهم يمحذفون من حياته المكتوبة كل ما يستطيعون حذفه ، وبجيوش من « لو » و « لكن » وغيرها من أدوات الشكوك والفرض التي هي سداة كتبهم وتحتها ينجحون في تسويه تلك الحقيقة الخالدة المسطرة في الانجيل الاربعة من غير أن يكتبوا شيئاً من عندهم لكي يحل محلها . ولكن أولئك المؤرخين وامثالهم الخطاطين خبط عشواء في ليلة

ظلماء مع جميع ما اخرجت معامل عقولهم من الببلة والتحريف والمبادىء الملتوية وسائر ما استنبطت قرائحهم من كتب النقد وأساطير المتقدمين وكتاباتهم وأثارهم ، وجميع ما افادهم درس اللغات اليونانية أو السامية وأسرارها — كل ذلك إنما كان ينخل حياة يسوع ويصهرها فتُختَبر في بوتقة الحق خيراً اختبار . وكل ما يستطيع العاقل أن يستنتجه من المقدمات المنطقية التي جاءت بها كتبهم البدئية التي لا صلة بين أجزائها ، انه لم يعش في العالم رجل باسم يسوع ، ولو فرضنا انه وجد رجل بهذا الاسم فاننا لا نعرف شيئاً راهناً عن حياته . ولكن المسيحية بالرغم من هذه النتائج الفاسدة قد وجدت ، ولا تزال في الوجود قوة عظيمة لا يستهان بها . هذه حقيقة يعرفها كل انسان كما يعرفها أعداء يسوع أنفسهم . ولكنهم لكي يتخلصوا منها عمدوا الى الدرس والتنقيب في الشرق والغرب عن منشأ المسيحية ، وهم واضعون نصب أعينهم ان يرددوا شجرتها الى أصول متعددة من يهودية ويونانية ، وهندية ، وصينية كاًئنهم يقولون للمسيحيين : « تأملوا فان يسوعكم في نشأته لم يكن انساناً كاملاً كاًكنا نعتقد به ، بل إنما كان نموذجاً مقلداً للإنسان لأنه لم يقل شيئاً جديداً لم يعرفه الجنس البشري قبل ميلاده .

ولكن هل لنا كري المعجزات هؤلاء أن يفسروا لنا كيف يمكن ان رجلاً واحداً ينتحل معارف الذين تقدموه من علماء ،

وحكماء، ويقدمها للعالم مسوخة ، ويقود وراءه من محبيه مبادئ الملايين العديدة من البشر ذوي العقول الثاقبة والقلوب المستنيرة ، بل كيف يعقل ان رجلاً مزوراً مثل هذا يستطيع ان يخدع ما لا يحصى من العقول ، والمدارس ، والكنائس ، والجمعيات والقوات القديرة التي كانت تغير وجه الارض منذ أجيال عديدة؟ واننا نضرب صفحات عن هذا السؤال الان لأننا سنأتي على ذكره في حينه مع كثير من مثله .

على أن المنتقل من كتب الاتقين الاولين إلى كتب المؤرخين الآخرين الذين يدعون احتكار الحقيقة التاريخية إنما يكون كمن ينتقل من ملال سقيم الى اضطراب عقيم . فان الكتاب الاتقين لا يستطيعون أن يقودوا الناس الى يسوع . و المؤرخين العلماء يضيعونه في محاولاتهم الفارغة . وكلاً الفريقين عاجز عن ترغيب الناس في مطالعة ما يكتبه وهم وان اختلقو في تقرير الایمان فانهم متفقون في سماحة الائمة وبالادة التعبير . لأن العقول الحديثة المستنيرة ، و أكثرها من درس حياة يسوع درساً جدياً تكره الكتابات الدينية القديمة المحسوبة توسعات وايضاحات مملة كرهها لما يكتبه العلماء المحدثون ، ذوو القلوب المتحجرة ، والعواطف المقرّزة على السواء . واصدق الادلة على ذلك انه بعد مرور سينين عديدة ، وتطور أفكار الناس في أشكال مختلفة لا نرى في أيامنا هذه كتاباً من الكتابات التي أفت عن حياة

يسوع يقرأ الناس مثل كتاب « حياة المسيح » الذي كتبه الا كليريكي الماحد رنان (١) الكتاب الذي يكرهه كل المسيحيين الحقيقيين للطريقة التحكيمية التي صاغه بها كاتبه الذي كان يطلي تهمة وتحامله بطلاء من الثناء لخدع السليمي النية والبساطاء ، الكتاب الذي يحتقره كل مؤرخ صادق لبعده عن الدقة ولكثره ما فيه من

(١) رنان : هو يوسف ارنست رنان المستشرق والمؤرخ والكاتب الفرنسي المشهور ، ولد في ٢٧ شباط سنة ١٨٢٣ في تراقيه بفرنسا ، ودرس في مدرسة اللاهوت في باريس . ولكنه في سنة ١٨٤٥ عدل عن رغبته في الكهنوت وانصرف الى درس التاريخ واللغات الشرقية بنوع خاص . وفي سنة ١٨٤٨ نال جائزة الجامعة الكبرى في باريس على مقال ممتع كتبه في اللغات السامية . وفي سنة ١٨٤٩ ارسلته جامعة الآثار والفنون الجميلة الى ايطاليا وفي سنة ١٨٥٠ ارسلته الى سوريا للبحث والتنقيب عن اثارها القديمة . وفي سنة ١٨٦٢ عينته كلية فرنسا استاذًا للغات العبرانية والكلدانية والسريانية ، ولكن اراءه المودعة في كتابه « حياة يسوع » المطبوع في سنة (١٨٦٣) اثارت الرأى العام ضده فعزل من منصبه ولم يرجع اليه حتى سنة ١٨٧١ وقد احدث طبع هذا الكتاب ضجة عظيمة في اوربا كلها ، وكان الحلقة الاولى من سلسلة تواريخ في نشأة المسيحية ، وهي كتاب « الرسل » طبع سنة ١٨٦٦ والقديس بولس سنة ١٨٦٧ وضد المسيح سنة ١٨٧٣ « والأنجيليون » سنة ١٨٧٧ و « الكنيسة المسيحية » سنة ١٨٧٩ و « مرقس اوريليوس » سنة ١٨٨٠ . وفي جميعها تظهر روحه الغير المصدقة بالقوة الفائقة للطبيعة في العقائد والتعاليم المسيحية . وآخر اعمال رنان واعظمها تاريخه لشعب اسرائيل حتى زمن الملك داود . وله غير ما ذكر مؤلفات اخرى لا تقل عن هذه اهمية . وفي سنة ١٨٧٨ صار عضواً في الاكاديمي الفرنسي وتوفي في الثاني من شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٢

الدورات واللفتات للتوفيق والتطبيق العقيمين . ومع ان كتاب رنان هذا يظهر ان كاتبه انا كان قصيصاً مختلفاً خالطاً بين اللغات والتاريخ وعالماً متضلعاً من الآداب السامية قد اعماه التعصب الجنسي عن تأدية الحق المجرد عن كل غاية — فانه قد أخذ شهرة واسعة واقبل الكثيرون على قراءته حتى غير المؤمنين وغير الاختصاصيين في هذه الابحاث .

ولكن قيمة الكتاب لا تقوم بكترة الراغبين في قراءته من الجمهور ، او بسرعة الاقبال عليه ، لأن المؤلف الذي يكتفي بذلك وحده ولا يفكر في شيء اخر سواه يُظهر انه انا كتب كتابه مدفوعاً بمحبة الشهرة الفارغة لا سعيّاً وراء المنفعة الخالدة . على انا نسلم ان افضل ميزة للكتاب هي الاقبال على قراءته من جمهور القراء لما في ذلك من رواج الافكار المودعة بين دفتيه ، لا سيما اذا كان يرمي الى تحريك كوابن العواطف البشرية ، واصلاح ذات القلوب .

ومؤلف هذا الكتاب يرى — واداً كان على غير هدى فانه يشكر لكل من يوضح له خطأه ويهديه سواء السبيل — انه لا يوجد بين الوف الكتب التي سطرت فيها حياة المسيح كتاب واحد على الاقل يجرّب ان يقدم طعاماً ملائماً للروح ، ويفني بحاجات ابناء هذا الزمان . بل كل ما في تلك الكتب طوائف طوائف من البراهين العقائدية والباحث العلمية المتضاربة .

نحن اليوم في حاجة الى كتاب حياة ومحبة ، يجدد في عيون

الاحياء ، صورة يسوع الحيّ الى الابد بمظهر حيوى محبوب امام عيون ابناء هذا العصر ، ويجعلهم يشعرون في اعماق قلوبهم ان يسوع حاضر معنا الان ، والى آخر الدهور يراقب حياتنا بعطف وحنان .

نحن في حاجة الى كتاب يظهر يسوع بكل عظمته الحية الحاضرة - العظمة الخالدة التي أُعطيَ لنا نحن الاحياء ان نتمتع بها حيناً - يظهر هذه العظمة لاولئك الذين احتقروه وانكروه ، والذين لا يحبونه لأنهم لم يروا وجهه الحقيقي في حياتهم ، ويوضح العجائب والمعجزات الفائقة الطبيعية التي رافقت بدأءة حياته البشرية الساذجة ، الحقيرة ، المجهولة ، وكيف ان البشرية الساذجة ووداعة القلب السليمة اشرقت للجميع عند ما صار مخلصاً سماوياً في نهاية حياته ، عند ما صار شهيداً ، وقبر وقام ثانية بمجده الاهي من بين الاموات .

نحن في حاجة الى كتاب يظهر ما في تلك المأساة الخالدة التي اشتركت السماء والارض في تدوينها من التعاليم العديدة الملائمة لازواحنا والموافقة لعصرنا الحاضر ولحياتنا ، هذه التي نستطيع أن نلامسها ونعتنقها ليس فقط في تعاليم يسوع وأقواله بل في كل مظاهر من مظاهر حياته على الارض من مغاراة بيت لحم الى سحابة بيت عنيا . كتاب يكتبه عامي للعوام الذين هم غير مسيحيين أو هم مسيحيون بالاسم فقط ، كتاب لا يتكلف الطقوس المزورة ولا بلاغة العلم المنمق وانما يكون كتاباً علمياً بطريقة تأييده للحقائق ، وبكلمة

وجيزة ، نحن في حاجة الى كتاب يكتبه كاتب عصري يحترم فنه ويفهمه فهاً صحيحاً ، ويعرف كيف يسترعى اتباه الجمهور ولو كانوا من الدّ أعدائه .

« ٤ »

على ان المؤلف لا يدعي انه أبرز الكتاب المنشود بكتابه هذا . ولكنـه قد سعى جده وبذل كل ما وصلت اليه طاقته لجعل كتابه هذا قريباً من ذلك المثال الاـكمل وبـملء الاخلاص والاتضاع يصرّح في هذه المقدمة أنه لم يكتب « تاريخاً علمياً ». اولاً ، لـانه ليس من فرسان هذا الميدان ، وثانياً ، لـانه لا يريد أن يفعل ذلك ولو تيسرت لديه جميع المـعارف الـضرورية لـمثل هذا العمل . وهو ينصح للقارئـ الاـديـبـ أنـ يـضعـ نـصـبـ عـيـنيـهـ قبلـ قـرـاءـةـ هـذـاـ الـكـتابـ انـ مؤـلـفـهـ اـنـماـ كـتـبـهـ فـيـ مـكـانـ مـنـفـرـدـ ،ـ فـيـ الـبـرـيةـ الـبـعـيـدةـ عـنـ الـخـضـارـةـ ،ـ وـانـهـ لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـ سـوـيـ عـدـدـ قـلـيلـ مـنـ الـكـتـبـ ،ـ وـلـمـ يـحـصـلـ عـلـىـ مـسـاعـدـةـ لـاـ مـنـ صـدـيقـ نـاصـحـ وـلـاـ مـنـ اـسـتـاذـ مـصـحـحـ وـمـنـقـحـ .ـ وـلـذـلـكـ يـجـبـ أـلـاـ تـصـوـبـ اـلـيـهـ سـهـامـ النـاقـدـينـ اوـ غـيرـهـمـ مـنـ يـفـحـصـونـ الـيـنـابـيعـ الـاـولـيـةـ ،ـ الـيـتـيـ مـنـهـاـ يـسـتـقـيـ المستـقـونـ ،ـ بـمـكـروـسـكـوـ باـتـهمـ الـدـقـيـقةـ ،ـ وـلـكـنـ ذـلـكـ مـاـ لـاـ يـعـبـأـ بـهـ اـزـاءـ مـاـ سـيـجـلـبـهـ هـذـاـ الـكـتابـ مـنـ التـعـزـيـةـ وـالـخـيـرـ لـلـنـفـوسـ الـمـحـاجـةـ اـلـيـهـ .ـ لـانـ المؤـلـفـ يـرـيدـ مـنـ صـمـيمـ قـلـبـهـ اـنـ

يكون هذا الكتاب مجيناً ثانياً للمسيح لا موتاً ثانياً .

وقد اعتمد المؤلف في كتابه هذا على الاناجيل الشريفة متخذًا منها خلاصة «حياة المسيح» وهو يعترف بصرامة بأنه ليس من تهمهم المباحثات التي لا نهاية لها ، والجادلات العقيمة الطويلة في صحة الاناجيل الاربعة وقانونيتها ، أو تاريخ كتابتها وما فيها من الحواشى والقراءات ، أو علاقتها واحدها بالآخر ، أو في مصادرها وغير ذلك من الابحاث التي لا فائدة منها . لانه ليس لدينا مستندات أقدم عهداً من الاناجيل وليس من كتابة يهودية أو وثنية تتيح لنا أن ننفع هذه الاناجيل أو نكتذبها غير أن الذي يأخذ على نفسه السعي وراء هذه المستندات يستطيع أن يهدم معتقدات كثيرة ، ويفسر كثيراً من الاراء ، ولكنه لا يقدر بعمله هذا أن يُقرب الناس خطوة واحدة نحو معرفة المسيح الحق بل ربما كان للكثيرين عشرة وشکاً . لأن يسوع حيٌّ في الانجيل ، حيٌّ في تقاليد الرسل والآباء ، حيٌّ في الكنيسة التي أسسها وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وكل من تسول له نفسه أن يخرج عن هذه المصادر الثلاثة فلا يجد سوى الظلمة والسكون . ولذلك وجب على الذين يريدون أن يقبلوا إلى نور معرفة المسيح أن يقبلوا الاناجيل الاربعة كاملة ، حرفاً حرفاً ، وجملة جملة ، — والا فالاجدر بهم أن يرفضوها بكلملها من أولها إلى آخرها قائلين «اننا لا نعرف شيئاً» وأما الذين يريدون

لخص هذه الكتب الظاهرة للتمييز بين ما هو موثوق بصحته منها وما هو مشكوك فيه ، بين ما هو تاريخي حقيقي وما هو خرافي وهي بين ما هو مزيد على الأصل وما هو عقائد اصلي - فانما هم مباشرةون عملا لا أمل من وراءه : بل كثيراً ما ينتهي بالفشل وتضليل القراء السليمي النية ، وفوق ذلك فانهم بعد أن يتبعوا في صحارى الشك مناقضين ذواتهم بذواتهم يعودون الى حيث كانوا بدون أن يفهموا شيئاً جديداً لم يفهموه قبل ذلك . غير أن أكابر علماء العهد الجديد الثقات قد اجمعوا كلتهم على أن الكنيسة قد تكونت في العصور الأولى من انتقاء أقدم وأضبط نسخة للإنجيل التي كانت معتبرة ومحترمة من الجميع في ذلك الزمان . وذلك كل ما زر يده ولا رغبة لنا في سواه .

وأما الكتب التي اعتمدتها المؤلف غير الإنجليل فهي كتاب « لوغيا - وغرافا » الذي هو قال للإنجيل في الأهمية ، وبعض كتابات أبو كريمية بفطنة وتحفظ وتسعة أو عشرة كتب من ترجمات يسوع الحديثة .

والمؤلف يدرك جيداً أنه في كتابه هذا كثيراً ما بعدت آراؤه عن آراء الكثيرين من المؤلفين في هذا الموضوع . لأن المسيح الذي دسم حياته هنا مجرد من جميع المظاهر الخارجية التي نراها امام عيوننا في الصورة المقدسة - وكل ما يرمي إليه من وراء هذا الكتاب هو أن

يأتي بالفوائد التي يحتاج إليها العالم اليوم ، وان يكون كتاباً نافعاً قبل أن يكون كتاباً جميلاً . ولأنمام الفائدة قد أعاد كثيراً من الأقوال التي قالها غيره من قبله مما لم يكن قد سمع به من قبل . غير أن موضوع هذا الكتاب ، وهو الحق بعينه ، واحد لا يتغير ، ولا يستطيع انسان أن يزيد عليه شيئاً جديداً سوى أن يقدمه للعالم بقالب أكثر تأثيراً في قلوبهم وأسهل تناولاً على افهمهم .

وقد تجنب المؤلف أشواك التنقيب العلمي كما تجنب الخوض في عباب المباحث اللاهوتية العميقه وأسرارها . ولكنـه قد أقبل إلى يسوع بيساطة قلب ، وحرارة شوق ، ومحبة كاملة كما جاء إليه صيادون كفر ناحوم في قديم الزمان ، الذين لسعادتهم كانوا أشدّ جهلاً منـ هذا المؤلف المسكون .

ولما كان المؤلف ابنـاً مطيناً « للكنيسة الكاثوليكية » مؤمناً بعقائدها المسطرة في انجيلها الموحى فقد كان واضعاً نصب عينيه الباس هذه العقائد ثواباً جديداً يتفق مع رغبات هذا العصر لقيادته إلى مناهج الحق والسلامة . وبالاجمال فإنه يصرخ مع الرسول القديس بولس قائلاً « قد صرت للذين لا شريعة لهم كأنـه لا شريعة لي لكي أرجـع الدين لا شريعة لهم . وللضعفاء صرت ضعيفاً مثلـهم لكي أرجع الضعفاء . قد صرت كل شيء لـكل الناس لـكي أخلص البعض بكل شيء . وانـما فعلت ذلك من أجل الانجـيل »

وقد عُنِيَ المؤلف أن يصور العالم اليهودي والعالم الوثني معاً في كتابه هذا بصورة واضحة لكي يظهر عظمة المسيح بمقابلته مع جميع من سبقوه في العهدين الوثني واليهودي . فلم يتبع الترتيب التاريخي في سرد كل وقائع حياة المسيح لأن رأى ذلك أكثر انتظاماً على فكرته التي لم تكن تاريجية فقط « كما سبق فقال » بل إنما يرمي من ورائها إلى ترتيب الحقائق التاريخية في حياة المسيح ترتيباً بيناً ظاهراً بعضها وراء بعض من غير أن يتركها متفرقة هنا وهناك في سياق الترجمة .

وقد شاء تجنبًا للتبرج في شكل الكتاب أن يهمل الحواشى والشروحات فيه ، وأما المصادر التي دعم بها حقائقه فقد أوردتها بحرفيتها كما وردت مؤلفها . ذلك لأنه لم يشاً أن ينتحل لنفسه ما ليس فيه من البراعة في ترجمة الكبراء . ولا أن تخرج من سراج كتابه أقل رائحة تدل على أن الزيت الذي فيه زيت لوذعية وفلسفة . أما ذوق الاطلاع فأنهم يعرفون لدى قراءتهم هذه الحقائق ، المصادر التي استقيت منها ، والآراء التي اختارها المؤلف في حل كثير من القضايا الانجليزية . وأما الذين يتوقعون أن ينظروا كيف ظهر يسوع ولا تهمهم نظريات العلماء والمفسرين فأنهم يتبعون بين الحواشى والهوامش وينتهون من قراءة الكتاب وكأنما لم يبدأوا بعد .

ومن الآراء الغريبة التي جاء بها المؤلف في كتابه ويود أن يلفت انتباه القراء إليها في هذه المقدمة ، رأيه في المرأة الخاطئة التي بكت

على قد미 يسوع فإنه بالرغم من ان المطلع على الانجيل الاربعة يرى
أن امرأتين مختلفتين في حادثتين متنوعتين جاءتا الى يسوع ، فقد
أجاز المؤلف لذاته ، لقصد فني ، أن يورد الرواية كأنها عن امرأة
واحدة وليس عن اثنتين . ولذلك فهو يستميح القراء عذرًا وهو واثق
بأنهم عاذرون ، ولا سيما وان هذه القضية ليست مما يمس عقيدة .

وقد تجنب أيضًا أن يفيض في شرح الواقع المعرضة في حياة
يسوع التي كانت تظهر بها الأم العدراء ، لأنه لم يشاً أن يجعل هذا
الكتاب أطول مما هو ، وبنوع خاص لأنه رأى انه يستحيل عليه
بمثل هذه الاشارات الوجيزه أن يظهر فيض غنى الجمال الروحي البادي
في شخص مريم . لأن ذلك يحتاج الى مجلد ضخم غير هذا المجلد ،
والمؤلف عازم على الشروع فيه ان اطال الله في حياته وقوته « لكي
يقول فيها ما لم يقله أحد عن امرأة قط »

وربما يلاحظ ذوق الاطلاع من علماء الكتاب أن كثيراً
من الحوادث المهمة قد اختصرت في هذا الكتاب في حين أن
كثيراً غيرها قد أضاف المؤلف في شرحه فوق المعتمد والمعروف ،
وما ذلك الا ان بعض المواضيع بدا أكثر موافقة لقصد الكاتب
الذى هو (بلغة مهجورة وغريبة عن اصطلاحات أقوام اليوم
السفسطائيين) قصد البيان والتهدیب .

« ٥ »

اجل ان هذا الكتاب — ومؤلفه يعلمكم سببيه من الهراء
بسبيه — انتا وضع ليكون كتاب بنيان وتهذيب ، كتاب بنيان
وتهذيب للنفوس البشرية الحاسة لتجديده طبائعها تجديداً روحانياً ،
وليس للارواح المنقبضة بالتعصب الديني المقوت الذي طالما كان
حائلاً بين الناس والانجيل .

فإن من يبني بيته أباً يعمل عملاً عظيماً وصالحاً ، لأنه يوجد
لنفسه ملجاً يقيه برد الشتاء وخطر الليل والآيات . ولكن ما اسمى
بناء الإنسان نفسه بحجارة الحق الخالدة ! وإذا حدثك أحد عن البناء
فأنك لا ترى في ذلك سوى كلمة قد أخلفها الاستعمال وأكل الدهر
عليها وشرب فلم تبق لها قوتها الأولى . كان البناء يطلق في القديم
على اقامة الجدران والحيطان لحماية الإنسان والحيوان . ولكن من
من القراء خطر له أن يخصي المواد التي يحتاج إليها البناء في اقامة
بيت ، او اي بناء آخر سواه ، على أساسات راسخة ، وبجدران متينة .
وستقف مرتکزة على اعمدة ثابتة ؟ ليفتكر القارئ وليتأمل في كل ما
يحتاج إليه الإنسان في بناء مسكنه . حجارة منحوته من رعة جيداً ،
وقرميد مشوي شيئاً كاملاً ، وجسور وأخشاب سالمه من العطب ،
وكلس جديـد ، ورمل نقـي صالح للبناء ، وسمـنـتـ وليـقـونـةـ لم تـقـدـهاـ

الايم قوتها ! وبعد ذلك صبر في صدور عمال ذوي اختصاص مدرسين
لكي يضعوا كل شيء في موضعه ، فيقيموا الحجارة بعضها فوق بعض
بدقة ومهارة لئلا تسقط من مواضعها ، ولا يضعوا كثيراً من الماء او
الرمل في الطين ، ويحافظوا على رطوية الجدران ، ويعرفوا كيف
يسدون الشقوق والثقوب ، ويدلّكون الطين الخشن ليصير جميلاً
ناعماً ! كل ذلك لكي يتعالى بيت الانسان يوماً في يوماً في بنائه نحو
السماء — البيت الذي سيقطن فيه هو وامرأته ، البيت الذي سيولد
فيه اولاده ، البيت الذي سيضم شمله مع اصدقائه واحبابه المقربين .

وكم هنالك من الناس الذين يعتقدون بأنه يكفي الانسان
العازم على تأليف كتاب ما ان يكون في رأسه موضوع من المواضيع ،
فيأخذ كلمات معدودة ويضعها الى جانب البعض ، فيكون له
من ذلك الكتاب الذي يريد وضعه . ولكن هذا الاعتقاد وهم
فاضح ، وضلال مبين . فليس اتون الكلاس او مقلع الحجارة بالبيت
الذي يقطن فيه الانسان . فان بناء البيت ، او تأليف الكتاب ، او
تهذيب النفس ، يقتضي له جهود واسعة يبذل فيها الانسان كل ما
تصل اليه قوته من الهمة والنشاط . واما الغاية من هذا الكتاب فهي
تهذيب النفوس المسيحية تهذيباً صحيحاً يقودها الى معرفة يسوع . وما
أحوجها الى هذا التهذيب في عصرنا الحاضر . لا يمكن المؤلف ان
يتحقق بنجاح فكرته نجاحاً تاماً ولكنه واثق بأن القراء سيرون بين

ايديهم كتاباً — وليس مجموعة اوراق — او معرض قطع صغيرة متقطعة — كتاباً متوسط الحجم والقدر ، كتاباً ممتئاً من الاغلاط ، بيد انه كتاب مبني بناء جيداً ، كتاب عني صاحبه في كتابته كما يعني البناء الماهر في بنائه المتينة ، كتاب له روحه الخاصة وهندسته الخاصة ، كتاب له بناؤه الروحي الخاص بكتابه وبديع اتقانه . واقسامه واروقة — وشرفاتها المتتجهة نحو السماء والمطلة على الحقول .

وقد شاء المؤلف بصفته هزاولاًً فن الكتابة ، ان يستعير من فنه ، في اثناء كتابته ، صوراً جديرة بكتاب كهذا ، ولكنـه يعترف بصراحة بأنه لم ينشأ قط أن يخرج كتابه هذا آية في البلاغة ، أو في جمال الشعر وسموّه ، لأن الحقيقة أعز على قلبه من الجمال . ولكن اذا كانت مقدراته ككاتب — على شدّة قصوره في هذا الفن — ككاتب محب لفنّه — تساعد في اقناع نفس واحدة وهدايتها الى يسوع فان ذلك يجعله شاكراً لما أوتيه من حقير الموهاب . وفوق هذا فقد ساعدته محبته للشعر على اظهار الحقائق التاريخية بصورة حية جديدة . وانحصاراً بعد ان تحجرت على عمر الاجيال في جودها ، وتعودت الاذان سمعاً لها واحدة من غير تغيير .

فان من أسعد بخيال بعيد ينظر الى كل شيء كما لو كان جديداً . فكل نجم كبير لامع في الافق البعيد يقودك في ظلمة الليل الى البيت الذي يحجب ابن الله : وفي كل مزرب من مزارب الحيوانات مزدود

يقودك بالذهب الى مذود بيت لحم ، مهد الراحة والخلاص ، وكل
قنة جبل عارية مشعّعة النور من أنوار الصباح الذهبية فوق
التلال الراقدة في الظلال تستطيع ان تذهب بك الى قنة سيناء
او جبل ثابور . وفي النيران وفي التبن والقش ، وفي مشاحن الفحم
المستعلة على التلal في سكينة الليل يمكنك ان ترى عمود النار الذي
اناره رب لكي يقودك في غيابة الصحراء ، واعمدة الدخان المتصاعدة
من أكواخ الفلاحين الفقراء تظهر الطريق عن بعد للفعلة العائدين
من اعمالهم الى أكواخهم . والاتان التي تحمل الراعية القادمة
وراء بقراتها الحاوب قد حملت النبي الى خيامبني اسرائيل والفادي
الى اورشليم قبل عيد الفصح . والحمامات التي تهدل على حافة السطح
القرميدي تعيد الى ذهنك الحمامات التي اعلنت نهاية القصاص بالطوفان
للبطريق ، والحمامات التي انحدرت فوق مياه الاردن . فان الشاعر يرى
لكل شيء قيمته وكل الاشياء متساوية بالقيمة في عينيه ، وكل شيء
حاضر امامه ، والتاريخ بجماع حوادثه هو تاريخ مقدس .

وان المؤلف يستميح زملاءه الكتاب المعاصرین عذرًا على
خروجه من حدود الكتابة المألوفة التي يلقبونها بالفصاحة والبلاغة
زورًا وبهتانًا ، وما هي في الحقيقة سوى مجموعة مبالغات ومتناقضات
لا يعرف أوكها من اخرها وهو يعرف جيداً ان فصاحة الكلام وبلاغة
الالفاظ قلما تغوي قراء العصر الحديث ، كما أن الثياب الحمراء القانية

لَا تستغوي المرأة الساكنة في المدن الكبيرة ، وكما أن الارعن الذي في الكنيسة لا يطرب الراقص الطروب . ولكن لم يهمل الفصاحة في كل موافقه ، لأن البلاغة اذا لم تكن مزورة مقلدة تُعبّر عن عبقرية صاحبها وشدة ايمانه ، ولكن قلما نحتاج إليها في عصر قل ايمانه ، ووفرت زندقته ، وفوق ذلك فان حياة يسوع ذاتها مأساة بل شعر خالدة فصاحتها ، يدخل اعمق النفس ولا يعوزه سوى الكلمات الساذجة المعبرة عن شعائر القلب .

وبوسويه (١) الذي ما كان يجهل فن الخطابة ، قال : « شاء الله أن نزيل من كلامنا ما يشتفف الاذان ، وكل ما يلذ ذا الرواح ، وكل ما يهيج الخيلة ، حتى لا نبني إلا الحقيقة الخالصة التي إنما هي وحدها القوة الفعالة التي يوليهما الروح القدس . اذا لا غرض لنا إلا ارجاع الناس الى الحق » قول مصيبة ! لكن : من يستطيعه ! كانت أيام وكان مؤلف هذا الكتاب يستعمل في كتاباته ببلاغة فيها من القوة والحياة ما يحرّك جميع القلوب وخيالا فيه من الفن وبعد ما ينقل النفس عن طريق السحر والافتتان الى عالم النور والذهب والنار . وكثيراً ما كان يأسف كل الاسف على انتقاده الى

(١) المطران الغرنساوي الملقب بنسر « مو » لسمو معانيه ومبانيه وهو من اخطب خطباء القرن السابع عشر بل من اخطب خطباء النصرانية . جزء العبارة دامغ الحجة . له تاليف جليلة . كان مهذب ولی عهد فرنسا وقد وضع له كتاباً لا تزال الى اليوم ذات قيمة في التاريخ والمجتمع (١٦٢٧ - ١٧٠٤)

خيال المصور الفني ، وعبرية الكاتب اللوذعي ، واستسلامه للنقش
والحفر والترصيع حتى لم يعد يقوى على ان يتراكم للاشياء الطبيعية عريها
الجميل المتضمن كل ما في الطبيعة من القوة .

الا أن المؤلف لا يعرف كيف يجب أن يؤلف كتابه حتى ينتهي
من تأليفه . ولذلك وجب عليه بعد أن يفرغ من كتابة اخر كتلة
في كتابه ان يعود الى أوله فيبدأ العمل ثانية مستخدما في العمل الثاني
ما اكتتبه من الاختبار في عمله الاول . ولكن اين الذين لهم من
الصبر والجلد ما يستطيعون معها أن يضعوا ذلك ، او على الاقل اين
هم الذين يرون هذا الرأى في العالم

وربما يظهر لبعض قراء هذا الكتاب ان قسما منه اقرب الى
الوعظ منه الى التاريخ . وقد كانت هذه الحقيقة في مقدمة الاسباب
التي حدث بالمؤلف الى وضع هذا الكتاب . لأننا قلما نرى في هذه
الايات سوى العجائز من الرجال والنساء في الكنائس لسماع الموعظ
التي كثيراً ما تكون جامدة ، بعيدة عن الحياة ، بل كثيراً ما تتكرر
الحقائق الاساسية امامهم من غير ان يفهوا لها معنى - ويجب الا
نغفل عن الذين هم خارج الكنائس من العلماء والفقهاء ، وال فلاسفة
السفسيطائيين الذين سرت الى اذهانهم سموم المادة ، وهم لا يدخلون
كنيسة في حياتهم ولكنهم يدخلون المكاتب في كل يوم . أولئك
الذين لا يصفون الى عطة قيسيس مهما كففهم ذلك . ولكنهم

يقبلون على قراءتها عندما تكتب في كتاب . وانه ليتمكننا أن نصرح باجلى بيان أن هذا الكتاب اثما كتب للذين هم خارج كنيسة المسيح . وأما الذين لا يزالون في أحضان الكنيسة متحدين مع خلفاء الرسل الاطهار فانهم ليسوا في حاجة الى كلامي .

ويستميح المؤلف لنفسه عذرًا على جعل هذا الكتاب كبير الحجم كثير الصحائف في موضوع واحد ، في حين ان أكثر الكتب في هذا العصر وفي مقدمتها كتب المؤلف – هي عبارة عن بعض صفحات مأخوذة من الجرائد والمجلات ، وقصص وحكايات صغيرة ، أو بعض ملاحظات منقولة لا تزيد في الغالب على مائتين أو ثلاثة عشرة صحفة . وأما كتابة مجلد كهذا في موضوع واحد فامر ربما يظهر أن القائم بها مدعاً مغتر . ولاشك أن هذا الكتاب سيظهر طويلا لقراء هذا الجيل الذين تعودت معدهم البرشان الخفيف الرقيق فلم تعد تقوى على هضم الخبر الناضج المحتوي على كل مقويات الحياة . ولكن الكتاب كالآيام تكون طويلة أو قصيرة بالنسبة الى ما تتركه من التأثيرات .

والمؤلف لم يبرا حتى اليوم تمام البرء من كبرياته ليظن أن كتابه هذا ينفر منه القراء لانه طويل ولكنه يطمع بأن الناس يقرأونه بغير ملل . ولكن ما أصعب أن يشفى الانسان نفسه من داء العجرفة والكبرباء ولو كان هو ذاته من يرغبون في ابراء الآخرين .

« ٦ »

منذ بضع سنوات وضع المؤلف كتاباً وصنف فيه كآبة حياة انسان أراد أن يصير آهلاً . واليوم وقد بلغت سنو حياته ومدارك عقله يكتب كتاباً آخر شارحاً فيه حياة آله شاء بارادته أن يصير انساناً ! في تلك الايام السوداء أطلق هذا المؤلف بعينه العنان لهواه ورغبات نفسه الجامحة ، فتاه في مجاهل الشك وضل في مسالك المتناقضات وهو يعتقد بأن انكار كل أمر فائق للطبيعة أفضل طريقة لتجريد الانسان من التعصب الديني والدنيوي للوصول الى الكفر والاحاد الكاملين ، وقد كان في عقيدته هذه من المنطق ما كان في عقائد كارو بيم داتي^(١) الاسود ، لأن الانسان مخier بين امرتين وعليه أن

(١) داتي : هو اعظم شعراء ايطاليا ، ولد في فلورنس في اواخر ايام سنة ١٢٦٥ من اسرة نبيلة . وقد تعمق من درس جميع معارف زمانه ، وبالغ في الاسفار وال نقاط الاخمار عن الحوادث والامم المختلفة . وفي سنة ١٣٢١ مات وهو في سفره في مدينة رافنا فقبر هناك وما برحت عظامه فيها . اشهر مؤلفاته منظومته الحالية المدعومة (بالكوميديا الالهية) وهي تقسم الى ثلاثة اقسام ، الجحيم ، والمطهر ، والفردوس ، وقد كتبها كلها وهو بعيد عن وطنه . وخلاصة هذه المنظومة ان الشاعر حلم حاما رأى نفسه في غابة خضلاء ظهر له فيها خيال فرجيل وطلب اليه ان يقوده الى الجحيم والمطهر ويريه سرارها ولم يكن في طوق فرجيل الوثني ان يأخذه الى الفردوس ولذلك اخذته بيتريس بورتياري المرأة التي تعشقها روحه وهو في التاسعة من عمره ، وقد اظهر بوضعه لها الصفات السامية التي كانت تتحلى بها والقوة السحرية التي كانت لها على حياته .

يختار واحداً منها — الله أو لا شيء . لأننا إذا أبطلنا عبادة الله فاننا
أنما نبطل بذلك عاطفة العبادة في قلوب الناس ، ونبطل أيضاً آية حجة
كانت في رفع أوثان القبائل أو غيرها من أصنام العقل أو الشعور .
في تلك الأيام السوداء أيام الغطرسة والكبرياء تجراً كاتب هذه
السطور على اهانة يسوع كأهانه نفر غيره من قبله . ومع ذلك فإنه
بعد مرور ست سنوات (محبولة بالآلام والأوجاع من داخل قلبه
وخارجها) بعد أشهر طويلة تقضت بالصلوات والدموع عاد بفؤاده إلى
عمل كان قد شرع فيه منذ سنين عديدة ، وكأنما كانت تدفع به
إلى عمله هذا قوة غير منظورة أسمى وأقدر منه ، باشر كتابة « حياة
المسيح » هذه التي رغب فيها رجاء أن تكون بعض الكفار له عن

وفي السفرة الأولى إلى الجحيم يصف دانتي بالمعظم الشقاء الذي سيصير إليه
الجحيم ، ومن الجحيم برفقة فرجيل إلى المطهر حيث يصف بعنترى الخيال الشعري
عذاب الانفس الموقت في المطهر — ومن المطهر ينزل إلى الفردوس الارضي حيث
يرى يساتريس فتحمه ويسعدان معاً إلى الفردوس السماوي ، وبعد أن يجتازا
معاً الدوائر السبع الأولى يبلغان إلى الثامنة ، وهناك يرى الجنال العظيم الذي
يحيط بالنادي السكري ويجلس في السماء التاسعة يرى دانتي نفسه في حضرة الجوهر
اللهي ، ويرى نفوس الابرياء جالسة على عروش عظيمة في حلقات لا أول لها
يعرف ولا آخر يوصف . وعندما بلغ السماء العاشرة لم يستطع أن يرى الله
سبحانه وتعالى من عظمة النور المشرق هنالك — هذه خلاصة منظومة دانتي
وحبذا لو ينقلها أحد شعرائنا إلى اللغة العربية كما فعل المثلث الرحمات سليمان
البستاني بالإيذة ، وفي هذه من الشعر والحقيقة والعلم والدين اضعاف اضعاف
ما في الإيذة .

جرائم الماضية ، ولطالما حدث أن الذين كانوا يبغضون يسوع ومن ألد أعدائه صاروا في مقدمة أصدقائه المتفانين في حبهم له ودافعهم عنه . لانه كثيراً ما يكون البعض عاطفة محبة عميقه لم تنضج بعد : بل كثيراً ما يكون البعض أساساً راسخاً أفضل للحبة عن عدم المبالغة وانه ليضيق بنا المقام اذا جئنا نوضح كيف وجد المؤلف الطريق المؤدية الى يسوع بعد أن اجتاز المسافات البعيدة ومشى على طريق متعددة أدى به جميعها الى اقدام جبل الانجيل ، لأن ذلك عدا ما فيه من الصعوبة يستغرق مجلداً كاملاً . ولكن هنالك عبرة كبرى في الامثلة التي تلقاها علينا حياة رجل كان منذ صباح من أشد التأثيرين المتمردين على كل إيمان ودين ، الذين يبغضون جميع الكنائس على السواء ويقتلون سائر أنواع العبودية الروحية ، وقد هرت به اختبارات كثيرة متنوعة وهو يتقلب بين الشك واليقين الى أن جمع في صدره رغبات عصر متقلقل لا يقر قراره ولا راحة فيه — الرجل الذي بعد أن عاش في الضلال والهدىات والاحلام اعواماً عديدة عاد ثانية الى يسوع وكانت عاد من الموت الى الحياة . أما رجوعه الى يسوع فلم يكن عن تعب وملال من حياته الماضية لأن ارتداده جعل الحياة أكثر صعوبة عليه من ذي قبل ، والمسؤولية الملقاة على عاتقه كجندى ليسوع أثقل وأثقل ، كلا ، ولم يكن ارتداده عن تقدمه في الايام لانه لا يزال في مصف الشبان ، وليس عن محنة

الشهرة لأن العالم بحالته الحاضرة يرحب بالكفرة والمعطليين ويكره الزنادقة والمارقين من الدين أكثر مما يعبأ بالمؤمنين . ولكن هذا الرجل المرتد من الظلمة إلى نور المسيح رأى أن يسوع مظلوم وقد غدر به أصدقاؤه وتناسوا أمره فهبه لكي يعيد ذكره إلى الذهان ويرجعه إلى القلوب التي أقفرت من المحبة في غيابه عنها ، ويدافع عنه .

فإن القائمين بالثورة على يسوع لم يقتصروا على أعدائه فقط ، بل إن أقرب المقربين منه الذين كانوا تلاميذ له في حياته لم يفهموه . حق الفهم بل غادروه أخيراً ضار بين صفحًا عن تعاليمه . وغيرهم كثيرون من الذين ولدوا في كنيسته وتعبدوا باسمه قد ترددوا على تعاليمه ، وعصوا أوامره ، وباتوا يهتمون بصورته على الخشب أكثر مما يهتمون بمثاله الحي في القلوب — باتوا يعتقدون أنهم بشفاقهم الظاهرة وتقواهم الكاذبة التي تحرك شفاههم لقبيلات اليوداسية ، وركبهم للركعات الفرييسية الباطلة لأنها لم تصدر عن القلب — باتوا يعتقدون بأنهم قد أخدوا بذلك الرياء مع المسيح ، وأكلوا ما سألهم إن يفعلوه وانهم قائمون بما لا يزال يطلب به منهم وكل ما طلبه من البشر عيناً في مدة ألف وتسعمائة سنة . أجل . إن كتاب «حياة المسيح» اليوم هو جواب ضروري بل ماء مروّ لظمآن النفوس التائمة في بادية الكفر والحاد لان ميزان الرأي العام في القرن الحاضر ضديسوع . ولذلك كان الكتاب في حياة يسوع ثقلًا يوضع في كفة الميزان حتى ان

الحرب الخالدة بين الحبّة والبغض تسفر على الأقل عن موازنة العدالة.
هذا وإن المؤلف لا يعبأ إذا سماه البعض من الناقدين رجعياً . لأن
الإنسان الذي يعتقد الناس بأنه متاخر عن زمانه إنما هو في الحقيقة
مولود قبل حينه . فان الشمس المائلة إلى المغيب هي بعينها الشمس
التي تنير في تلك اللحظة بلاداً آخرى غير البلاد التي تغيب فيها .
لأن المسيحية ليست قطعة قماش اورثناها الأجيال الغابرة فرثت
وبليت وقد تقاصم العهد على منافعها وحسناتها . بل إنما هي قوة
معنوية ، عند كثيرين من هذا الجيل حتى إنها لم تبدأ بعد . فان
العالم ينشد ، اليوم ، السلام أكثر مما ينشد الحرية ، غير انه لن ينال
سلاماً الا تحت ذير المسيح .

يقولون ، ويأبطل ما يقولون ، ان يسوع نبي الضعفاء والمساكين ،
ولكن يسوع لم يأت إلا لكي يمنح الضعفاء قوة ، ويرفع المدوسين
تحت الأقدام إلى أرفع من ملوك . ويقولون أن ديانته إنما هي ديانة
المرضى والمائتين . ولكننا نراه سحابة حياته شافيةً للمرضى ، ومقيماً
لللاموات الذين سمائهم نائمين .

ويقولون أنه عدو الحياة ، ولكننا نراه يقهر الموت ويجرد
ملكته من الجبروت والسلطان . ويقولون أنه آله الحزن والكآبة
ومع ذلك فاننا نراه صاحباً يحضر تلاميذه على الفرح ، واعداً أصدقاءه
ومحبيه بملكته تسود فيه السعادة والأفراح .

ويقولون أنه عامٌ بالأماته والحزن وقهـر الذات في العالم . ولكننا
نراه في حياته يأكل ويشرب ، ويأذن بأن يُغسل رأسه وقدماه
بالعطور الفاخرة ، ويحتقر الصيام الفريسي لأجل المظاهر الكاذبة
وأخذ يدع التوبـة السطحية الباطلة .

كثيرون قد تركوا يسوع لأنهم لم يعرفوه ، ولو عرفوه لما
تركوه قط . وإنما كتب هذا الكتاب لأمثال هؤلاء القراء

وانـي استـيمـيك عـذرـاً إـيـها القـارـىـء انـ اـقـولـ انـ هـذـاـ الـكتـابـ
قد كـتـبـهـ رـجـلـ فـلـورـ نـتـيـنيـ وهوـ اـبـنـ لـلامـةـ الـتيـ منـ بـيـنـ سـائـرـ اـمـ الـعـالـمـ قدـ
اخـتـارـتـ يـسـوعـ مـلـكـاـ لـهـ فـقـدـ بـدـأـتـ هـذـهـ الفـكـرـةـ اوـلاـ فيـ
«ـسـافـونـارـوـلاـ»ـ سـنـةـ ١٤٩٥ـ وـلـكـنـهـمـ لـمـ يـسـطـعـواـ انـ يـنـفـذـوـهـاـ .ـ غـيرـ
انـهـ بـالـرـغـمـ مـنـ مـقاـومـاتـ عـدـيدـةـ قـدـ تـأـيـدـتـ فـيـماـ بـعـدـ بـالـأـكـثـرـيةـ السـاحـقةـ
سـنـةـ ١٥٢٧ـ وـنـقـشـتـ الـكـلـمـاتـ التـالـيـةـ عـلـىـ قـطـعـةـ مـنـ الرـخـامـ الـبـدـيعـ
وـضـعـتـ بـيـنـ صـورـةـ الـمـلـكـ دـاـوـدـ الـذـيـ صـورـهـ مـيـخـائـيلـ انـجـلوـ (١)

(١) مـيـخـائـيلـ انـجـلوـ :ـ هوـ اـشـهـرـ مـصـوـرـ اـيـطـالـيـ ،ـ وـكـانـ فـوقـ تـفـوـقـهـ فيـ
الـتـصـوـيرـ نـحـاتـاـ وـمـهـنـدـسـاـ وـشـاعـرـاـ .ـ وـلـدـ سـنـةـ ١٤٧٥ـ فيـ توـسـكـانـيـ وـمـاتـ سـنـةـ
١٥٦٣ـ فيـ روـمـيـةـ .ـ وـعـنـدـمـاـ ذـاعـتـ شـهـرـتـهـ فيـ الحـفـرـ وـالـرـسـمـ دـعـتـهـ حـكـومـةـ فـلـورـنـساـ
ليـزـينـ قـاعـةـ مـجـلـسـ الشـيـوخـ بـصـورـ وـتـمـاثـيلـ تـارـيـخـيـةـ ،ـ يـدـ اـنـهـ قـبـلـ انـ يـفـرـغـ مـنـ
عـمـلـهـ اـقـنـعـهـ الـبـابـاـ يـوليـوسـ الثـانـيـ اـنـ يـتـرـكـ فـلـورـنـساـ وـيـعـيـشـ فيـ روـمـيـةـ .ـ وـفـيـ هـذـاـ
الـوقـتـ عـمـلـ تـمـاثـلـ الـحـبـرـ الـاعـظـمـ الـمـوـجـودـ الـاـنـ فيـ كـنـيـسـةـ الـقـدـيسـ بـطـرـسـ فـيـ فـيـنـكـوـلـ
وـصـورـ قـبـةـ كـنـيـسـةـ سـيـسـتـيـنـ مـيـثـلاـ فـيـهاـ الـحـلـيقـةـ وـالـحـوـادـثـ الـهـامـةـ فـيـ التـارـيـخـ الـمـقـدـسـ .ـ
وـفـيـ سـنـةـ ١٥٣٠ـ كـانـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـمـدـافـعـيـنـ عـنـ فـلـورـنـسـ ضـدـ الـمـلـكـ شـارـلـ الـخـامـسـ .ـ

صورة تمثال هرقل (١) الذي نحته «بانياني» (٢) هكذا :

JESUS CHRISTUS REX FLORENTINI
POPULI P. DECRETO ELECTUS

وبعد هذا بثلاث سنوات بدأ عمله في الصورة العظيمة ليوم الدينونة التي أخذت عان سنوات من حياته . ومن أعظم صوره الأخيرة : اهتمام القديس بولس ، وصلب القديس بطرس في الكنيسة البوليسية . ومن أعماله المشهورة في النحت تنزيل المسيح عن الصليب ، وتمثال بخوس الذي قال فيه رافائيل انه لا يقل قيمة عن تمثال فيدياس او براكيستاليان وفي سنة ١٤٤٦ اضطر ان يتم بناء كنيسة مار بطرس في رومية ، فوضع الرسم للقبة وبناها ، بيد انه لم ينج في اجله ليرى رسمه تاماً ولذلك تغير الفليل منه بعد موته . وقد بني غير ذلك قصوراً وهياكل عديدة . وقد امتازت اعماله بالعظمة والمتانة ، اما اشعاره ، فهي وان حسبها وسيلة للتسلية واضاعة الوقت ، تدل على عبريته ونبوته ، واما نثره فغاية في الدقة والبلاغة وهو يقتصر على المحاضرات والخطب والرسائل .

(١) هيراكليس او هرقل : من مشاهير ابطال الاغريق . وهو ابن زفس (جوبيتر) وقد وتب بين الالهة بعد موته . وفي خرافات اشخاص كثيرون بهذا الاسم ، ولكن المشهور ان هرقل الحقيقي هو ابن جوبيتر والكمانة الملقبة عادة بالثيسية . وقد رافق ميلاد هرقل عجائب عديدة لان يونو شقيقة ساتورن واحدى نساء جوبيتر ارسلت حيتين لابتلاعه ، ولكنه قبض عليهمما وقتلهمما . وقد اجترح سلسلة من العجزات تسمى «اعمال هرقل الانبي عشر» وهي مسطرة في كتب خرافات اليونان . وفوق هذه الاعمال كان يساعد الالهة في حروبها مع الجبارية ، ويجترح العجائب والغرائب في كل موقعة . وحياته ممتلئة بالحوادث الخرافية التي يطول بنا شرحها .

(٢) بندينالي : نحات ايطالي مشهور ولد في فلورنس سنة ١٤٩٣ وتوفي سنة ١٥٦٠ وقد كان يحسد ميخائيل الجلو ويزاوجه في عمله . ومن اعماله المعروفة تمثال هرقل البطل الاغريقي ، وجسد المسيح ميتاً يحمله الملائكة ، وآدم وحواء وغيرهما .

و لا تزال هذه الكتابة ثابتة هنالك الى اليوم على رغم ما طرأ
من تقلبات الزمان ، ولا يزال الامر بوضع هذه الكتابة نافذاً من
غير ان يتغير او ينقض ، واليوم بعد مرور اربعائة سنة من السلب
والاعتصاب يفتخر مؤلف هذا الكتاب ان يسمى نفسه جنديا وعبدًا
ليسوع الملك .

المغاربة

وليس واسع في مغارة ، في مغارة حقيرة ، في مغارة حقيقية ،
وليس في فهو الطلق المنير الذي اخترعه المصورون المسيحيون لابن
داود كأنما هم ينجذبون ان يكون ربهم قد اتاكاً في الفاقة والقدار .
كلا . وليس في المغارة المقدسة التي يقيمها ابناء القرن الحاضر من
الرخام البديع ، تزيتها التمايل الصغيرة التي هي اشبه بتماثيل الحلوى ،
المغارة المقدسة ، البديعة ، المتقدمة التصوير المحكمة الهندسة وفيها
المزدود الجميل والترتيب والنظافة ، والحمار اللطيف المنظر ، والثور
المكتئب ، والملائكة يروحون بأ كاليلهم فوق السقف — ان هذه
المغارة ليست بالمغارة التي ولد فيها يسوع .

فان المغارة الحقيقية عبارة عن قبو او حبس تزرع فيه الحيوانات
العاملة لاجل الانسان . والمغارة الحقيرة القديمة التي كانت في البلاد

التي ولد فيها يسوع كانت تتألف من أربعة جدران غليظة ضخمة ، وأرض قدرة وسقف من الجذوع والأخشاب والتراب . لا تدخل إليها أشعة الشمس ولذلك تشتت فيها الرطوبة ويسود في داخلها الظلام ، وأنظف موضع فيها هو المزود (المulf) حيث يضع صاحبها التبن والعلف لحيواناته .

وكانت صروج الربع المتموجة في نقاء الصباح ، المرتعشة تحت خطرات النسيم اللامعة بقطرات الندى ونور الشمس ، قد قطعت وتجمعت أكداساً أكداساً . وكانت الأعشاب الخضراء والأذنات الطويلة قد قطعت أيضاً بالمناجل ووضعت إلى جانب الورود المتعددة الألوان – البيضاء ، فالحمراء ، فالصفراء ، فالزرقاء ، بيد أن الطبيعة كانت قد فرقت تلك النباتات وجفّفتها فأصبحت كلها حقيرة صفراء بلون واحد . وكانت الثيران تجر العجلات الحاملة غنائم حزيران الباردة إلى المخازن والاهراء . أما ذلك العشب الجميل وتلك الورود العطرة فكانت في ذلك الوقت من السنة علفاً وقشاً يابساً مخزوناً لا يام الشتاء ، وكان صاحب المغارة قد أعد قسماً من ذلك العلف ووضعه في المulf غذاءً لعييد الإنسان . وكانت الحيوانات تتلهّم تلك الأعشاب والورود اليابسة بأفواهها الواسعة ، وهكذا كانت الورود العطرة تتحول إلى قذارة وسرقين في تلك المغارة هذه هي المغارة التي ولد فيها يسوع . هذا هو اقدر مكان في

العالم وقد كان البيت الاول للطاهر النقى الوحيد المولود من امرأة .
فإن ابن الانسان ، الذى جاء لكي تلتهمه حيوانات وحشية تسمى
ذواتها بشرًا قد أخذ ، كمقره الاول بملء اختياره ، المذود الذى تأكل
الحيوانات منه ازهار الربيع العجيبة

على أن ولادة يسوع في مغارة حقيرة لم تكن صدفة من
الصدف لأنه اي شيء هو العالم سوى مغارة واسعة الارجاء يتربغ
العالـم في حـمـأـتـها وـاقـدـارـها ؟ بل أليس البشر انفسهم يغيرون في كل
يـوـمـ اـجـمـلـ وـاـطـهـرـ وـاـقـدـسـ الـمـوـجـوـدـاتـ الـتـيـ لـدـيـهـمـ إـلـىـ قـدـارـةـ وـسـرـقـينـ ؟
شـمـ لاـ يـلـبـشـونـ انـ يـهـبـّـواـ صـاحـبـينـ وـهـمـ يـتـرـغـونـ فـيـ حـمـأـةـ شـرـ وـرـهـمـ
وـاـسـاخـهـمـ قـائـلـينـ انـهـمـ يـتـتـعـونـ «ـبـلـذـاتـ الـحـيـاـةـ»ـ !ـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ
زـرـيـةـ الـخـنـازـيرـ الـقـدـرـةـ الـتـيـ لـاـ تـسـتـطـعـ زـخـارـفـ الـبـشـرـ وـعـطـورـهـمـ انـ
تـخـفـيـ رـائـحةـ اوـسـاخـهـاـ —ـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ وـلـدـ يـسـوعـ فـيـ سـكـيـنـةـ الـلـيلـ
مـنـ عـذـراءـ بـرـيـئـةـ مـنـ كـلـ عـيـبـ ،ـ مـتـسـلـحـةـ بـطـهـارـتـهـاـ ،ـ مـدـرـعـةـ بـعـفـتـهـاـ .

الثور والحمار

انـ الـحـيـوـانـاتـ قـدـ سـبـقـتـ الـبـشـرـ إـلـىـ عـبـادـةـ يـسـوعـ .ـ لـاـنـ يـسـوعـ
قـدـ اـخـتـارـ بـسـطـاءـ الـقـلـبـ مـنـ الـبـشـرـ :ـ وـمـنـ بـسـطـاءـ الـقـلـبـ اـخـتـارـ الـأـوـلـادـ .
وـلـكـنـ الـبـهـائـمـ التـعـبـةـ ،ـ وـهـيـ اـبـسـطـ مـنـ الـأـوـلـادـ وـأـوـدـعـ مـنـ سـائـرـ أـبـنـاءـ
الـإـنـسـانـ قـدـ رـحـبـتـ يـسـوعـ أـوـلـاًـ .

فالثور والحمار ، مع ما هما عليه من الاحتقار ، وبالرغم من أنها عبادات لخلوقات أضعف منها وأشد همجية . قد شاهدا الجموع يسجدون على ركبهم امامها . بل ألم يضطر شعب الله الخاص ، شعب يهوه العظيم ، الشعب الختـار الذي حررـه الرب من عبودية المـصـريـين — ألم يضطـروا هـارـون عـنـدـمـا تـرـكـهـم زـعـيمـهـم وـصـعدـ إـلـى الجـبـل لـكـي يـخـاطـبـ الـقـدـيمـ الـأـيـام — ألم يـضـطـرـوا هـارـون إـنـ يـصـنـعـ لهم عـجـلاً مـذـهـبـاً ليـعـبـدوـهـ ؟ وفي بلاد اليونان كان الحمار مقدساً عند عباد اريـس (١) وديونيسيوـس (٢) وافـلوـن (٣) وكذلك حـمـارـةـ بـلـاعـمـ (٤) وهي أحـكـمـ منـ النـبـيـ صـاحـبـهـ ، وقد خـلـصـتـهـ عـنـدـ مـاـ تـكـلـمـ

(١) اريـس او اوريـس : (المرـيخـ) الـهـ الـحـرـبـ وـرـبـ الـفـتـكـ وـالـبـطـشـ عـنـدـ الـيـوـنـانـ .

(٢) ذـيـونـيسـ اوـ دـيـونـيـسيـوـسـ رـبـ السـكـرـمـةـ وـالـحـمـرـةـ وـالـطـرـبـ وـالـلـهـ .

(٣) اـپـلوـ اوـ اـفـلوـنـ «ـهـوـ اـبـنـ جـوـيـتـرـ المـشـتـرـيـ»ـ كـبـيرـ الـآـلـهـةـ وـسـيـدـهـمـ منـ اـمـرـأـتـهـ لـاتـونـاـ ، وـيـسـمـيـ أـيـضاـ فـيـبـوـيـ .ـ وـهـوـ مـعـرـوـفـ باـسـمـاءـ كـثـيـرـةـ اـهـمـهـاـ ماـ يـأـتـيـ :ـ سـوـلـ (ـالـشـمـسـ)ـ كـسـيـنـثـيـوـسـ ،ـ نـسـبـةـ إـلـىـ جـبـلـ اـسـمـهـ كـيـنـيـثـيـوـســ فـيـ حـزـيرـةـ دـالـيـوـسـ ،ـ دـالـيـوـسـ نـسـبـةـ إـلـىـ جـزـيـرـةـ الـتـيـ هـيـ مـهـبـطـ رـأـسـهـ ،ـ وـدـالـفـيـكـوـسـ ،ـ نـسـبـةـ إـلـىـ عـلـاقـتـهـ بـهـيـكلـ دـلـفـيـ الـعـظـيمـ ،ـ الـذـيـ كـانـ يـلـقـيـ فـيـهـ خـطـبـهـ الـمـهـمـورـةـ .ـ وـكـانـ الـهـ الـفـنـونـ الـجـمـيلـةـ ،ـ وـأـبـاـ الـمـوـسـيـقـ وـالـشـعـرـ وـالـخـطـابـةـ .ـ وـقـدـ تـقـبـلـ مـنـ زـفـسـ (ـالـمـشـتـرـيـ)ـ الـقـوـةـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ الـغـيـبـ .ـ وـفـيـ السـاعـةـ الـتـيـ وـلـدـ فـيـهـ قـتـلـ الـحـيـةـ فـثـونـ الـتـيـ بـعـثـتـ يـهـاـ يـوـنـوـ لـاضـطـهـدـ لـاتـونـاـ اـمـهـ وـتـعـذـبـهـاـ وـلـذـكـ سـمـيـ فـيـثـيـوـسـ .ـ وـقـدـ يـمـثـلـ فـيـ النـحـتـ شـشـابـ يـحـمـلـ قـوـسـاـ فـيـ يـدـهـ وـقـدـ أـطـلـقـ مـنـهـاـ سـهـمـهـاـ الـأـخـيـرـ .ـ

(٤) بـلـاعـمـ .ـ هـوـ اـبـنـ بـعـورـ مـنـ فـتـورـ ،ـ وـهـيـ قـرـيـةـ فـيـاـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ .ـ وـكـانـ نـبـيـاـ مـشـهـورـاـ فـيـ جـيـلـهـ :ـ وـالـظـاهـرـ اـنـهـ كـانـ مـوـحـدـاـ يـعـبـدـ اللـهـ .ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ بـعـجـيبـ .ـ

وهكذا نرى اوكسوس ملك الفرس يضع حماراً في هيكل قتا^(١)
ويضطر شعبه إلى عبادته واوغسطوس القيصر المعاصر ليسوع اقام في
الهيكل حماراً من نحاس لكي يعيده له الشعب تذكاراً لاجماعه بمحار
اسمه المنتصر .

إلى ذلك الحين كان الملوك وال العامة المتمهبون بمحبة المادة وعشق
الفضة يسجدون للثيران والحمير . ولكن يسوع لم يأت إلى العالم لكي

لأنه من وطن ابراهيم الخليل حيث يظن أن جرثومة تلك العبادة كانت لم تنزل
معروفة عند أهل تلك البلاد (ما بين النهرين) في أيام هذا الرجل . وقد ذاع
صيت هذا النبي بين أهل ذلك الزمان ، فعلا شأنه وصارت تقصده الناس من
جميع أنحاء البلاد ليتبنا لهم عن أمور مختصة بهم أو ليباركهم ويبارك مقتنياتهم وما
أشبه . وما هو جدير بالذكر أن بالاق ملك موآب استدعاه إليه ليكن شعب
اسرائيل ، وأما هو فسأل ربه ليلة قدمت عليه رسل موآب ، فلم يؤذن له ، فلما
كان الصباح رفض طلب بالاق وصرح علانية أن الرب لم يسمح له أن يلعن هذا
الشعب . ثم عاد بالاق فأرسل إليه ثانية فأذن الله بلعام أن يذهب إلى بالاق
وفيها هو في طريقه كان ما كان من أتعجوبة نطق حمارته على ما هو مذكور في
سفر العدد ٢٢ : ١١ - ٢٣ . ولما وصل إلى بالاق أمره أن يبني سبعة
مدابع ويقدم على كل منها ثوراً وكبشًا ، ثم سأله الله فيما يصنعه فأمره الله أن يبارك
اسرائيل فبارك لهم على مسمع من بالاق وقومه وهم وقوف حوله . وانتهى الحال أن
بلعام بارك اسرائيل ثلاث مرات وخسر بالاق ما كان أطرف به بلعام من الهدايا
على يدي رسلاه بغية ان يستميله ليلعن له اسرائيل ، فلم يلعنهم فاغتاظ بالاق من
ذلك ورجع كل منها إلى مدینته .

(١) بـا اوـفـا : الله مـصـري قـديـم ، عـبـدـه الفـرس أـيـضاً وـافـامـواـهـ الـهـيـاـ كـلـ فيـ
ـبـلـادـهـ ، وـكـانـعـنـدـ قـدـمـاءـهـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ كـخـالـقـ جـمـيعـ الـشـيـاءـ وـيـنـبـوـعـ الـحـيـاتـ وـكـانـ يـعـبـدـ
ـيـنـوـعـ خـاصـ فـيـ مـدـيـنـةـ مـفـيسـ .

يحكم على العالم أو يتزغ مع ابنته في اوحال مادة العالم ، بل انما جاء
لكي يضع حدأً لعبادة الحيوان ، وليبطل ضعف هارون ، ويزيل اوهام
اوغضطس وخرافاته .

ان بهائم اورشليم سوف يقتلونه ولكن ، اليوم ، بهائم بيت لحم
تدفعه بلهامها . وعند ما يصعد يسوع الى مدينة الموت لعيد الفصح
الاخير يصعد راكباً على جحش ابن اitan ولكنه كان نبياً اعظم من
بلعام اتيأً لكي يخلص جميع الامم والشعوب لا اليهود وحدهم . ولم
يرتد الى الوراء في عمله خائفاً مذعوراً ، لا لعمري انه لم يرتد الى الوراء
مع ان كل بغال اورشليم كانت تنهق ضده .

الرعاة

جاء الذين يعتنون بالحيوانات لاظهار عواطف محبتهم ليسوع
بعد الحيوانات ، فإنه لم يعلن الملائكة من السماء البشارة المفرحة كان
الرعاة من تلقاء زواتهم عازمين على الدخول الى المغاراة لكي ينظروا
ابن المرأة الغريبة التي كانت ضيفة في مغارتهم تلك الليلة . لأن الرعاة
يعيشون بعيدين عن صوضاء العالم وحيدين ، منفردين ، وقلما يعرفون
 شيئاً عن العالم بعيد عنهم أو عن الاعياد التي يحتفل بها أبناء الأرض
ولذلك فهم يتأنثرون بكل ما يحدث حوالיהם في الحقول والجبال ولو
كان ذلك الحادث من اتفه الحوادث وابسطها .

وفيما كان أولئك الرعاة يسهرون على قطعائهم في هجعات الليل
الباردة رأوا نوراً عظيماً أشرق عليهم فدهشوا وارتعدت فرائصهم .
ثم ما لبسو ان سمعوا صوت الملائكة قائلاً «لا تخافوا ، فها أنا ذا أبشركم
بفرح عظيم يكون لكل الشعب : المجد لله في العلي وعلى الأرض
السلام وفي الناس المسرة » فهبو من ساعتهم راكضين إلى المغارة
فابصروا على نورها الضئيل أمراًة فتية جميلة تنظر إلى طفلها بعينين
تفيضان حناناً . وعندما نظروا إلى الطفل ورأوا عينيه المفتوحتين لأول
مرة أمام نور الشمس ، وجسمه الوردي اللطيف ، وفمه الجميل الذي لم
يكن قد تناول بعد طعاماً تحركت قلوبهم واختلجن عطفاً وحبّاً
فإن ولادة طفل جديد في العالم ، تتحدد نفسه في جسم بشري لكي
يتآلم مع غيرها من النفوس التاسعة لعجبية عظيمة تحرك إلى الشفقة
حتى البسطاء الاتقياء القلوب الذين لا يفهمون سرها . فقد سبق
أولئك الرعاة وعرفوا أن ذلك الطفل الذي ولد حديثاً في العالم لم
يكن طفلاً عادياً كباقي الأطفال بل إنما هو الطفل الاهلي الذي كان
جنسهم المتآلم ينتظره مدة ألف عام .

فقد الرعاة حينئذ هداياهم الحقيقة من القليل الذي كان عندهم
وما اعظم القليل اذا قرب بالمحبة . فقد حملوا المدايا البيضاء من ثمار
قطعائهم ، قليلاً من لبن النعاج وجبنها وصوفها . ولا تزال هذه الروح
الطيبة سائدة في جبالنا إلى اليوم ، حيثما تجد آخر آثار الأريجية ،

والضيافة ، والمحبة الاخوية المختبرة في هذا العصر . فانه بعد أن تلد المرأة طفلها تأتي بنات الرعاة ونسائهم وآخواتهم مسرعات الى ييتها ويستحيل ان تكون واحدة منهن فارغة اليدين . فههذه تحمل ثلاث او اربع بيضات لا تزال حرارتها فيها لأنها حملتها من تحت الدجاجة ، وتلك تحمل كأساً من اللبن الذي حلبيه من بقرتها حديثاً ، وغيرها تأخذ بيدها فرحة حدثة لكي تعمل منها حساء للأم المريضة . يأتي مخلوق جديد الى عالم الآلام لكي يتآلم مع اخوانه البشر وكأني بهؤلاء يأتون بهدايهم لكي يعزوا الأم المسكينة ولو بعض التعزية وكان أولئك الرعاة في ذلك الزمان فقراء كآخواتهم رعاة هذا الزمان ، ولذلك لم يختفروا اخوتهم الفقراء . . . وكانوا بسطاء كالاولاد ولذلك أحببوا الاولاد . اما أصلهم فن نسل راعي اور الذي خلصه راعي مديان ^(١) وكان اول ملوكم رعاة مواشي قبل ان صاروا رعاة

(١) راعي مديان : مديان احد اولاد ابراهيم من قطورة (تك ٢٥:٢ و ٤) وقال بعضهم ان ارض مديان كانت تتد من خليج عقبة الى موآب وطور سيناء وقال اخرون انها كانت تتد من شبه جزيرة سيناء الى الفرات . وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر وكانوا برفقة الاسماعيليين عندما يسع يسوع (تك ٣٧:٣٦ و ٢٨) وكان الاسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى مدة في مديان (خر ٢٢:١٥ - ٢٢ وعد ٢٩:١٠) والمديانيون نسل مديان القاطنوون في ارض مديان . وقد اتحدوا مع مواب ضد اسرائيل فانبأ الله بهلا كهم (عد ٢٢:٢٥) ومع انهم انتعشوا بعد هذه الضربة وضايقوها ببني اسرائيل غلتهم يشوع فـ كانوا يتلاشون ومن ثم حسبوا مع العرب والموابيين (قض ص ٦ و ٧ و ٨:١ - ٢٨ و مز ٨٢:٩ و ١١) .

قبائل . غير ان رعاة بيت لم «الذين لا يعرفهم العالم المتحجر العواطف » لم يفتخروا بما نالوا من الحظوى لدى الطفل الجديد . فقد ولد رجل فقير ينهم فجاؤوا ونظروا اليه بعطف وحنان ، وقدموه لهم ثروتهم باز يحية ومحبة . وقد عرفوا ان ذلك الصبي المولود من والدين فقيرين ، في الفقر والشقاء ، المولود من العامة وبين ابناء العامة ، ائما هو فادي ضعفاء وخلص ابناء المسرة الذين قال لهم الملائكة « وعلى لارض السلام » .

المجوس الحكماء^(١)

وبعد ذلك بضعة ايام جاء ثلاثة رجال من حكماء بلدان

(١) مجوس كلة كلدانية أو مادية تمني كهنة رتبتهم بين الحكم والشعب في مادي وفارس وكلدية وكانوا خدمة دين زرداشت ، وكانوا معروفة بلبسهم الخاص وسكناتهم المنفرد عن بقية الناس ومن جملة وظائفهم انهم ابقوا النار على مذبح ارمزد وقاموا شاهرين . وكانوا علاماء الامة الفارسية يعلمون الفلسفة والهيئة وغيرهما من العلوم المعروفة حينئذ . وكانوا يرافدون الملك الى ساحة الحرب (ار ٣٩: ٣٩) ومع ان علمهم لم يكن مؤسساً على قواعد صحيحة فان دانيل يصفهم بالحكمة (دا ٢٠: ١) وتوسط لاجلهم مع نبوخذ نصر (ص ٢: ٢٤) وصار رئيسهم (ص ٥: ١١)

ويظهر من قصة متى ان هذه الطغمة كانت معتبرة في ايام ولادة المسيح ولا نعلم من اي البلاد اتى المجوس ؛ والمؤلف يرى هنا انهم اتوا من بلاد الكلدان ،

الكلدان وسجدوا ليسوع . ويعتقد البعض انهم جاءوا من اقطانا او من شواطئ بحر قزبين . وقد عبروا نهري الدجلة والفرات راكبين جمالمهم واخراجهم ممتلئة من خيرات بلادهم ، وبعد ان قطعوا الصحراء الكبيرة تابعوا سيرهم الى ان بلغوا شواطئ البحر الميت . وقد قادهم الى اليهودية نجم (١) عظيم جديد كالنجم المذنب الذي يظهر احياناً في السماء ليعلن للناس ولادة نبي عظيم أو موت قيصر من القياصرة .

الا انه يرجح انهم عرفوا عن اتيان المسيح من اليهود المتشتتين في بلادهم وكانوا هم باكورة الوثنين الداخلين الى الكنيسة المسيحية وقد اقيمعيد ظهور المسيح للامم الواقع في ٦ كانون الثاني تذكارا لزيارتهم .

(١) النجم الذي ظهر للمجوس وأشار اليه المؤلف هنا ، فيه رأيان :
١ انه نجم على سبيل الاية ، وربما كان من المذنبات وقد تقدم بهم « ووقف فوق حيث كان الصبي » (مت ٢ : ٩) ويرجح هذا الرأي لانه قريب من العقول ومطابق للنص .

٢ انه اقتران زفاف وزحل في برج الحوت ، وانه اضيف اليهما المريخ ونجم اخر لامع ، وكان منجمو اليهود يزعمون ان مثل ذلك حدث عند ولادة موسى وسيحدث عند ولادة المسيح . وهذا الرأي المبني على براهين فلكية واول من قال به كيلر (سنة ١٥٧١ - ١٦٣٠) وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٦٠٤ رصد نجما ساطعا اقترب بالمشتري والمريخ وزحل ، وبعد البحث المدقق وجد ان مثل ذلك حدث ثلاث مرات في السنتين ١٦ و ١٧ قبل المسيح . ولما كان التاريخ المسيحي الحاربي متأخراً اربع سنتين عن الحقيقة فيوافق ظهور هذا الاقتران المرة الاولى عندما رآه المجوس في بلادهم في المشرق وظهوره بعد ذلك حين سفرهم ومجيئهم الى حيث كان الصبي . وقد ايد حساب كيلر عدة فلكيين

جاء اولئك الحكام لكي يسجدوا للملك عظيم فإذا بهم يرون طفلاً رضيعاً مقطعاً باقاط صغيرة تحجبه مغارة البهائم . وقبل هذه الحادثة بالف سنة تقريراً جاءت ملكة من الشرق الى بلاد اليهودية وحملت معها كما حمل المحوس ، هدايا فاخرة من الذهب والمعطور والحجارة الثمينة غير أنها وجدت على العرش اعظم ملوك اورشليم فعلمها حكمه لم يكن لها ان تتعلمها من بشر تحت السماء « ملكة سبا وسلیمان الحكيم » .

لم يجد المحوس ملكاً بل وجدوا طفلاً مقطعاً ، طفلاً صغيراً لم يكن في مناله ان يخاطبهم بعد ولا ان يجدهم على أسئلتهم ، وجدوا طفلاً كان عازماً على أن يحتقر كل كنوز الارض ومعرفتها البنية على المادة ومحبتها .

ولم يكن اولئك المحوس الحكام ملوكاً ولكنهم كانوا اسياد الملوك ومعاليهم في مادي وفارس . فقد كان الملوك حكامًا على الشعب ولكن المحوس كانوا مرشدين ومدربين للملوك . لم يكن لغير المحوس ان يخاطبوا هرزاً — الاله الصالح . وكانت معرفة المستقبل منحصرة فيهم دون سواهم من الناس . فكانوا يقتلون بآيديهم أعداء البشر والحيوان — الافاعي والحشرات الضارة والطيور المفترسة . وكانوا يطهرون الارواح وينقون الحقول من كل ما يعطل فيها . ولم يكن الاله الصالح يقبل ذبيحة من غير آيديهم . ولم يكن من الجائز

للملوك أن يعلنوا حرّاً من غير مشورتهم . وبكلمة وجيزة فأنهم كانوا
يحتفظون لاقفهم بسرار السماء والارض . وكانت لهم الكلمة
الاولى في القضايا الدينية والعلمية . فكانوا يمثلون الروح في عالم سادت
المادة على جميع مظاهره فابعدته عن الروح بعد الارض عن السماء .
ولذلك وجب ولائق بهم أن يأتوا من بلادهم لكي يسجدوا ليسوع .
فقد سجدت له الحيوانات أولاً ، وهي تمثل الطبيعة ، ثم سجد له
الرعاة وهم يمثلون الشعب ، واخيراً جاءت المعرفة وسجدت له وهي ممثلة
بأشخاص المحوس الحكماء — امام مددو البهائم في بيت لحم . جاءت
طبقة الكهان القديمة في بلاد المشرق وقدمنت خصوصها لاسيد الجديد .
الذى كان عازماً على ارسال بشارته الى المغرب . وسجد المحوس العلماء
امام الطفل الخالد الذي جاء الى العالم لكي يبطل حكمه العالم المحدودة
بالكلمات والارقام بحكمته الجديدة المتسامية بالمحبة .

أجل ، سجد المحوس في بيت لحم أمام النقاء والطهارة فمثلوا
 بذلك الالاهوت القديم ساجداً على أقدامه أمام الوحي الجديد الخالد !
 والثروة خرت ساجدة على أقدام الفقر والعلم ، أمام البرارة .

وقد قرّب أولئك الحكاء الذهب ليسوع : الذهب الذي جاء يسوع
 لكي يدوسه تحت قدميه ويبطل سلطانه ، قربوا له الذهب ليس لأن .
 صريم كانت في حاجة اليه في غربتها ، بل قربوه رمزاً الى الاية « بع
 كل املأ كنك واعطها للمساكين » . وقربوا له الستان ، ليس لازلة

رائحة المغارة الكريهة بل دلالة على انتفاء عهد طقوسهم وعبادتهم،
واشارة الى ان مذايهم لم تعد في حاجة الى دخان او بخور . وقربوا
لهم المر لانهم عرفوا ان ذلك الطفل كان عليه أن يموت شابا
وان أمه التي كانت تبسم له اذ ذاك ستتمر من احشاؤها وتحتاج الى
الطيب لكي تطيب جسده .

هنا لك في ظلمة تلك المغارة في بيت لحم سجد المحسوب بثيابهم
الحبرية امام سرير القش الحقير ، وهم الكهان ذوو المعرفة والقدرة
والتنجيم — هنا لك سجدا ليسوع عربون طاعة العالم وخضوعه له .
وهكذا فان يسوع قد حصل على جميع حقوقه من الكرامة
والاعتبار . وما كاد المحسوب يرجعون حتى بدأ اضطهاد الذين ابغضوه
وسينبغضونه حتى الموت .

اكتافيوس او غستوس

عند ما ظهر يسوع على الارض كان المجرمون يحكمون العالم
من غير اعتراض . فقد ولد وكان تحت سلطة حاكمين ، كان أقواها
بعيداً في رومية وأضعفهما ، وهو أرداهم ، قريباً في اورشليم .
فالاول بعد ان اجتاز مغامرات عديدة سفك فيها دماء المئات .
من الابرياء سلط على الامبراطورية مفترضياً عرشها ، والثاني استرق

طريقه الى عرش داود وسلیمان بالقتل والاغتصاب . وقد بلغ كل واحد من هذين الرجلين ما بلغ من المركز الكبير عن طريق الحيل والكائد والمحروب الاهلية والخيانات ، والهمجية ، والمذاجع . وبالحقيقة انها انما ولدا ليعيشا معاً إذ كان كل منها عارفاً بطبع أخيه الوحشية وقدراً على التفاهم معه . فكانا صديقين يشتراكان في كل شر وغدر على مقدار ما يمكن ان يشارك الشيطان الاثيم رئيسه بعنز بول الرجم .

وكان اوغسطوس جيانا اذا حارب ، حقوقا اذا انتصر ، نا كثا للعهود اذا صادق ، وحشيا اذا احتل بلادا جديدة . ومن حوادث وحشيتها وبربريتها ان رجلا محكوما بالاعدام سأله قبل ان تقد فيه الحكم ان يأذن بقبره في مقبرة اسرته بعد موته ، فاجابه قائلاً «أن تقرير ذلك من خصائص النسور !» وعندما سأله فريق من اعدائه رحمة في احدى المذاجع قال لهم «لامفر من الموت» وفي موضع آخر اراد لاجل وهم خطر له ان يسل عيني كونيتوس غاتوس قبل ان امر بقطع عنقه . هكذا طغى ذاك الطاغية والامبراطورية كلها في قبضة يده . ولما استتب له الامر وتبدد شمل اعدائه وامتد سلطانه تقنع بنقاب من الوداعة مطلقا لشهواته العنان في الجهر والخفاء .. ومتى يروى عنه انه باع بكارته مرتين في حداثته . أولا من القيسار في رومية وثانيا من هرتیوس في اسبانيا بثلاثمائة ألف ساستيريا

ولما بلغ سن الرجال كان يتلذذ بطلاق نسائه واحدة بعد واحدة والتزوج من النساء اللواتي ينتزعن من أصدقائه ، ومن الزواجي الفواجر ثم يدعى انه مجدد الاخلاق الطيبة والعادات الحميدة .

كان هذا الرجل القذر ، السافل بروحه ، المنحط بحسده ، حاكماً على المغرب في الزمن الذي ولد فيه يسوع . ولم يكن يحلم قط انه قد ولد في العالم صبي سيزعزع الاسس التي ترتكز عليها المملكة التي اوجدها ، وقد كانت شريعته في حياته الفلسفية الخامدة التي علّ بها ذلك القوم الغليظ هوراس^(١) الذي كان يسرق افكار غيره

(١) هوراس : هو هواريسيوس فلاكوس كويينوس ، المعروف بهوراس ، اشعر شعراً للاتين ، ولد قريباً من فانوسيا في جنوب ايطاليا ، سنة ٦٥ قبل المسيح . وكان ايوه عيداً متحرراً ، وجائياً للضرائب ، وقد اشتري لنفسه من رعوه ولد ابنه هوراس فيها . وعندما بلغ الصبي الثانية عشر من العمر انتقل به والده الى رومية فدرس العلم على اكبر علمائها ، ونال منه قسطاً وافراً . وعندما اكمل الثامنة عشرة ذهب الى اثينا لانها دروسه فيها . وبعد مقتل يوليوس قيصر جاء بروتوس الى اثينا ، فانضم هوراس مع اصدقائه الاحداث الرومان الى جيشه . وظل مع بروتوس الى ان انكسر فهرب الشاعر ونجا بنفسه وعندما رجعت مياه السلام الى مجاريها رجع هوراس الى رومية فوجد اباه ميتاً واما لاكه محجوزة ولم يبق له شيء يعتمد عليه في حياته . ولا كنه استطاع ان يجد مركزاً ككاتب في احدى الدوائر فتمكن بواسطته من الحياة ومن اظهار مواهبه الشعرية . وقد تعرف بواسطة اشعاره الى فرجيل وفاريوس . وبواسطتها تعرف الى المثير الشهير نصير العلم والعلماء ماساناس ، الذي كان اقرب الاصدقاء المقربين من بلاط اوغسطوس قيصر ، وكان ينفق المال بسخاء على مناصرة العلوم والفنون .

و ينتحلوا لنفسه بقوله « لتنعم اليوم انفسنا بالحبة والخمر . فان الموت
ينتظرنا بفارغ الصبر . فيجب ان لا نخسر يوماً من ملذاتنا ! ولذلك
عشاً أباً فرجيل^(١) رجل البراري والحقول وصديق الاحراس

وقد احبه ماساناس واعطاه مزرعة غنية تكفيه للحياة برغد وطأ نينة سحابة
العمر . ومع ان هوراس صار فيما بعد مقرباً من القيسير ، واشكه لم يسأله
حاجة قط ، ويقال انه رفض ان يكون كاتبه الخاص . وقد مات سنة ٨ قبل
المسيح وهي السنة التي مات فيها صديقه ونصيره ماساناس . اما مؤلفاته فهي عبارة
عن اربعة كتب في الشعر القصصي ، وكتابين في الشعر النضدي ، وكتابين في
الرسائل . واكثر اشعاره مبنية على الانقام والاذان اليونانية ولكنها غاية في
الجمال والبلاغة وله اساليبه واصطلاحاته الخاصة . اما فلسفته وعقائده ومذاهبه
المتمردة الشاذة التي لا جلها يسخط عليه المؤلف في المتن ، فكلها مودعة في كتبه
النقدية ورسائله .

(١) فرجيل : هو يوبليوس فرجيليوس مارو ، الشاعر الجمسي المحب
للطبيعة والمتقشف للتهدیب في اشعاره المترفة بهذه الصفات من بين جميع اشعار
رومية القديمة ولد في اندرس وهي قرية صغيرة قرب مانتوا في ١٥ تشرين الاول
سنة ٧٠ قبل المسيح . وكان لاييه مزرعة في تلك القرية يشتغل في استئمارها
ويتفق ما يحصله منها على تهذيب ابيه ، وقد جاء فرجيل الى رومية ما بين
سنة ٤١ و ٤٠ قبل المسيح عندما سرت املاكه بشورة الفلاحين واغتصابها
املاك الاغنياء . ييد ان املاكه استرجعت بعد ذلك بمساعي اوغسطوس الذي تعرف
عليه واحبه جداً . وكان من اقرب اصدقاء ماساناس وهوراس . وكانت بناته
الجسدية ضعيفة جداً ، ولذلك كان يقضي ايامه بعيداً عن رومية في تارانتوم او
تابولي . وقد كتب اشعاره الرعائية ما بين ٤١ و ٣٩ ق.م. وفرغ من
كتابه منظومته الزراعية سنة ٣١ قبل المسيح . اما الاونيندية الكبرى المحتوية

والقطعان الماءة والنخل الذهبي ، فرجيل الذي هبط الى الجحيم لكي
يرى المعذبين فيه وسكن كأبته المتمردة في موسيقى الشعر ، عيناً
سبق فرجيل الخالد ، فرجيل المحب الصدق والطاهر التقى ، فانباً
بعهد جديد وبنظام جديد وشعب جديد ، بملكته سماوات —
ينكشف أمام الملوك الذي يبشر به المسيح — لكنه كم كان
أشرف وأنبل من ملكت الشر ذاك الذي كانوا يقيمون قواعده
على الأرض .

كل ذلك ذهب عيناً لأن اوغسطوس كان يحسبه وهمًا من
أوهام الرعاة الباطلة وربما كان يعتقد ، وهو الفاجر وابو الفجور ، —
أنه هو نفسه ذلك الزعيم المخلص الذي يبشرون به والذي يستعيد
ملك الآله ساتورن^(١) ولكن صنيعته في اليهودية ، ووكيله الاعظم

على ١٢ كتاباً فقد شرع في نظمها سنة ٢٩ ق. م. ولكنه لم يتمكن من الفراغ
منها قبل موته . وفي سنة ٢٠ ق. م. عزم على سياحة في بلاد الاغريق ،
واكنه وهو في اثنينا اضطر ان يرافق اوغسطوس وهو عائد من سفرته في
الشرق . ولكن داء عضال حل دون وصوله سالماً الى رومية فمات في الطريق
سنة ١٩ ق. م. في بروندوسيوم .

(١) ساتورن : الله روماني قديم ، وفي الخرافات انه ظهر للمرة الاولى في
ايطاليا في عهد يانوس « احد ملوك ايطاليا القدماء » وكان يعلم الناس فنون
الزراعة والحراثة وغيرها وقد رفعهم من البربرية الى النظام الاجتماعي والمدنية ،
ولذلك انتخب فيما بعد ليشارك يانوس في الحكم على البلاد ، ودعية ايطاليا
نسبة ساتوريما . وقد دعا الشعراء عهد ملكه « بالعهد الذهبي » وهو يقابل

في الشرق كان يحدّثه قلبه عن ولادة يسوع الملك الحقيقي الذي كان
قادماً لكي يستأصل شأفة ملك الشر .

هيرودس الكبير

كان هيرودس مسخاً — بل كان أخبث وحش غدار من الوحش العديدة التي قزفت بها صحراء الشرق الملتهبة . لم يكن يهودياً بجنسيته ولا يونانيّاً ولا رومانياً ، بل كان آدومياً : ببررياً قضى حياته راكعاً وساجداً على أقدام الرومانيين متذبذباً أمام اليونانيين ، لكي يتمكن بذلك من تأييد سلطته على اليهود . وقد ورث الغدر والخيانة من عهد أبيه ، فغدر برئيسيه واغتصب المملكة من آخر حكام العصمونيين^(١) التعمسأ . ولكي يجعل عمله شرعياً تزوج من ابنة

الله كروناس عند اليونان . وقد كان هيكله خزينة المملكة . وكانت امرأته السيدة الجميلة أوبس . والاعياد والخلافات التي كانت تقام له اسمها ساتورناليا وهي تعامل أعياد كرونيا اليونانية . وقد جرت العادة أن تقدم ضحايا بشرية على مذبحه إلى أن أبطل هذه العادة هرقل . وهو يمثل في الغالب شيخاً طاعناً في السن محدود البظر يحمل منجلة في يمينه .

(١) العصمونيون : يراد بهم هنا رؤساء الكهنة والامراء الذين حكموا اليهود مدة ١٣٠ سنة من ١٥٣ قبل المسيح عند ما كان يوناثان بن ماتاثIAS أو عصمونيوس ، منتخبًا لرؤساء الكهنة إلى أيام هيرودس

أخיהם مريم . وبعد ذلك قتلها ظمآنًا وعدواناً لظن باطل لا أساس له . ولكن لم تكن هذه أول جريمة اقترفها هذا الغدار ، فإنه كان قد أمر قبلًا بقتل صهره أريستوبولوس غرقًا . ومن قتلهم أيضًا وذهبوا خيبة ببربريته ابن أخيه يوسف وهيروكانوس الثاني « وهم آخر من تبقى من السلالة المنقرضة » ولم يكفيه أنه قتل امرأته مريم بل عاد فقتل امها الكسندرة ، وأخيرًا قتل أبناء بابا من غير ذنب اقترفوه سوى انهم من أنسباء الأسرة المالكة التي هضم حقوقها . وفي الوقت نفسه كان قد أمر بحرق يهودا سارافوس ومتي صرغولوش وغيرها من زعماء الفريسيين لكي يتمتع همجيته برؤيتهم يختنقون وهم أحياء . وقد بلغت شروره انه بعد ان فرغ من كل ذلك خاف ان أبناءه من مريم امرأته الاولى ينقلبون عليه فيما بعد فيشارون منه لانه قتل امهم فأمر بخنقهم لحال فخُنقو خنقًا رائعاً . ومن غرائب ببربريته انه وهو على فراش الموت أمر بقتل ابنه الثالث ارخلاؤس .

ولما كان غدارا ، ظنانا ، مرتبا بكل انسان ، فاسقا ، طماعا ، عابدا للفضة ، متمسكا باذياں الشهرة الباطلة ، لذلك لم تدق روحه طعم الراحة والسلام لا في قلبه ولا في مملكته . وقد قدم لشعب الرومانى هدية مالية ، ثلاثة وعشرين وزنة ، لكي ينفقوها في الاعياد واهما بأنه يستطيع بذلك أن يخفى آثار شروره ومذايحته التي كم اجرى فيها من الدماء البريئة . وكان يتظاهر بالذلة والخضوع امام اوغسطوس لكي

يجعله صديقاً له وشريكًا في فجوره ، وعندما توفي ترك له عشرة الاف درهم ومركبة من الذهب ومركبة من الفضة .

وقد بذل هذا المغتصب جهده لكي يوفق بين اليهود واليونانيين فتوفق مع اليونانيين بان رشا الاردياء المتحدرین من نسل سقراط وجعلهم يقيمون له تمثلاً في مدينة اثينا . ولكن اليهود كانوا يغضونه بغضهم للموت الزوءام ، وظروا كذلك حتى قصفت المنون عمره . وقد بني لليهود مدينة السامرية وجدد لهم هيكل أورشليم غير ان ذلك لم يكن الا ليزيدهم بغضاً واحتقاراً له ، لأنهم كانوا ينظرون اليه دائمًا نظرتهم الى كافر زنديق قد اغتصب مملكتهم وخرق حرمة ديانتهم .

وكان كسائر الاشرار الطاعنين في السن ، والامراء الاوغاد الحاصلين على نعمة حديثة لم يتعودوها لا هم ولا آباؤهم من قبلهم — يرتجف لاقل الحوادث ، ويضطرب كما مر به خيال ، أو توجت أمامه قصبة — وكالكثيرين من أبناء الشرق المتطيرين بالاوهام والخرافات كان يصدق أقوال العرافين والمشعوذين ويعتمد تدجيلهم في كثير من أعماله ولذلك لم يتردد في تصديق ما رواه له الم Gors من انهم رأوا نجماً عظيماً في بلادهم استدلوا منه على ولادة رجل عظيم سيكون ملكاً على البلاد التي اغتصبها ظلاماً وعدواناً . سمع هيرودس بذلك فهله قلب البربرى . وما كان اسرع تصديقه مثل هذه الاخبار ولا سيما وهو الشديد الخوف على عرشه شأن السارق الذي لا يطمئن

باله الى سرقته البتة . ولكنه عندما رأى أن المجروس المنجمين سخروا به ولم يعودوا ليخبروه عن الموضع الذي ولد فيه الصبي ابن داود امر لالحال بقتل كل اطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون . ان فلافيوس يوسيفوس لا يذكر شيئاً عن هذه الفعلة الأخيرة التي اتتها هيرودس . لكن ذلك الذي أمر بقتل أولاده اما كان يستطيع ان يأمر بقتل اولاد الآخرين ؟

الابرياء

لم يعرف أحد بالتدقيق عدد الاطفال الابرياء الذين ذهبوا ضحية مخاوف هيرودس وبربريته . وليست هذه بالمرة الأولى التي ذهب فيها الاطفال والرضعات طعم سيفون الغادرين في بلاد اليهودية . فان هذا الشعب اليهودي قد أراق كثيراً من دماء الابرياء من أعدائه في العهد القديم ، فقد كان يدخل المدن ويذبح الشيوخ والنساء ، والرجال والاطفال على السواء ولم يكن يستبقي سوى العذارى لينسبدهن ويتخذ منها محظيات له . فلا عجب والحالة هذه إذا رأينا هذا الاودمي ينفذ في ذلك الشعب نفسه الذي قبل به ملكاً عليه الشريعة اليهودية القائلة « عين بعين . وسن بسن » . اننا لا نعرف حقيقة عدد أولئك الاطفال الابرياء ولكن إذا

جاز لنا أن نصدق رواية مكروبيوس^(١) فإننا نعرف انه كان بين أولئك الأطفال طفل صغير لهيروس الملك كان رضيعاً في بيت لحم . ولكن من يعلم اذا كان هذا الملك الشيخ الذي قتل امرأته ، وقتل اولاده انما فعل ذلك من قبيل المكافأة ، بل من يعلم اذا كان قد تألم لدى سماعه انباء ضلاله وشروره؟ لانه هو نفسه كان من معان الموت متأملاً بعد وقت قصير من مرض خبيث افقد راحته وسعادته . فقد تعفن جسمه واتن وهو بعد في قيد الحياة واكلت الدود اعضاء جسده . وكانت الجني تشوی احشاءه ورئتيه شيئاً . ولذلك لم يكن له من القوة ما يخرج به انقاسه الاخيرة المتقطعة . وعندما يأس من النجاة عمد الى الانتحار فطعن نفسه وهو جالس الى المائدة بسكين جارح ، وهكذا قضى نحبه . بيد انه لم يشأ ان يفارق الحياة بسلام بل أمر سالومه في الدقائق الاخيرة من حياته ان تقتل كثيرين من الشبان السجناء .

ان مذابح الاطفال البريء كانت آخر فظائع هذا الشيخ الطاغية الفظيع . غير ان هنالك قصداً نبوياً من تضحية أولئك الأطفال البريء حول مهد البريء . فان تلك الذبيحة انما اهرقت دمائها من

(١) هو امبروسيوس اورليوس ثيودوسيوس مكروبيوس ، مؤلف لاتيني عاش في ايام الامبراطورين او نوريوس وثيودوس في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس . وشهر كتاب اسمه ساتور ناليا يصف عادات العالم القديم وتقاليده .

اجل طفل عظيم ولد حديثاً للعالم ، الطفل الذي قدر له ان يسفك دمه من اجل الاشرار وحلهم من خططيتهم وقد قربت تلك التضحية البشرية لاجل طفل هي جاء بطوعه واختياره لكي يكون ضحية في حينه . وهو الطفل الذي قدر الالوف الالوف من الناس ان يموتوا بعد موته في سبيل الايمان بقيامته من بين الاموات . فهو انما ولد لكي يموت لاجل غيره ، وهوذا نشاهد امام عيوننا الالوف من الاطفال يموتون كأنهم يكفرون عن ميلاده .

اجل ، ان في ذبيحة الدم هذا السرّاً عجيباً غريباً ، هو تضحية الوف البرياء من معاصريه الاطفال . وقد كان اولئك الاطفال من الجيل الذي غدر بعدهم يسوع وصلبه . ولكن البرياء الصغار الذين ذهبوا طعماً لسيوف جنود هيرودس في ذلك اليوم لم ينظروا يسوع في تلك الحالة ، لأن الحياة لم تفسح لهم ان يكبروا لكي يشاهدو مقتل ربهم والاهم . فقد خلصوه بموتهم من الموت ، فلم يحصل لهم الموت الى الابد . كانوا ابرياء ظاهرين في حياتهم فظلوا ابرياء ظاهرين الى البد الابدين .

واما اباوهم واخوتهم بعدهم فسينتقمون لهم يوماً غير انهم يسامحون « لا لهم لا يعلمون ما يعملون . »

الهرب الى مصر

كان احد الشعراء المسيحيين ، وهو ايطالي ، يترنم بهذه الاغنية
ليسوع الطفل الصغير قائلاً :

« نم ايها الطفل ولا تبك »

« نم ايها الطفل السماوي »

« نم فان العاصفة لن تجرو ان تتعالى فوق رأسك ! »

ولكن ابن الله لم يتجسد على الارض متخدّاً صورة الانسان
لكي ينام ، فقد ثارت عليه العاصفة يد انها ارتدت عنه صاغرة ولم
ترعبه ثورتها .

اجل ان يسوع احق باسم الرجل اليقظ الذي لا ينام من
« سيدهارتا »^(١) و كيف يستطيع ان ينام في المغارة الباردة حيثما
كان الحمار ينهق متقدماً سائر الحمير الذين كانوا مزمعين ان ينهقوا
عليه . والثور يخور منتظرًا رفقاء الثيران التي كانت مزمعة ان
تتكلم في حضرته . والرعاة يسألونه ، والمحوسون يقدمون له هداياهم ؟
كيف كان يقدر أن ينام واقدام مذابح هيرودوس المراوغ كانت
تققدم مقتربة منه ؟ انه لن ينام ابداً حتى الليلة الاخيرة ، حتى ليل
الالم والوحشة في بستان الزيتون !

(١) سيدهارتا : او سيدهارتا : احد اسماء بوذا احد حكماء الشرق
الاقصى وستاني سيرته .

وقد كانت مريم امه ساهرة مثله لا تجد الى النوم سبيلاً . فقد اغتنمت تلك الأم التاسعة فرصة الليل ، وما أرخي الظلام سدوله على منازل بيت لحم وحجبها عن الابصار حتى خرجت من القرية خلسة خروج المارب الشريد والسارق الطريد ، لتسورق من يد الملك حياءً وتبقي لشعب أملأ ، خرجت وهي تضم الى صدرها وحيدها — ملك الانسانية وخلصها .

تركَتْ بيت لحم وولت وجهها شطر المغرب محتازة أرض كنعان القديمة وهي تقطع الطريق مرحلة بعد مرحلة ، والايمان قصيرة ، حتى وصلت الى صفاف النيل ، الى بلاد مصرائهم التي طالما سقها دموع أجدادها قبل ذلك الحين بالف وار بعائدة سنة .

وهكذا فان يسوع ، الذي جاء ليكمل شريعة موسى وينقض ما اعوج منها ، رجع على الطريق عينها التي اتخذها المخلص الاول لشعبه عندما هربوا من عبودية المصريين . فان راعي مديان عندما رأى اليهود يئدون تحت سياط المصريين ، مضطهددين ، محتقرين ، ممتهنين ، أشفق عليهم وجعل نفسه راعياً لاسرائيل ، وقاد شعبه المتمرد القاسي الرقاب في عرض الصحراء حتى أشرفوا على نهر الاردن حيث الدوالي العجيبة : وقد ترك شعب يسوع أرض الكلدائين مع ابراهيم وجاءوا مع يوسف الى مصر . أما موسى فقد قادهم من مصر الى أرض كنعان ولكن جاءهم في ذلك العصر أعظم من قام فيهم

من الانبياء والمُحرّرين والخطر محيق به ، جاء راجعاً إلى شواطئ النيل حينما أتى نَفْذَ الْخَلَصُ الأول موسى ثم عاد فخلاص شعبه .

ان مصر ، مهد الحضارة وبؤرة القدارة القديمتين ، تلك الهند الأفريقية التي تلاشت فيها أمواج التاريخ على شاطئ بحر الموت — التي فيها أنهى يومباي وانطونيوس حلمها الإمبراطوري ، أرض الغرائب ، وليدة الماء وقد حرقها الشمس ، وغطتها دماء الشعوب ، — البلاد التي قطنتها البهائم المتباينة الأشكال ، البلاد الغربية السماوية — مصر — بمتناقضاتها — كانت معدة لتكون ملائكة المارب .

كانت ثروة مصر ولا تزال متوقفة على الطين ، الطين الغني بافاعيه وسمومه ، الطين والأوحال التي يقذف بها النيل في كل عام فتغمر وجه الصحراء . وقد كان الموت الذي عدو من اعداء مصر الذين كانت تحاربهم ويحاربونها . ولذلك كان المصريون القدماء ، العريقون في الثروة والتنعم والرخاء ، يعتقدون بأن في وسعهم التسلط على الموت واستعباده بما كانوا يقيمهونه في قبورهم من التمايل ، والصور المتنوعة ، وتحنيط الأجساد بطريقة تحفظ منظرها الطبيعي فلا يتغير .

ومع ذلك فإن المصري الغني البدين ، ابن التراب والطين ، الساجد للعجز المقدّس والاله ذي الرأس الكلبي ما كان يريد أن يموت . ولذلك أقام لحياته الثانية قبوراً رحمة ممتلئة من الممياط المعطرة بالطيب والمكافحة بالكتان الثمين ، والربط المتينة ، والصور والتمايل

المصنوعة من الاخشاب والرخام وبني على بقاياه الفانية اهراماً ضخمة
واهماً بان الحجارة والطين تدرأ عنها التلف والفناء .

وعندما يبدأ يسوع بشارته يبدأ حكمه المبرم بالقضاء على مصر —
القضاء الذي لم يتناول مصر القائمة على حافتي النيل فقط ، بل تعدى
إلى مصر التي كانت تتحرك على وجه الارض ، مع ملوكها ورؤسائها ،
بزازيرها وأفاعييها — أجل ، ان القضاء الاخير على شرور المصريين
وما بهم كان بين شفتي يسوع لانه جاء إلى الارض لكي ينقض
هياكل الثروة التي من التراب تأتي والى التراب تعود ، ويدين جميع
أبناء النيل المستعبدين للنبلة ، ويحطم اقتدار المنون عن غير طريق
القبور المنقوشة ، وممالك الموت ، والتماثيل المزخرفة المصنوعة من المرمر
والرخام الاسود البديع . فان انتصاره على الموت انما كان ثمرة تعليمه
بيان الخطيبة أشد شراهة من الحيتان والديدان ، وان طهارة الروح هي
العطر الوحيد الذي يحفظ من الفساد ويقي من الفناء .

ان عباد الطين والحيوان وعيid الثروة والبهيمية لم يستطعوا
أن يقيموا لأنفسهم خلاصاً . ومع ان قبورهم كانت تناطح السحاب
يعلوها الشاهق وتفوق بزيتها قصور الملوك وهي تبدو من خارجها جميلة
بيضاء للنظر مثل قبور الفريسيين فانها لم تحتوي في داخلها إلا على رماد
حقير ، تراب قد عاد الى تراب ، وليس له أقل ميزة عن رماد
 أجسام الحيوانات .

أجل . ان الموت لا يمكن أن يُقهَر و يُخزَى بتصوير الحياة على الحجارة والخشب . لأن الحجارة تفتت و تعود إلى التراب الذي تألفت منه ، وكذلك الخشب ينخره السوس و يرجع إلى أصله التراب ، وكلاهما تراب في تراب إلى الأبد .

الضائع يوجد

ان الاقامة في منفى مصر لم تطل مدتها . لأن يسوع رجع إلى الناصرة محمولاً على ذراعي أمه المترججتين طيلة الطريق . على ظهر الحمار الصبور رجع إلى بيت أبيه الحقير و دكانه حيثما كانت المطرقة تدق والمبرد يبرد سحابة النهار .

ليس في الانجيل القانونية كلمة عن هذه السنوات الأولى من حياة يسوع . وأما الكتب غير القانونية فيها تفاصيل كثيرة في هذا الموضوع . ولكنها غير جديرة بالتصديق . أما لوقا الطبيب الحكيم فقد أكتفى بان قال ان الصبي كان ينمو و يتقوى بالروح ، وانما عنى بذلك انه لم يكن ضعيفاً سقim الجسم ، فقد كان ولداً قوياً نشأ كا هو لائق به ، صحيح الجسم يحمل النشاط والصحة كمن هو جدير بان يمنح الصحة لذوي الاسقام والمرضى ب مجرد وضع يده عليهم . وكان أبواه ، كما أورد لوقا ، يذهبان إلى اورشليم في كل عام

لأجل الاحتفال بعيد الفصح تذكاراً لخروج من مصر . وحدث أنها ذهبا مرة على جاري عادتها مع كثيرين من الحيران والاصحاب والمعارف لأجل التسلية على الطريق . وكانوا سائرين في طريقهم وهم على أتم ما يرام من السرور شأن الذاهبين إلى ولية عظيمة ، وليس إلى خدمة صلاة تذكاراً لحادث جلل لأن عيد الفصح كان في تلك الأيام أعظم الأعياد في أورشليم ، فكان يجتمع فيه سائر اليهود المترفين في أنحاء المعمور .

وعندما كانت القوافل راجعة من أورشليم إلى الناصرة في الاحتفال الحادي عشر لعيد الفصح بعد ولادة المسيح فتشتت مريم عن ابنها بين الرفاق والاصحاب فلم تجده فقضت النهار بطوله تفتش وتسأل من غير جدو . وفي الصباح التالي رجعت الأم المسكينة إلى أورشليم وكانت تمشي على الطريق التي جاؤوا عليها تفتش يمنة ويسرة في كل شارع أو زقاق في أورشليم محمولة بعينيها السوداوين في كل ولد لعله ابنها وسائلة الأمهات الواقعفات أمام أبواب بيتهن . متضرعة إلى مواطنها الذين كانوا لا يزالون في أورشليم أن يساعدوها في التفتيش عن ابنها الضائع . ولا يخفى أن الأم التي يضيع ابنها من بين يديها لا تطمئن روحها حتى تجده ، فلا تقتصر في نفسها ولا تعبأ لحاجاتها الضرورية من مأكل أو مشرب ، محقرة التعب والجوع والعنا ، ولا يهمها أن تنزع الغبار عن ثيابها ، أو أن تسرّح شعرها

المبعثر من الرياح في الطريق . وقلما تؤثر فيها نظرات العابرين بها من الطفيليين والمتطفليين غير ان عينيها المضطربتين لا تستطيعان في تلك الساعة أن تنتظرا سوى خيال ابنها الحبيب الذي لم يعد قريباً منها .

وأخيراً جاءت في اليوم الثالث الى الهيكل فقتشت في ساحتاته ودواوينه ، وبعد ان طافت بها كلها رأت في احدى الارواقة جماعة من الشياخ يتباخثون ويتناقشون . فدنت منهم وجلة لأن ملابسهم العريضة ، وجبتهم الطويلة وحاجاتهم المسترسلة على صدورهم — كل ذلك كان يدل على انهم من ذوى الاعتبار الذين لا يتنازلون الى مخاطبة امرأة بسيطة زرية من الجليل . ولكنها رأت فجأة في وسط الدائرة التي يؤلفونها بجلوسهم شعر يسوعها المتموج ، وعينيه المشرقتين ، ووجهه الذي لفتحته الشمس فزادته حلاوة ، وشفتيه الحمراوين . فكانوا يسألونه أسئلة متعددة وهو يجاوب على كل سؤال منها بطلاقة ومعرفة . ثم كان يسألهم في دوره فتأخذهم الحيرة ، ويعترفهم الدهش من ان ولاداً صغير السن مثله يستطيع أن يعرف كلام الله بهذا الاتزان . لأن يسوع كان يحفظ في ذاكرته العجيبة كل الكتب التي كان يسمع قراءتها في مجامع الناصرة الحقيقة ويعيدها حرفآ حرفآ .

أما مريم فوقفت هنالك هنيهة تنظر اليه ، وهي تكاد لا تصدق عينيها وقد تغيرت نبضات قلبها في لحظة واحدة ، من نبضات الحزن والخوف الى نبضات الفرح والذهول . ولكنها لم تقدر على ضبط

تقسها طويلاً فنادت يسوع باسمه وباعلى صوتها . وعندما سمع الشیوخ صوتها انصرفوا في سبیلهم وتقدمت هي في الحال فاختطفت ابنتها وضمته الى صدرها محتضنة اياه وناظرة اليه بلطفة وحنان والدموع تتساقط من مقلتيها على خديها وخدی ابنتها الحلو .

ثم قادته بيده الى خارج الهیكل ومضت به في سبیلها . وبعد ان هدأ قلقها وتحقق ان يسوع معها وانها لم تخسره تذكرت سعادتها بوجوده وتعسها بفقده ، فسألته قائلة : « يا ابني ، لماذا صنعت بنا هكذا ؟ فيها ان أباك وانا كنا نطلبك متوجعين »

فقال لها يسوع « لماذا كنتما تطلباني ؟ ألم تعلما انه ينبغي لي أن اكون في ما هو لأبي ؟ » .

بالحقيقة ما أرصن هذه الكلمات وما أحکمها ، وخصوصاً وهي تصدر من ابن اثنتي عشرة سنة لأمه بعد ان قضت في التفتيش عنه ثلاثة أيام طويلة . ثم يزيد الانجيلي قائلاً « أما هما فلم يفهموا الكلام الذي قاله لهم » غير اننا اليوم بعد مرور عشرين قرناً من قرون الاختبارات المسيحية قد صرنا نفهم هذه الكلمات التي كانت تظهر أولاً جافة تدل على الاعجاب والفخر .

لماذا كنت تطلبيني يا ماه ؟ الا تعلمين اني لا اضيع البتة ، وانه لا يستطيع امرؤ أن يضيعني حتى أولئك الذين سيواروني في الثرى ؟ اني حاضر في كل مكان والذين يؤمنون بي يجدونني اينما كانوا وان

لم ينظروني بعيونهم لأن الإنسان الذي يقيم لي بيته في قلبه لا يقدر ان
يضيع عني أو ان يجعلني أضيع عنه الى الابد . أني لن أضيع وان
كنت سأبقى وحيداً في الصحراء ، وحيداً على وجه الماء ، وحيداً في
بستان الزيتون وحيداً في ظلمة القبر .

« ومن هو هذا الاب الذي تتكلمين عنه ؟ فانه الاب الشرعي
الاب البشري الارضي ، ولكن أبي الحق هو في السماء . وهو الاب
الذى خاطب البطاركة الاباء وجهاً لوجه ، ووضع في افواه الانبياء
ما عَلِمُوا ونطقوا به فسينبغى لي ان اعرف ما قال لهم عنى . واعرف
رغائبه الابدية ، والشرائع التي سنها لشعبه ، والعهد الذي قطعه مع
سائر ابناء الانسان . وانا اصنع ما امرني به . يجب ان اعمل دائماً ما ينطبق
على ارادته الاهية . واي شيء هي صلة القرابة الشرعية الواقية اذا قيست
بالرباط السري الروحاني الخالد ؟ »

النجار

ان الساعة التي يترك فيها يسوع بيته ولا يرجع اليه لم تُحنْ بعد .
فان صوت يوحنا لم يكن قد ظهر الى ذلك الحين . ولذلك رجع يسوع
مع امه وابيه في طريقهما الى الناصرة الى دكان يوسف لكي يساعده
في حرفته .

لم يدخل يسوع مدارس الكتبة واليونانيين لانه لم يكن في حاجة الى معلمين . فقد كان عنده ثلاثة معلمين اعظم من جميع علماء الأرض - العمل ، والطبيعة ، والكتاب .

فانه غير خاف ان يسوع كان عاملاً بسيطاً وابناً شرعاً لرجل عامل حقير . فقد ولد فقيراً في محيط كان أبناءه يستغلون بايديهم لكي يعيشوا ، وقبل ان شرع في بشارته كان يحصل على خبزه اليومي بشغل يديه وعرق جبينه . وان اليدين اللتين باركتا المساكين بالروح والوداع وشفتها البرص ، ووهبتا النور للعميان ، وشدّتا المخلعين ، واقامتا الاموات من القبور ، اليدين اللتين سمرتا على الصليب هما هما اليدان اللتان طالما اغتسلتا بعرق الكد والنصب وخبرتا لذلة الشغل والتعب في العمل ، وادمنتا على العمل حتى تصلبتا - اليدان اللتان تمرنتا على استعمال الات الصناعة وكم انزلتا من المسامير في الاخشاب وهم بالحقيقة يدا عامل نسيط .

قد اراد يسوع ان يكون نجارة ماديا قبل ان يصير نجارة روحيا وكان فقيرا معدوا قبل ان دعا القراء والمساكين الى مائته في وليمة الملوك . انه لم يولد في عيلة غنية لبيت تحف به الثروة ويسود فيه الحلال على سرير موشى بالحرير والارجون والبرفير والكتان . بل عاش في دكان نجار مسكين وهو ابن الملوك ، وولد في مغاربة البهائم وهو ابن الله الازلي . لم يكن من طبقة العظماء ، ولا من فرق المحاربين

المستبدين ، ولم تكن له علاقة مع دوائر الاغنياء ولا مع مجالس الكهان والفريسين . ولكن ولد في احقر طبقة من طبقات الشعب ، وهي الطبقة التي كان منها المترددون والمتسولون والغرباء ، والارقاء وال مجرمون ، والزواجي ، والفجاري ، وعندما اتتهت مهمته كعامل يومي ترك دكان يوسف ومضى الى احقر طبقات الشعب التي يحتقرها الجميع لقذارتها وشرورها . وهنالك كان ينسد اصدقاؤه في ذلك الوسط القذر . ولكن الى ذلك اليوم الذي هبط فيه يسوع الى جهنم الاحياء ، قبل ان هبط الى جهنم الاموات ، كان مركزه مركز عامل حقير في المجتمع الانساني وكان ابناء الشرف الموروث الذي يفصل اجزاء البشرية بعضها عن بعض منذ الازل ينظرون اليه نظرة احتقار .

اما الصناعة التي مارسها يسوع فهي واحدة من الصنائع الاربع القدية المقدسة في صنائع الانسان . وهذه المهن الاربع هي مهنة الفلاح ومهنة البناء ومهنة الحداد ، ومهنة النجّار ، وهي من اجل واطهر الحرف التي لازمت حياة الانسان على الارض ، فاستخدمها لراحته وسعادته . فالجندي المحارب قد ينقلب الى لص قاطع طريق ، والبحري قد يتسلل فينخرط في مصف قرصان البحر المنافقين ، والتجار قد يتحول الى مغامر افلاك ، ولكن الفلاح والبناء والحداد والنجار لا يغشون ولا يغدرون بل انهم لا يستطيعون ذلك بطبيعة مهنتهم . وتنحصر اعمالهم في المواد الطبيعية الضرورية للانسان وعليهم ان يحولوا هذه المواد

بطريقة محسوسة الى الات نافعة صالحة لخدمة الانسان فالفلاح مثلاً ينقب الارض ويشق صعباها لكي يستخرج منها الخبز الذي يتناوله القديس في صومعته كما يأكله القاتل في سجنه . والبناء يرבע الحجارة ويتقن نحتها لكي يبني منها بيتاً لارجل الفقير كما يبني منها قسراً للملك وهيكلأً للرب . والحداد يحمي الحديد ويطرقه لكي يصنع منه سيفاً للجندي ، وسكة للفلاح ، ومطرقة للنجار ، والنجار ينشر الاخشاب وينقبها بالمسامير ليعمل منها أبواباً لبيوت تحفظها من الاصوص ، ومن هذا الخشب عينه يصنع الاسرة التي يموت عليها المجرمون السفاحون كما يموت الابرياء الطاهرون .

ان هذه الامور البسيطة ، هذه الحقائق العاديه التي يعرفها كل انسان ، والتي تعودت ابصارنا رؤيتها فبتنا ننظر اليها من غير ان نفكر في الحقيقة التي وراءها ، اما هي بالحقيقة على سذاجتها وبساطتها أغرب وأعجب الاكتشافات التي اهتدى اليها الانسان في حياته على الارض .

في وسط هذه الاعمال عاش يسوع النجار في حداثته ، وكان يمارسها بيديه ، وقد استطاع بواسطه عمل يديه فيها أن ينخرط في سلك أعمال الحياة البشرية ويحصل مقابل عمله على نفقاته البيتية في حياته المقدسة . فكان يصنع بيديه المائدة الجميلة التي كانت تستلزم نفسه الجلوس اليها في المساء مع أصدقائه حتى ولو كان بينهم خائن ،

وكان يصنع السرير الذي يلقط الانسان عليه أنفاسه الاخيرة كما يرسل عليه أنفاسه الاولى ، والصدق حيتها كانت الزوجة الصالحة تضع ثياب أسرتها الحقيقة ، وما زرها ومناديلها لايام الاعياد ، وتحفظ القمصان البيضاء المنشاة للايام العظيمة . وكان يصنع « المعجن » الذي يوضع فيه الدقيق فتخمره الخبيرة ليكون غذاء للإنسان ، والكراسي ذوات اليدين حيثما يجلس الشيوخ يصطلون أمام نار الشتاء ويتحدون متحسرين على شبابهم الزائل ولن يعود .

وكثيراً ما كان يسوع يشتعل في دكان يوسف والتجارة الرقيقة تلتف تحت شفرة فارته ، والنشارة تتطاير من بين اسنان منشاره ، وتتساقط على الأرض ، وهو يفك في مواعيد الآب وفي نباتات العهد القديم ، وفي ما يجب عليه فعله في العالم ، ليس بواسطة الأخشاب والمساطر والآلات ، بل بالروح والحق .

وقد تعلم يسوع من حرقته ان من يود ان يعيش في هذا العالم يجب ان يحول المواد المائية فيه والتي لا تقع من وراءها الى الات حية صالحة لخدمة الانسان . وان احرق الاخشاب المطروحة على وجه الارض اذا عني بنشرها وتجارتها تصبح جميلة ثمينة صالحة للنفع العام . تعلم ان السبيل الواحد المؤدي الى الخلاص انما هو في التجدد والتحول ، ورأى انه كان ارجوحة الطفل الجميلة ، وسرير الزوجة الثمين يصنعان من قرمة واحدة كثيرة العُجَر والبُجَر مأخوذة من الارض الفانية

هكذا يَكُنْ أَنْ يَتَحْوِلَ الْعَشَّارُ الطَّمَّاعُ وَالْزَانِيَةُ الْفَاجِرَةُ إِلَى ابْنَاءِ
الصَّالِحِينَ فِي مُلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ .

الابوة

هناك في الطبيعة حينما تشرق الشمس على الأشجار والصالحين
ويُسْبِلُ القمحة لكي يعطي غذاء لليهود والكافرين ، وتنير النجوم
أكواخ الرعاة كما تنير سجون المجرمين ، هناك حينما تحمل الدوالى
عنقيدها الجميلة فتصنع من عصيرها حمرأً يشربها النساء في اعراسهم
ولائهم والسفاحون في تهتكهم ودعائهم ، وطيور السماء المترنمة
يحمل الطبيعة تجد غذائهما من غير تعب أو نصب ، والتعالب الخبيثة
الغدارة تجد لها اوجرة وملجيء تقىها الاخطار والاضرار ، وزنابق
الحقل ترتدي الملابس الفاخرة التي لا يحلم بها الملوك في جلالهم
ومجدهم ، — هناك رأى يسوع برهاناً محسوساً وأباً راهناً للحقيقة
الازلية الراسخة في أعماق قلبه ، أن الله ليس بالسيد الذي يعاقب بآلف
سنة تعير وانتقام عن يوم واحد من المسرة والحبور — كلام ولا يهوه
الفضوب ، الراعب ، المحب للحرب ، الذي يأمر بقتل الاعداء على
بكرة ابيهم : رأى ان الله ليس بالسلطان العظيم الذي يتلذذ بأن
يخدمه الحكام المستبدون المُتَحَدرون من العائلات القديمة ، ويشدد

النَّكِيرُ عَلَى خَدَامِهِ فِي أَنْ يَحْفَظُوا بِكُلِّ دَقَّةٍ وَضَبْطٍ عَلَى الْعَادَاتِ
وَالْتَّقَالِيدِ الرَّثَّةِ الْبَالِيَّةِ الَّتِي تَمَثِّلُ الْهَيْكِلَ.

أَجَلُ ، إِنْ يَسِّعُ وَهُوَ الْابْنُ الْحَبِيبُ لِلَّابِ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّ اللَّهَ
هُوَ أَبُّ لِيُسْ لِنْسُلِ إِبْرَاهِيمَ فَقْطًا بَلْ جَمِيعَ الْأَمْمَ وَالشَّعُوبَ أَيْضًا . إِنَّ
مَحْبَةَ الرَّوْجِ قُوَّيَّةٌ بِيَدِ أَنْهَا جَسَانِيَّةٌ مُمْتَلَأَةٌ غَيْرَةٌ وَشَهْوَةٌ ، وَمَحْبَةُ السَّقِيقِ
وَالْأَخْ كَثِيرًا مَا تَكُونُ مُتَسَمِّمَةٌ بِرُوحِ الْحَسْدِ ، وَمَحْبَةُ الْابْنِ مُلْطَخَةٌ
أَبْدًا بِاقْدَارِ التَّمَرُّدِ وَالْعَصِيَّانِ . وَمَحْبَةُ الصَّدِيقِ كَثِيرًا مَا تَتَدَنَّى إِلَى الْمَكْرِ
وَالْخَدَاعِ ، وَمَحْبَةُ السَّيِّدِ فُخُورَةٌ مُنْتَفَخَةٌ بِرُوحِ الْعِجْرَفَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ ،
أَمَّا مَحْبَةُ الْابْنِ لِابْنِهِ فَهِيَ الْمَحْبَةُ الْوَاحِدَةُ ، الْكَاملَةُ ، الْبَرِيَّةُ مِنْ كُلِّ
عِيْبٍ ، الْمُحْرَدَةُ مِنْ كُلِّ غَايَةٍ أَوْ مُصْلَحَةٍ . فَإِنَّ الْابْنَ يَعْمَلُ لِابْنِهِ مَا لَا
يَعْمَلُهُ لَاحِدٌ سَوَاءً . لَأَنَّ ابْنَهُ هُوَ خَلِيقَتِهِ لَحْمٌ مِنْ لَحْمِهِ وَعَظَمٌ مِنْ عَظَامِهِ ،
يَنْمُو إِلَى جَانِبِهِ يَوْمًا فَيُوْمًا فَيَتَعَزَّزُ بِهِ وَيَتَمَّ كَيْاَنَهُ بِوُجُودِهِ بَلْ إِنَّ الْابْنَ
الْكَبِيرَ يَعِيشُ خَالِدًا بِالْابْنِ الصَّغِيرِ . وَالْمَاضِي يَرَى ذَاتَهُ مُتَجَسِّدًا فِي
الْمُسْتَقْبَلِ . فَالَّذِي عَاشَ أَنَّمَا ضَمَّنَ بِحَيَاَتِهِ مِنْ أَجَلِ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْحَيَاَةِ
لَكِي يَعِيشَ . وَالْابْنَ يَحْيَا بِابْنِهِ وَيَشْعُرُ وَيَفْخَرُ وَيَبْاهِي بِوُجُودِهِ . لَأَنَّ
هَذَا الْوَلَدُ أَنَّمَا هُوَ ثَمَرَةُ الْعَاطِفَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي رَبَطَتْ قَلْبَهُ بِقَلْبِ الْمَرْأَةِ
الصَّالِحةِ الَّتِي اخْتَارَهَا مِنْ بَيْنِ كُلِّ نِسَاءِ الْأَرْضِ لِتَكُونَ رَفِيقَةَ حَيَاَتِهِ ،
هُوَ فَلَذَةُ كَبْدِهِ ، وَحْبَةُ قَلْبِهِ النَّابِتَةُ مِنْ احْشَاءِ امْرَأَتِهِ بِالْآلَامِ الْمُقْدَسَةِ ،
وَالنَّافِعَةُ بِحُرَارَةِ مَحْبَبِتِهِ ، وَغَزَارَةُ دَمْوَعِهِ ، وَوَفْرَةُ أَتْعَابِهِ هُوَ جَزْءُهُ الصَّغِيرِ

وطالما رأه يلعب بين قدميه وهو ينمو ويكبر يوماً فيوماً ، وما أحيل تلك الساعات التي كان يضم بها يديه الصغيرتين لكي يدفئها بحرارة محبته الوالدية الظاهرة — بل من يستطيع أن يصف عواطفه عندما سمع طفله الصغير يتلفظ لأول مرة بكلماته الأولى — وهي الاعجوبة الخالدة المتتجددة في كل يوم ! هو الاب الذي رأى رجليه المرتجفتين على الارض وهم تحاولان المشي لأول مرة وهكذا فان هذا الاب يرى روحًا ظاهرة تختلي في داخل ذلك المخلوق الصغير النامي بالمحبة عاماً فعاماً — يرى أمامه نفساً بشرية لا تُقاس قيمتها بكل جواهر الأرض — يرى أمامه في كل يوم صورته متجسدة على ذلك الوجه الصغير اللطيف — يرى ملامحه وملامح زوجته مرسومة في صورة ابنهما الذي يحفظ ذكرهما في العالم .

أجل ، ان الوحدة الروحية التي يتوق إليها الرجل والمرأة عن طريق المحبة لكي يصيرا جسدًا واحدًا لا تم لهم إلا في الاولاد . لأن الانسان يشعر لدى رؤيته ابنه المخلوق على صورته انه خالق جواد وقدير سعيد . ولما كان الاب يرجع إلى أبيه في كل أمر ، ويطلب منه كل شيء ، ولا رباء له في حداثته بغير أبيه ، ولا يشعر بأمن أو راحة إلا وهو الى جانبه ، لذلك يرى الاب ذاته مضطراً بقوة غير منظورة أن يقف حياته لابنه ، ويتحمل كل ألم أو شقاء في سبيل ابنه ، ويشتغل عمره لاجل ابنه ، بل أن الاب في هذه الحياة هو الـ

كبير في عيني ابنه ، كما ان الاب آله صغير في عيني أبيه .
وليس في محبة الاب أثر لعدم الاكتتراث في القيام بالواجب
الذى نراه في محبة الاخ ، ولا شيء من المنافسة والانانية اللتين نجد هما
في محبة الصديق ، ولا تلك العاطفة المعموسة بالشهرة التي في محبة
الحبيب ، ولا ذلك الادعاء بالاخلاص والامانة الذي يظهره الخادم
للمخدوم . بل ان محبة الاب هي الحبة النقية ، الحبة الطاهرة الوحيدة ،
بل هي العاطفة الوحيدة التي تستحق أن تسمى محبة . ولما كانت
مجردة عن سائر العناصر الغريبة عن طبيعتها فهي بحق السعادة الكاملة
القائمة على تضحية الانسان بذاته من أجل سعادة سواه من الناس .

أجل ، ان هذا التعليم بابوّة الله ، الذي هو من أعظم التعاليم
المديدة التي جاءت بها بشارة يسوع ، هذا التعليم المُجدد العميق
القائل بان الله هو أب جميعنا يحبنا كا يحب الاب أولاده ، وليس
كا يحب الملك عبيده ، أب يمنح الخبر الجوهري لجميع أولاده على
السواء ويرحب بحرارة ومحبة حتى بالاشرار وال مجرمين منهم متى رجعوا
اليه لكي يحنوا رؤوسهم على صدره النقي . ان هذا التعليم الذي
أغلق أبواب العهد القديم البالية وفتح أبواباً جديدة لعهد جديد خالد
إنما وجده وتعلمته يسوع من الطبيعة الخالدة . وبصفته ابنًا لله وواحداً
مع الاب ، كان يشعر دائماً بحلوة هذه الابوّة التي قلماً فطن لها
جهابذة الانبياء . غير انه الآن بعد ان شارك البشر في اختبارات

حياتهم رأى أنها قد انعكست وترقرقت في سائر أنحاء الوجود ، ولذلك
عمد إلى الطبيعة الجميلة فاستخرج منها بشارته المفرحة التي كان على
أهبة اعلان فصوّلها للناس .

الحقل

كان يسوع يحب الطبيعة شأن سائر الناجين ذوي النفوس
الكبيرة . فان الخاطيء التائب الذي يشعر في اعماق قلبه بحاجته الى
التنفيذ ، والقديس التواق الى الصلاة ، والشاعر الشيّق الى اقبال
وحيه ، يعتضدون في الغالب بقبن الجبال لكي يجلسوا على الاظلال
الخضراء يناجون الروح الكلي على خرير الماء ، او في وسط الحقول
المُعطرة بعييرها زوايا السماء ، او في منحدرات تلال الصحراء وقد
جففتها الحرارة وحملتها الطبيعة . اما اللغة التي كان يسوع يعبر بها عن
افكاره فقد استعارها من الطبيعة وقلمًا كان يلحاً الى الكلمات العلمية
او النظريات المجردة الجافة ، او الاصطلاحات التي تقادم عليها العهد
فرثت وبليت . فقد كانت احاديثه معطرة بعيير الحقول وورود
البساتين ، وسذاجة الحيوان الذي كثيراً ما كان يستخدمه في امثاله
عبرة للانسان . وكان ينظر في بلاده « الجليل » الى التينة تنمو
وتنضج ثمراتها تحت اوراقها الطليلة ، ويتأمل عرانيص الدوالى الجافة

وهي ترثى ثيابها الخضراء من أوراق الـكـرـمـة النـفـسـة ، والـعـنـقـيدـةـ
الـبـيـضـاءـ وـالـسـوـدـاءـ تـتـدـلـىـ مـنـ كـلـ دـالـيـةـ مـنـتـظـرـةـ حـولـ اـيـامـ القـطـافـ وـماـ
احـلاـهـاـ ، وـكـانـ يـرـىـ فـيـ جـبـةـ الـخـرـدـلـ الـتـيـ تـكـادـ لـاـ تـرـاهـاـ العـيـونـ
شـجـرـةـ كـبـيرـةـ تـتـعـالـىـ اـغـصـانـهاـ الـبـيـضـاءـ فـيـ اـعـالـىـ الـفـضـاءـ ، وـتـمـتـدـ فـرـوعـهـاـ
إـلـىـ اـعـمـاـقـ الـأـرـضـ ، وـكـانـ يـسـمـعـ فـيـ سـكـينـةـ الـلـيـلـ صـلـصـلـةـ الـقـلـبـ
الـمـرـجـفـ تـحـتـ خـطـرـاتـ الـرـيـحـ عـلـىـ حـافـاتـ السـوـاقـيـ وـيـنـظـرـ إـلـىـ جـبـةـ
الـخـنـطـةـ يـوـارـوـنـهـاـ فـيـ ثـرـىـ فـلـاـ تـلـبـىـ إـنـ تـقـيقـ مـنـ رـقـادـهـ سـبـبـةـ مـمـتـلـئـةـ
مـنـ الـقـوـةـ وـالـحـيـاةـ ، وـيـتـأـمـلـ الزـنـاقـ الـأـرـجـوـانـيـ الـحـمـراءـ وـالـصـفـراءـ الـجـمـيـلـةـ
الـمـتـعـالـيـةـ بـحـرـارـةـ الـهـوـاءـ بـيـنـ حـقـوـلـ الـخـنـطـةـ الـمـتـمـوـجـةـ الـخـضـرـاءـ . وـيـتـفـرـسـ
فـيـ عـشـبـ الـحـقـلـ الـذـيـ لـاـ يـظـهـرـ عـلـىـ وـجـهـ الـغـبـرـاءـ مـخـضـلـاـ خـصـيـباـ فـيـ
الـيـوـمـ حـتـىـ تـقـطـعـهـ يـدـ الـأـنـسـانـ فـيـ الـغـدـ جـافـاـ وـتـطـرـحـهـ فـيـ تـنـورـ النـارـ
رـأـيـ الـحـيـوـانـاتـ الـأـلـيـفـةـ النـافـعـةـ كـأـرـأـيـ الـحـيـوـانـاتـ الـبـرـيـةـ الـمـوـءـدـيـةـ ،
رـأـيـ الـحـمـامـةـ رـافـعـةـ عـنـقـهـاـ الـبـرـّاـقـ وـهـيـ فـخـورـ مـعـجـبـةـ ، وـسـمـعـ سـجـعـهـاـ
الـمـبـشـرـ بـالـحـبـةـ مـنـ عـلـىـ السـطـوـحـ ، وـشـاهـدـ النـسـرـ يـنـقـضـ باـسـطاـ جـنـاحـيهـ
مـنـ اـعـالـىـ الـجـوـ إـلـىـ الـأـرـضـ عـلـىـ فـرـيـسـتـهـ الـمـرـتـعـشـةـ الـوـاجـفـةـ رـعـبـاـ، وـالـخـطـاطـيفـ
كـالـمـلـوـكـ لـاـ تـسـقـطـ إـلـىـ الـأـرـضـ إـلـاـ بـارـادـةـ اللهـ ، وـالـغـرـبـانـ تـنـهـشـ الـلـحـمـ
مـنـ الـحـيـفـةـ الـمـنـتـنـةـ بـعـنـاقـيـدـهـاـ الـقـاسـيـةـ ، وـالـدـجـاجـةـ ، الـأـمـ الـعـطـوفـ ، تـجـمـعـ
اـفـرـاخـهـاـ تـحـتـ جـنـاحـيـهـاـ عـنـدـمـاـ يـظـلـمـ الـلـيـلـ وـتـرـعـدـ الـطـبـيـعـةـ وـتـبـرـقـ، وـالـشـلـبـ
الـغـدارـ عـائـدـاـ إـلـىـ ظـلـمـةـ وـكـرـهـ بـعـدـ خـيـانتـهـ وـشـرـهـ وـغـدرـهـ ، وـالـكـلـابـ

تروح وتجيء تحت موائد الكبراء تلتسم الفتات الساقط على الأرض
من فضلات أربابها . رأى الحية مناسبة بين الأعشاب والافعى السوداء
متغلغلة بين حجارة القبور المتبعثرة . فقد ولد بين رعاة الاغنام لكي
يكون راعياً للخراف الناطقة ولذلك أحب المواشي والقطعان ، رأى
النعجة تلتسم حملها الصائم ، واصغرى إلى ثغاء الحلان وهي متتص
الابن من أمها مختبئة تحت اجسامها الصوفية الجميلة ، وشاهد القطعان
تشويها حرارة الشمس في مراعيها الضيقة على التلال ، وقد احب
البدور الصغيرة التي لا تكاد تراها اذا وضعها على راحة يده كا احب
غيرها على السواء . وأحب أشجار التين القديمة الملقية أظللها السوداء
على بيوت الفقراء والبائسين وطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ،
والأسماك الصغيرة تلمع في الشباك كالفضة النقية يعدّها الصيادون
غذاء للمؤمنين ، وعندما كان يرفع عينيه وينظر إلى السماء في الليلي
المظلمة العاصفة كان يرى النور خارجاً من الشرق ومبداً ظلمة المليل
إلى أن يبلغ أقصى المغرب .

غير ان يسوع لم يقتصر في درسه على كتاب الطبيعة المتعدد
الألوان فقط ، بل كان يعرف ان الله قد خاطب الناس بواسطة
الملائكة ، والآباء والأنبياء . وان أقواله وشرائعه وانتصاراته كلها
مدونة في الكتاب . وقد كان عارفاً بالاشارات السحرية السوداء
التي بواسطتها كان الاموات يلقنون الاحياء الذين لم يكونوا قد

ولدوا بعد أفكار أبناء العهد القديم وتدكارات الاجيال المنصرمة
ولم يدرس في حياته كتاباً سوى الكتب التي دونها أجداده في
تاريخ شعبه ، وارادة الرب المعلنة في نبوات الانبياء ولكنـه كان
يعرف تلك الكتب ويفهم وحيها أكثر من جميع الكتبة والمعلمـين ،
حتى ليسـتـطـيع ان يكون مـعلـماً لا مـتعلـماً .

العهد القديم

كان اليهودي أوفر أهل الأرض سعادة كما كان أشدـهم تعبـاً
وشقاء . وما تاريخـه سوى سر غـريب بـداءـته موـسـح جـنة عـدن
القصـير ، ونـهاـيـته المـأسـاة الـخـالـدـة مـسـتـانـت فـصـوـلـها عـلـى تـلـة الـجـلـجلـة .
فقد جـبـلت يـدا اللهـ المـنـيرـتان أـبـوـيهـ الـلـذـين أـقـامـهـا الـرـبـ سـيـدـينـ مـطـلقـينـ
عـلـى الـفـرـدـوسـ ، أـرـضـ الصـيفـ الـمـثـمـرـ الـخـالـدـ ، الـقـائـمـ فـي وـسـطـ الـأـنـهـرـ
الـعـذـبةـ النـقـيةـ ، حـيـثـ الـأـثـارـ الشـرـقـيةـ الـجـمـيلـةـ تـتـدـلـىـ مـنـ أـغـصـانـهاـ شـهـيـةـ
الـمـنـظـرـ ، لـذـيـنـةـ الطـعـمـ ، تـحـيطـ بـهـاـ الـأـورـاقـ الـغـضـةـ فـتـزـيدـهاـ جـمـالـاـ وـتـكـثـرـ
عـصـيرـهـاـ وـلـذـتهاـ . فـيـ ذـلـكـ الـفـرـدـوسـ السـعـيـدـ عـاشـاـ الـجـدـانـ الـأـولـانـ
تـرـقـبـهـاـ عـيـونـ النـجـومـ الـلـامـعـةـ فـيـ السـمـوـاتـ الـمـصـنـوـعـةـ حـدـيـثـاـ فـيـ ذـلـكـ
الـعـهـدـ ، الـخـالـيـةـ مـنـ أـقـدـارـ الـغـيـومـ وـوـمـيـضـ الـبـرـوقـ وـصـفـيرـ الـرـياـحـ وـلـمـ
يـكـنـ لـذـيـنـكـ الـجـدـيـنـ مـنـ عـمـلـ يـعـمـلـانـهـ فـيـ عـهـدـهـاـ الـأـولـ سـوـىـ أـنـ يـحـبـاـ

الله ويحب أحد هما الآخر . هذا هو العهد الأول الذي قطعه الله معهما . ولذلك عاشا من غير أن يعرفا حزناً أو اضطراباً لأن الحزن والاضطراب لم يكن لهما وجود بعد في العالم . ولم يكن في الطبيعة ما يرعبهما أو يخيفهما . حتى ان الموت مع هوله لم يرعبهما لأنه لم يكن قد وجد بعد . غير ان المخالفة الأولى قد سببت لهما النفي من الفردوس . فحكم على الرجل بان يستغلى ويحصل خبره بعرقه وجهه ، وقضى على المرأة ان تلد أولادها بالوجاع .

أن العمل متعب شاق بيد انه يأتي بشمرة الحصاد المديدة ، والولادة مجبرة باللام والدموع ولكنها تجلب الاولاد تعزية للرجل والمرأة . غير أن هذه التعزية نفسها والمسرات الناقصة لم يطل عهدها في تاريخ الابوين الاولين فانها زالت وابتلاعها الشيطان كما تتبع الحشرات . اعشاب الارض . فقام الاخ لأول مرة وقتل اخاه . فانتن الدم المسفوک ظلماً على الارض وتولدت من بخاره جرائم الاثم والخطيئة . فاتحدت بنات الناس بالشياطين والا بالسة ومنهن كم ولی من الجبارۃ والسفاحین الجهنمين الذين حولوا نعیم هذا العالم جحیماً . اذ ذاك ارسل الله قصاصه الثاني للانسان المارق من شريعته والناس كث لعهده فقضى عليه بعمودية الفناء ، وفتح ميازيب السماء على الارض وشرور الساکنین فيها ، فهطلت الامطار ، وجاء الطوفان فأخذ المنافقین وشرورهم ولم يبق سوى رجل واحد كان باراً في عيني .

الرب مع اسرته . فقطع الله معه عهداً ثانياً .

وقد كانت ايام نوح فاتحة عهد جديد سعيد في تاريخ الاجيال الخالية ، الا وهو عهد البطاركة الآباء الرعاة الرحيل المعمرين الذين قضوا حياتهم تأميناً بين مصر وبلاد الكلدان ينشدون المراعي الخصبة حيث الماء والسلام . فلم تكن لهم بلاد مختصة بهم ولا مدينة ولا بيت قط . فكانوا يسافرون متنقلين من مكان الى مكان بقوافلهم العديدة ومعهم نسائهم المشرفات بالاولاد ، واولادهم المحبون ، وكناهم الوديعات ، وحفتهم البعيدون والقريبون وما كان أكثرهم ، وخدماتهم خادماتهم الامناء ، وثيرانهم النشطة وهي تدور في سكون الصحراء ، وبقراتهم الحلوب المزينة بالاجراس ، وعجولهم الصغيرة اللعوبية ، وكباشهم وتيوسهم ذات الرائحة القوية ، وخرافهم المرتدية بالصوف الناصع البياض ، وجماهم الكبيرة الرقطاء ، وخيوthem المطهمة ، ومعزهم الرافعه رؤوسها والخابطة بارجلها على الارض ضجراً وملالاً . وأنية الذهب والفضة ، والتماثيل المصنوعة من المعادن ، والحجارة الثمينة تملأ اخراجهم وأكياسهم .

وكانوا إذا بلغوا النقطة الاخيرة من رحلتهم ينصبون خيامهم قريبة من صهريج ماء أو عين ، أو بئر ، فكان البطريرك كبير الاسرة يجلس في ظلال الجميز والسنديان يراقب المضارب العظيمة يتتصاعد منها دخان النيران ، والضجيج متعال في انحائه من حركة

النساء والرعاة العائدين من أشغالهم . وتعدد أصوات الحيوانات من خوار الشiran وثغاء الخرفان ، الى نهيق الجمير ومواء السنانيـر وكان البطريـرك يتـأمل في ذلك والغبطة آخذـة من قلـبه كلـ مـأخذ ، وعلامـ القنـاعة والرـضـى بـادـية عـلـى وجـهـهـ المـشـرقـ بنـورـ الـاخـلاـصـ وـهـوـ يـنـظـرـ أـمـامـ عـيـنـيهـ ثـمـ بـطـنـهـ المـتـكـاثـرـ بالـمحـبةـ ، وـيـفـرـحـ إـذـ يـرـىـ الـبـرـكـةـ تـكـثـرـ أـمـوـالـهـ وـمـوـاشـيـهـ سـنـةـ فـسـنـةـ ، فـيـسـبـحـ بـحـمـدـ رـبـهـ شـاـكـراـ .

وفي المسـاءـ كانـ يـرـفـعـ عـيـنـيهـ لـيـحـيـ النـجـمـ الـأـولـ المـشـرقـ فـيـ حـينـهـ ، الـلـامـعـ كـالـنـارـ عـلـىـ قـنـ التـلـالـ ، وـلـحـيـتـهـ الـبـيـضـاءـ الـمـتـجـعـدـةـ تـشـعـ نـورـاـعـنـدـ إـنـعـكـاسـ اـشـعـةـ الـقـمـرـ عـلـيـهـاـ فـيـ الـلـيـلـيـ الـمـقـمـرـةـ الـتـيـ يـكـونـ قـدـ مـتـقـعـ بـنـورـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ قـرـنـ كـامـلـ .

وـكـثـيرـاـ ماـ كـانـ مـلـاـكـ الـرـبـ يـهـبـطـ مـنـ السـمـاءـ لـيـزـورـهـ ، وـقـبـلـ أـنـ يـقـدـمـ رـسـالـتـهـ الـتـيـ حـمـلـهـ إـلـيـهـ كـانـ يـجـلـسـ إـلـىـ مـائـدـتـهـ وـيـأـكـلـانـ مـعاـ .
بـلـ انـ الـرـبـ نـفـسـهـ قـدـ تـنـازـلـ مـرـةـ فـيـ حرـ النـهـارـ وـأـتـىـ بـزـيـ مـسـافـرـ وـجـلـسـ مـعـ الشـيـخـ الـبـطـرـيـركـ كـبـيرـ الرـّحـلـ فـيـ ظـلـالـ الـخـيـمـةـ فـيـاـ كـلـ مـنـهـماـ الـأـخـرـ بـشـوـقـ وـمـحبـةـ كـأـنـاـ هـمـاـ صـدـيقـانـ قـدـيـعـانـ اـجـتـمـعـاـ بـعـدـ فـرـاقـ طـوـيلـ ، ثـمـ جـلـساـ وـجـهـاـ لـوـجـهـ يـتـخـاطـبـانـ وـيـتـحـادـثـانـ . وـهـكـذـاـ صـارـ رـأـسـ الـقـبـيـلـةـ وـسـيـدـ الـعـبـيدـ عـبـدـاـ وـخـادـمـاـ فـيـ دـوـرـهـ لـسـيـدـهـ وـرـبـهـ ، مـصـغـيـاـ إـلـىـ أـوـامـرـهـ ، وـنـصـائـحـهـ ، وـمـوـاعـيـدـهـ ، وـانـذـارـاتـهـ وـنبـوـاتـهـ ، هـذـاـ هـوـ الـعـهـدـ الـثـالـثـ الـذـيـ أـمـضـاهـ الـرـبـ مـعـ اـبـرـاهـيمـ وـهـوـ أـشـدـ وـقـارـاـ وـاحـتـرـاماـ

من العهدين الأولين . وبعد ذلك نرى ابن أحد البطاركة الآباء الذي باعه أخوه عبداً — تراه سيداً و منقذاً في أرض الفراعنة يدعونسه عليه . وقد كان ذلك مدعاه لفرح اليهود إذ انقدوا من الفاقة والموت ، و وجدوا أنفسهم ثانية في أرض خصيبة ، و بلاد سعيدة ، فتكاثروا وأثروا وبلغوا شأواً رفيعاً من النجاح والفلاح . ولكنهم ما لبשו أن ذلوا وأغرىهم المصريون ، فعبدوا لهم ، ف humili غضب الرب وقضى عليهم بالقصاص الثالث فاستعبدتهم المصريون الحاسدون وأذلوهم وسلبوا راحتهم وكنوزهم ، ولكي تطول أيام عبوديتهم قسّى الرب قلب فرعون لكي يزيد في استعبادهم وقهفهم وأخيراً أرسل إليهم الخالص الثاني فازال أوجاعهم ، وأخرجهم من مصر ، وأنقذهم من عبودية طينها وأقدارها .

بيد ان مصائبهم وتجاربهم لم تنته بهم عند ذلك الحد ، فقد تاهوا بعدئذ في البرية أربعين سنة يتقدمهم عمود دخان نهاراً وعمود نار ليلاً . ثم وعدهم الرب بأرض الموعد الخصبة الخضراء التي تدر عليناً وعسلاً ، الأرض المظللة بأشجار الزيتون والكرمة المشمرة . ولكنهم كانوا يثنون متسلقين إلى مصر لأنه لم يكن لديهم ماء ليشربوا ولا خبز ليأكلوا ، ولذلك كانوا يتذمرون متوجعين فأنبع لهم الرب الماء من الصخرة وأنزل عليهم من السماء المن والسلوى . بيد أن أولئك اليهود ، وقد كانوا وسممت نفوسهم السفر ، عادوا فأغضبوا

الهم ، وصنعوا لهم عجلات من النحاس وقاموا يعبدونه . فعاد موسى
حزيناً كسائر الانبياء مهملاً كسائر المُخلّصين ، يلتحق به شعبه
مرغماً كجميع القواد والمكتشفين ، وترك ذلك الشعب الكنود التمرد
وسائل الله أن ينقله إلى دار الراحة الابدية . ولكن يهوه الرب القدير
كان يريد كيما قضت الظروف أن يقطع العهد الرابع مع شعبه
فأطّلَّ أَجَلَ موسى حتى هبط من الجبل الملتحف بالدخان والضباب
والبرق والرعد وهو يحمل اللوحين الحجرين اللذين كتب عليهما
الله الوصايا العشر المقدسة .

أما موسى فلم يكن له أن ينظر أرض الموعد عن كثب ، وهي
الفردوس الجديد الذي كان الإنسان على أهبة احتلاله بعد ان خسر
فردوسه الضائع ، ولكن وعد الله لم يتغير مع شعبه : فقد قطع
يشوع والابطال الذين كانوا معه نهر الأردن ، ودخلوا أرض كنعان ،
واخضعوا لهم الشعوب التي كانت ساكنة في تلك النواحي وكانت
المدن تسقط تحت أقدامهم لدى سماع أصوات أبواقفهم والنبية دبورة
تنشد أناشيد الغلبة والانتصار ، وكان الشعب يحملون معهم رب
الجنود ، مختبئاً وراء الخيام ، على عجلة تجرها الثيران ، أما أعداؤهم
فكانوا كثيرين جداً ولم تكن لهم رغبة في أن يخلوا لهم الأرض لكي
يسكنوها . غير أن اليهود ، وأكثرهم رعاة ولصوص في ذلك العهد ،
كانوا ينتصرون عليهم تارة وينكسرون طوراً — ينتصرون عندما

كانوا يحافظون على الشريعة وينكسرن عنـما كانوا يهمـلـونـها .

وبعد ذلك نرى بينهم ذلك الجبار النديـر الذي لم يـعـلـ موسى على رأسه ، نـراـهـ يـقـتـلـ وـحـدهـ الـوـفـاـ منـ العـمـالـقـةـ وـالـفـلـسـطـيـنـيـنـ ولـكـنهـ ما لـبـثـ اـنـ أـغـوـتـهـ أـمـرـأـ ، فـفـقـأـ الـاعـدـاءـ عـيـنـيهـ وـجـعـلـهـ يـدـيـرـ حـجـرـ الرـحـاـ بـيـدـيـهـ . ولـكـنـ الجـبـابـرـةـ وـالـأـبـطـالـ لـاـ يـكـفـونـ وـحـدهـ لـتـأـسـيـسـ المـمـالـكـ الـتـيـ يـحـتـاجـ عـمـرـانـهـ ، إـلـىـ الـمـلـوـكـ وـالـرـؤـسـاءـ . ولـذـلـكـ نـرـىـ شـابـاـًـ مـنـ نـسـلـ بـنـيـامـينـ بـيـنـمـاـ كـانـ مـاشـيـاـًـ فـيـ الـبـرـيـةـ يـفـتـشـ عـنـ حـمـيرـ أـبـيـهـ الشـارـدـةـ ، يـلـاقـيـهـ نـبـيـّـ ، وـيـسـحـهـ بـالـزـيـتـ الـمـقـدـسـ ، وـيـقـيـمـهـ مـلـكـاـًـ عـلـىـ جـمـيعـ الشـعـبـ الـاسـرـائـيلـيـ . وـهـكـذـاـ صـارـ شـاـولـ مـلـكـاـًـ ، وـكـانـ مـدـرـبـاـ عـلـىـ الـحـربـ ذـاـ قـوـةـ شـدـيـدةـ ، فـبـطـشـ بـالـعـمـوـنـيـنـ وـالـعـمـالـقـةـ ، وـأـسـسـ مـلـكـةـ عـسـكـرـيـةـ ذـاعـتـ شـهـرـتـهـ بـيـنـ سـائـرـ الـقـبـائـلـ الـجـاـوـرـةـ فـوـقـ رـعـبـهـ فـيـ القـلـوبـ وـلـكـنـ النـبـيـ عـيـنـهـ الـذـيـ اـقـامـهـ مـلـكـاـ تـقـمـ عـلـيـهـ وـأـقـامـ لـهـ مـنـاظـرـاـ يـعـكـرـ صـفـورـ رـاحـتـهـ . ثـمـ نـرـىـ دـاـودـ الرـاعـيـ الصـغـيـرـ يـقـتـلـ عـدـوـ الـمـلـكـ الـجـبـابـرـ ، وـيـخـفـفـ مـنـ غـضـبـ الـمـلـكـ بـأـقـامـهـ الشـجـيـةـ ، وـرـبـاـهـ الـفـتـانـ ، فـيـقـعـ حـبـهـ فـيـ قـلـبـ اـبـنـ الـمـلـكـ الـأـكـبـرـ وـيـتـزـوـجـ مـنـ اـبـنـةـ الـمـلـكـ وـيـصـبـحـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـمـقـرـ بـيـنـ مـنـهـ ، وـالـمـتـنـفـدـيـنـ لـدـيـهـ . ولـكـنـ شـاـولـ الـمـتـرـجـرـ الـمـتـقـلـلـ الـأـفـكـارـ أـرـادـ أـنـ يـقـتـلـهـ حـسـداـًـ مـنـهـ وـخـوـفـاـًـ . فـقـرـ دـاـودـ وـلـجـاـ إـلـىـ الـجـبـابـرـ بـخـتـيـئـاـًـ فـيـ كـهـوفـهـاـ وـمـغـاـورـهـاـ وـصـارـ رـئـيـسـاـًـ لـاـصـوصـ غـيـرـ اـنـهـ مـاـ لـبـثـ اـنـ قـرـكـ الـجـبـابـرـ وـنـزـلـ إـلـىـ خـيـامـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ مـتـطـوـعـاـًـ فـيـ خـدـمـتـهـ . وـعـنـدـمـاـ

كسر الفلسطينيون شاول وقتلوه صار داود ملكاً في موضعه على اسرائيل . فاقام ذلك الراعي الجسور والشجاع ، العظيم ملك وشاعر ، والشهواني القاسي مملكة في اورشليم وتمكن بمساعدة رجال حاميته من قهر سائر الملوك المجاورة والسلط عليها . وكان ذلك أذل مرأة في التاريخ نرى اليهودي فيها مر هو بما مهيباً يخشى الناس بأسه . بيد انه ظل أجيالاً طوالاً بعد ذلك وهو راسف في اغلال العبودية يحن إلى تجديد مملكة داود ، ويتوقع مجيء رجل من نسل داود لكي يخلصه من عبوديته الغريبة المرة .

كان داود ملك السيف والعناء ، أما سليمان فكان ملك الذهب والحكمة لأن الذهب كان يقدم إليه ضريبة : فزين به الهيكل الفخم الأول للله يهوه ، وكان يرسل المراكب إلى البلاد البعيدة في طلب الذهب ، وقد جاءت مملكة سبا من بلاد المشرق وطرحت تحت قدميه أكياس الذهب علامات خصوصها ، ولكن وفرة الذهب والفضة ، وغزاره الحكمة والمعرفة لم تقدر على حفظ ذلك الملك من الطيش والدعارة ، وصيانته مملكته من الخراب والدمار . فانه تزوج نساء غريبات . وعبد الله غريبة . ولكن الرب صفح عن شيخوخته أكراماً لشيابه — غير ان المملكة تقسمت بعد موته وهكذا بدأت أجيال العار والشنار فقامت المكاييد في القصر ، وتکاثر اغتيال الملوك ، وتمرد القواد والمتنفذون وثاروا على رؤسائهم ، وشبّت نيران الحروب

الأهلية في البلاد وكثرت عبادة الأصنام ، وازداد عدد المقربين عليها حتى عمّت البلبلة سائر أنحاء المملكة ، وساد الانتقام بين الجميع . فقام الأنبياء ينذرون ويونجخون ولكن الملوك كانوا يديرون لهم أذاناً صماء ، أو يضطهدونهم أو يطردونهم . فقويت شوكة أعداء إسرائيل وازدادت سلطوتهم . فغزت الملك الغريبة مملكة إسرائيل بعد أن تضعضعت قواها — بقاء الفينيقيون ، والمصريون ، والأشوريون والبابليون ، وغزوا البلاد بعضهم وراء بعض ، وارهقوا كاهلها بالضرائب . وقبل ميلاد يسوع بستمائة سنة جاء البابليون وضربوا أورشليم ، وهدموا هيكل رب الجنود ، وقادوا اليهود أسرى إلى شواطئ أنهار بابل . في ذلك الحين طفح كيل شرور اليهود والحداد عليهم فثار عليهم غضب رب الذي اتقدهم من عبودية المصريين فعاد وأسلمهم عبيدًا للبابليين . هذا هو القصاص الرابع الذي قاص به الله اليهود . وهو أشد قصاص نزل بهم لانه كان بلا نهاية . ومن ذلك الحين قضي على اليهود ان يتفرقوا بين أعم غربية عنهم ، وان يحكمهم الغرباء والاجانب عن بلادهم . غير ان بعضاً منهم عادوا إلى أورشليم بعد ذلك لكي يجددوا بناء الهيكل فلم ينجحوا لأن البلاد كانت ترتجف تحت أقدام الاسكيثيين الذين غزووها ، وتتدفع الجزيئة للفرس . وفي الوقت ذاته كان يحكمها اليونانيون . ولذلك كانت حروب المكابيين آخر عهد اليهود في السعي وراء استرجاع مملكتهم التي

قضى عليها أخيراً أن تدفع إلى أيدي سلالة من برابرة العرب
الخاضعين للرومانيين.

ان هذا الشعب الذي عاش في الغبطة والهناء عديد السنين
حرأً طليقاً في عرض الصحراء ، وتمتع هنريه بالسيادة على الملوك
والسلطانين ، الشعب الذي طالما اعتقد — وهو الشعب الذي ترقبه
عين الماء وترعاه — انه أول الشعوب وأفضلها على الأرض ، نراه
أخيراً يرتحف تحت أقدام الغرباء السفاحين ، تعمل فيه سيوفهم فتقتل
شيوخه وشبانه على السواء ، نراه هزءاً وسخرية على وجه الغرباء
وأضحوكة في أفواه جميع الاحياء . بيد ان عاره وما قدر له من الخزي
والذلة قد ازداد بعد موت يسوع : إذ نرى اورشليم خربة خاوية
حرة ثانية ، والهيكل رجاسة خراب ، ولا قوة ولا كلة في أرض داود
وسليمان إلا لليونانيين والرومانيين وبقية اسرائيل تتبعثر على وجه
الارض كالغبار المتطاير من أمام الريح الشرقية السموم .

أجل ، انه لم يقم في العالم شعب أحب الله كما أحب هذا الشعب امه ،
ولم يقم شعب قط أدبه ربّه كما أدبه يهوه شعبه . فانه بعد ان اختارهم
لكي يكونوا الاولين صاروا عبيداً لعيid الآخرين . وبينما تراهم
يتقرون إلى ان تكون لهم بلاد قوية مختصة بهم ، نراهم عبيداً وغرباء
منفيين في بلاد ليست لهم .

ومع انهم كانوا رعاة اكثراً مما كانوا رجال حرب وقتال فانهم لم

يذوقوا طعم السلام قط ، لا مع الغرباء ولا بعضهم مع بعض .
كانوا يحاربون جيرانهم ، وضيوفهم ، وقوادهم وكثيراً ما حاربوا
أنبياءهم والهُم نفسه .

ولكن هذه البلاد النابعة شرًّا وفجوراً ، التي كان يتحكم فيها
ال مجرمون والسفاحون والغادرون والزناة الفاسدون والاصحوص والحكام
المرتشون ، هذه الارض الفاسدة ، ارض الكفر والاحاد ، قد
انجتت بالرغم من كل ذلك أشرف النساء اللواتي ولدن أقدس واطهر
أنبياء المشرق ، وقد يسييه الاطهار . وأخيراً جاء من نسلهن أبوالقديسين
المجدين الذي كان محجاً لكل الاباء والأنبياء وأملهم الوحيد
بالخلاص . ان هذا الشعب الذي لم ينبغ في روحانية ، ولا علم ولا
موسيقى ، ولا حفر ، ولا تصوير ، ولا هندسة قد كتب أعظم اشعار
العالم القديم اللامعة بانوار وحي المزامير والأنبياء ، والفخورة برقة
قصص يوسف وراعوث التي لا تتجارى ، والملتهبة بعاطفة نشيد
الانشد الحالدة .

قد نشأ هذا الشعب في وسط كثرة فيه الطقوس والتقاليد
البالغة ، والآلهة الغريبة ، وعبادة الاوثان ، ولكنهم بلغوا ادرائـ كـنهـ
محبة الله الـ اـبـ السـماـويـ العـالـمـ جـمـيعـ العـالـمـ ، كانواـ أغـنـيـاءـ فيـ وـفـرـةـ ذـهـبـهـمـ
وـكـثـرـةـ أـمـلـاكـهـمـ وـأـرـضـهـمـ ، بـيـدـ أـنـهـمـ يـفـاخـرـونـ العـالـمـ بـأـنـبـيـاءـهـمـ الـذـينـ
كانواـ أـوـلـاـنـدـ دـافـعـ عنـ حـقـوقـ الـفـقـراءـ وـاحـتـقـرـرـةـ الـأـغـنـيـاءـ وـغـنـاـهـمـ الـبـعـيدـ

عن روح الله . ان الشعب الذي طالما ذبح الابرار على مذابح عبادتهم ،
وفي هياكلهم ، وحرق مدنها برمتها بجميع من فيها من كبار وصغار ،
هذا الشعب نفسه قد قدم تلاميذ مساعدين لذلك الوديع الذي
علم الناس أن يحبوا أعداءهم . ان هذا الشعب الذي كثيراً ما كان
يترك أهله ويتبع أهله غريبة حسداً من أهله الحسود ، لم يبق من
هيكلهم الذي بني وتهدم ثلاث مرات ، سوى جانب من حائط
حقير عار من جميع امجاد سليمان وزينته ، يجتمع اليه الراثون والنادبون
ويخفون دموعهم في ظله .

غير أن هذا الشعب الذي تجمعت فيه جميع المتناقضات . فكان
أسعد شعوب الأرض كما كان اتعسها . وكان الأول بين الاوائل والاخير
بين الاواخر ، وكان العظيم الرفيع الفائق الطبيعة والوضيع المنسحق
تحت اقدام العبيد ، الشعب الذي على رغم أنه لا يزال يخدم أمماً
غريبة عنه فهو ما برح حتى اليوم يسود غيره من الامم والشعوب بماله
وكلمته . الشعب الذي مع انه تغرب عن بلاده منذ مئات السنين
ولم يبق له بلاد خاصة به فان أملأكه منتشرة في سائر أنحاء الأرض ،
الشعب الذي رغم انه صلب قائد ومحليه وسفك دمه على الصليب
فقد قسم تاريخ الإنسانية الى قسمين . ان سلالة قاتلي الالهة هؤلاء
قد أثمرت للعالم شيئاً هو أنجس وأقدس سائر الشعوب .

الأنبياء

ما قام في العالم شعب اندره حكماوه وأنبياؤه كاليهود منذ بدأءة
ملكتهم الى حين تشتت شملهم وعباديتهم : في أيام الملوك العظام ،
أيام النصر والرخاء . وفي أيام النبي الحزينة ، وفي أيام العبودية المرة ، وفي
أيام الشتات المسؤومة .

للهند نسا كها الذين يعتزلون العالم ويغدون الى البراري فيقهرون
أجسادهم بأنواع النسك والتقصيف لكي تستطيع النفس أن تسurg مع
اللامتناهي في قضاء اللامناهية . وللصين حكماوها الودعاء ، وأباؤها
المحبون للسلام ، الذين علموا الاداب لرجال الامبراطورية العظام
ولا حقر أبناء الشعب على السواء . ولليونان فلاسفتها الذين وضعوا
في أروقهم الظليله النظم الدقيقة لفلسفتهم ، ونظموا أشرافاً منطبقهم
ونصبوا أحابيله بملء الدقة والعناء . وللرومانيين مشتروعهم الذين
تقشوا على النحاس الشرائع والقوانين لتأييد العدالة في العالم القديم
والاجيال التي توالت بعد ذلك العهد . وللاجيال المتوسطة رهباها
ووعاظها الذين قضوا حياتهم مجاهدين في سبيل تتبیه المسيحية ،
الوسنانة وتذکیرها آلام المسيح وتخویفها من نار جهنم . أما اليهود
فليس لهم سوى انبیائهم .

فالأنبياء لم يعلنوا وحيهم ونبؤاتهم للناس في المغاور والكهوف

من على كراسيهم المثلثة القوائم والزبد يتظاهر من اشد اقفهم مع كلامهم وأقواهم ولكنهم تكلموا وأنبأوا الناس بالمستقبل . غير أنهم لم يحصروا كلامهم بالمستقبل وحده لأنهم كانوا ينبئون بأمور لم تحدث بعد وفي الوقت نفسه كانوا يذكرون الناس بما مضى من حوادث الاجيال الغابرة . فكانوا مسيطرين على الزمان بظاهره الثلاثة ، يحملون رموز الماضي ، ويكشفون أسرار الحاضر ، وينذرون بما في المستقبل وحوادثه التي لم تحدث بعد .

كان النبي اليهودي صوتاً يتكلم أو يدأ تكتب ، صوتاً يتكلم في قصور الملوك ، وفي كهوف الجبال ، ومن على درجات الهيكل ، وفي قدس قدس يهوه الآله العظيم ، كان صوتاً يرتفع بالصلوة ، وصلوة تتعالى بالانذار والوعيد ووعيداً يتحول إلى الرجاء والامال المقدسة . وكان قلبه مضغوطاً بالحزن ، وفيه ممتلئاً هرارة وعنةماً ، وذراعه مرتقطة بالارشاد ، مندرة بالدينونة الآتية على المخالفين : كان يتكلم من أجل شعبه ، ويوبح لهم من فرط حبه لهم . وكان يعاقب الناس لكي يظهر لهم من خطاياهم ، وبعد سيلان الدماء في ساحات المذابح ، واندلاع ألسنة النيران في الحرائق ، كان يعلم بالقيمة والحياة ، بالغلبة والبركة ، يملك داود الجديد والعهد الباقى إلى الأبد .

كان النبي يقود المشركين من ظلمة الشرك إلى نور رب العالمين الحق ، ويزدكر الخائن بآيمانه واقسامه ، ويسأل الرحمة للفقير

المسكين ، ويرجع المحبة والشفقة إلى قلب الظالم الاتيم ويعيد الطهارة للتجسس ، والرحمة للاشرار والظالمين والعدالة للملوك ، والطاعة للثائرين المتمردين ، والقصاص للاخطأة ، والضعة للمتكبرين . وكان يدخل قصور الملوك فيوسعهم توبيخاً وتأنيجاً وينحدر إلى رعاع الشعب فيؤديهم بسياط الحق والمعرفة : ويبكت الكهان ورؤسائهم غير متغاض عن عيوبهم وتقاعصهم ، ويقابل الأغنياء فيبعث بهم إلى ما هم أهل له من الحرية والخلدان . وكان يعلن التعزية للحزين ، والاجر والثواب للمضطهدين والصادرين والصحوة للمرضى والمضنkin ، والحرية للاسرى والمستعبدين ، — وعودة الظافر القاهر للامة الوضيعة الحقيرة .

لم يكن النبي من طبقة الملوك ، أو الامراء ، والكهان، والمتشرعين بل كان فقيراً مسكيناً من عامة الناس المحتقرين والمنبوذين من الجميع . كان صوتاً وحيداً منفرداً ، صوتاً حزيناً مضغوطاً بالكآبة والآلام ، صوتاً هائلاً يندرو يصرخ بالعار والشمار ، صوتاً منادياً بالتنويه ومغفرة الخطايا وواعداً بالحياة الابدية والخلود .

لم يكن النبي فيلسوفاً ، ولم يكن يهمه إذا كان العالم قد تكون من الماء ، أو من النار ، إذا لم يكن للماء والنار من قوة على تطهير نفوس أبناء العالم .

كان النبي شاعراً ، بيد أنه لم يكن مختاراً في شاعريته ، فكان يصوغ في حدة غيظه ، وجلال وحيه ، صوراً ذات قوة معنوية خالدة

لَا يبلغ اليها خيال شاعر أو أديب على هذه الأرض . لم يكن النبي كاهناً ، لأنه لم يكن ممسوحاً بالزينة من خدام الهيكل الطامعين المستأجرين للمحافظة على تابوت العهد . ولم يكن ملكاً لأنه لم تكن له السلطة على رجال الحرب الأشداء المسلمين ، ولم يكن له من سيف سوى الكلمة الهاابطة من فوق ، من السماء ، ولم يكن جندياً بل كان مستعداً أن يموت في سبيل الله وشعبه في كل لحظة .

كان النبي صوتاً متتكلماً باسم رب ، ويداً تكتب ما ي命له عليها الله ، وكان رسولاً أرسله الله هداية الضالين عن الصراط المستقيم ، الذين تقضوا العهد ولم يحفظوا حرمة أقسامهم وایعازهم ، كان النبي أمين أسرار الله ونائبه وموضحة ارادته على الأرض ولذلك كان أعظم من الملوك لأنهم لم يكونوا يطعون الله ، وكان أعظم من الكهان لأنهم لم يفهموا شريعة الله ، وكان أعظم من الفلاسفة الذين ينكرون الله ، أعظم من سائر أبناء الشعب لأنهم تركوا الله ليعبدوا أصناماً من الحجارة والأخشاب .

النبي هو الذي ينظر بقلب متألم وعين يقظة إلى الشرور السائدة في العالم والعذاب القريب ، ويشاهد ملائكة السعادة الذي يلي العذاب والتوبه .

أجل ، كان النبي لساناً ناطقاً للاميين الاصم ، ويداً كاتبة للاقطع

المسكين ، ومنقذًا رؤوفاً للمظلومين والمضطهدين المستتين في شفائهم .
واللداع عن حقوق المساكين ، والمنتقم للمنسحقين تحت الأقدام
وهم يئدون متوجعين وليس لهم من يصفي إلى أذنיהם . كان رفيق
المغلوب المرتجف تحت سنابك الخيول ونصير المبغى عليهم والمستعبدين .
ولم يكن يخالط المُشبعين والشرهيف بل كان يقضى حياته مع
الحياء والبائسين .

كان صوتاً مضطرباً ، لجوجاً ، سابقاً لاوانه ، ممقوتاً من
العظاء ، محترقاً من العامة ، وقلماً كان يفهمه أحد حتى تلاميذه
المقربون ، كان النبي في اسرائيل يروح ويبحيء في الازقة والشوارع
والعيون ترقبه حسداً وغدرأً ، والالسنة تندلع عليه بالشتائم والاعنات ،
كأنما هو ضبع قد شمت رائحة الجيفة الثالثة من بعيد ، أو مهدار
ثرثار يضرب دائمًا بريشة حلقه على أوتار واحدة ، أو ذئب جائع
يعوي على قن الجبال ، ولم يكن يرحم به أحد من أفراد الشعب
سوى الفقراء والمضطهدين ، غير انهم ضعفاء ولا يعرفون إلا ان
يستمعوا الله صامتين .

وككل المنادين بالحق ، الذين يلقون راحة العامة الهاجعة في
ظلمة الغفلة ، ويزعنون دعائم سلامة الاسيد المستبدin ، كان
يتجنبه الناس كأنما هو ابرص نجس ، وينحسونه كأنه هر يرض سقيم
ووايء جوى ، ويضطهدونه كأنه اللـ عدو من أعدائهم . كان الملوك

يغضونه لانه كان يوبحهم لظلمهم وغدرهم ، وكان الكهنة يعاملونه كزنديق كافر لانه كان يزيح الستار عن مراوغتهم وريائهم ، وكان الاغنياء يحتقرونه لانه كان يشبعهم توبيخاً على طمعهم وبخلهم .

لأجل ذلك كله نرى إيليا يهرب من أمام غضب إيزابيل زوجة أخاب وقاتلته الانبياء ، وعاموص يُطرد من بيت اسرائيل في أيام أماصيا كاهن البعل ، واعصيا يقتل باصر منسى ، واوريا يذبح باصر الملك يواكيم ، وزخريا يقتل بين الهيكل والمذبح ، ويونان يُطرح في لجة البحر ، ويوحنا المعمدان يقطع رأسه بحد السيف ، والصليب يهياً لكي يعلق عليه يسوع .

كان النبي تقاداً للعيوب ، وقاضاً على الجرائم ، ولكن قلما يعترف الناس بعيوبهم ، ويقررون بجرائمهم . كان النبي الشفيع الصالح الذي يقود تابعيه إلى الحياة ، ولكن العميان قلما يريدون أن يقودهم أبناء النور . كان النبي رسولاً مبشرًا بالحياة ، غير أن الاصم عبيداً نذرها بالبشائر والمواعيد . كان النبي مخلصاً ، ولكن الناس يستلذون حياتهم القدرة ، وأهراضاً لهم الواية ولا يريدون لأنفسهم راحة أو شفاء . غير أن كلمة الانبياء هي الشهادة الخالدة لهذا الشعب الذي مع أنها أذلته وأنزلته عن عرش المجاده فقد كان لها من القوة ما جددت به ميلاده ثانية . لأن موت نبي واحد ، وهو أعظم الانبياء أجمعين ، قد كان وحده كافياً لأن يكفر عن خطايا وجهات جميع

الشعوب الذين كانوا يتمرغون في قذارات الأرض وحماتها .

الذى يأتي بعدي

كان يسوع في بيته في الناصرة مواظباً على درس أوامر الشريعة والتأمل فيها . وكان يشاهد بعينيه ما سيصير إليه أمره في قراءة مرتين الانبياء الفاجعة ، وفيها بملء الدقة والصراحة جميع المواجهات الثابتة ، التي كانت تكرر وتعاد في حياة جميع الآباء ، ويتباهى الجميع من غير أن يعترض أحد لانكارها ، وكلها تصف حياته بوضوح كامل وتشهد شهادة صريحة ، لا تقبل النقض ، لم يجتمع ما سيحل به . وعندما بلغ يسوع الثلاثين من عمره وتعرف إلى أبناء زمانه كان الإنسان ، كان يعلم كل ما ينظره من الحوادث من البداية إلى النهاية ، لأن حياته المقبلة كانت مدونة صحيفة صحيفة قبل ميلاده البشري بزمان طويل .

فقد عرف يسوع أن الله وعد موسى بنبي جد يد قائلأً له « سأقيم لهمنبياً من أخوتهم ،نبياً مثالك ،وسأضع كلامي في فيه ، وسيخاطبهم بجميع ما أمره به » وأنه سيقطع عهداً جديداً مع شعبه « ليس كالعهد الذي قطعته مع أباءهم ... بل سأجعل شريعي في ضمائركم ، وأكتبها على أواح قلوبكم ... وسأغفر آثامهم ولن أذكر خطاياهم

من بعد» هذا هو العهد المحفور في أعماق النفوس وليس على الحجارة: عهد الصفح والغفران وليس عهد القصاص والتأديب ! .

وقد جاء في الانبياء أن ماسيا يجب ان يتقدمه سابق لكي يعلنه للناس . « ها انا مرسل ملاكي امام وجهاك يهيء طريقك قدامك » .

« لانه قد ولد لنا صبي وأعطيته ابناً : ويدعى اسمه رسول الرأي العظيم مشيراً عجبياً ، والهاً قويًا مسلطًا رئيس السلام ، أبا الدهر الآتي ». غير ان الشعب سيتعamu عن رؤيته وان يصفي إلى صوته ، قال النبي ، « قد غلظ قلب هذا الشعب ، وثقلت آذانهم وعميت أبصارهم ، لئلاً ينظروا بعيونهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقول بهم ، ويرجعوا فاشففهم » .

« وسيكون حجر عثار وصخرة شك لجميع بيت اسرائيل ، وفناً وشركاً لسكان اورشليم »

ولن يتغضّم ويتباهي في ذاته : ولن يأتي بغبة واتتصار وكربلاء ، « افرحي يا إبنة صهيون وتهلاي يا إبنة اورشليم ، فهوذا ملوك يأتيك : عادلاً ومخلصاً ، وديعاً ومتواضعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان »

وسيؤيد العدالة ويرفع التعبس المتعسرين كما وصفه النبي قائلاً : « الرب قد مسحني لكي أبشر المساكين وارسلني لاعصب منكسرى

القلوب ، لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق ... واعزى
جميع النائحين » « ويزداد البائسون فرحاً بالرب ، ويتهلل مساكين
الناس بقدوس اسرائيل . لأن العاتي قد باد ، وفي المستهزئ وانقطع
كل الساهرين على الاثم »

« حينئذ تنفتح عيون العميان ، وآذان الصم تنفتح ، حينئذ
يقفز الاعرج كالاً يل ويترنم لسان الآخرين »

« أنا رب قد دعوتكم بالبر ، ان تفتح عيون العميان ، وتخرج
المسيحيون من سجنهم ، والجالسين فيظلمة من عبودية سجنهم »
وسيكون محترقاً ويتألم من الذين جاء لكي يخلصهم ، « لا صورة
له ولا جمال فننتظر اليه ، ولا منظر فنشتريه . محترق ومخذول من
الناس ، رجل اوجاع مختبر الحزن ، قد حجبنا عنه وجوهنا ،
فاحتقر ولم يعتد به . »

« ولكنـه قد حـمل اـحزانـا ، وـتحـمـل اوـجـاعـنا ، اـما نـحنـ قدـ
حسبـناـه مـصـابـاً مـضـرـواًـ من اللهـ ومـذـلـلاًـ . بـيدـ انهـ كانـ مجرـوهاـ
لـاجـلـ معـاصـيناـ ، وـمـسـحـوقـاًـ لـاجـلـ آـثـامـناـ ، تـأـديـبـ سـلامـناـ عـلـيـهـ
وـبـجـبـرهـ شـفـينـاـ .

« كـلـناـ كـفـئـمـ ضـلـلـناـ وـمـلـنـاـ كـلـ وـاحـدـ فيـ طـرـيقـهـ ، وـالـربـ وضعـ
عـلـيـهـ آـثـامـنـاـ اـجـمـعـينـ .

« قـدـ ظـلـمـ وـلـكـنـهـ تـذـلـلـ وـلـمـ يـفـتـحـ فـاهـ ، كـشـاءـ تـسـاقـ إـلـىـ الذـبحـ

وكنعجة صامته امام جازّ يها هكذا ولم يفتح فاه . . . لانه قطع من ارض الاحياء : وقد ضرب من اجل ذنب شعبي .

« اما رب فسر ان يسحقه : ولذلك اسلمه إلى الحزن ، ان جعل نفسه ذبيحة اثم يرى نسلاً تطول ايامه ومسرة الرب بيده تتجح . من تعب نفسه يرى ويسبع : وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . لذلك اقسم له بين الاعذراء ، ومع العظام ، يقسم غنيةمة من اجل انه سكب للموت نفسه : واحصي مع الاثم وهو حمل خطايا الكثيرين ، وشفع بالذنبين »
ولم يستنكر عن احتمال احرق الاهانات كما نرى في قول النبي ايضاً :

« بذلت ظهوري للضرار بين ، وخدّي للنافدين ، ولم استر وجهي عن العار والبصاق ، »

وفي الساعة الاخيرة يكون الجميع ضده ، « قد تكلموا علي بلسان عاش وبكلمات نفاق اجتمعوا حولي ، ابغضوني مجاناً ، ولاجل محبتي صاروا اعداء لي »

« انت عرفت عاري وخزيي وخجلي ، قد ادك جميع مضائقتي ، العار قد كسر قابي ففرضت ، سألت الرحمة فلم اجد وطلبت معزى فلم اصب .

« جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشى سقوني خلاً » وسمروني

بالمسامير واقتسموا ثيابي بينهم . قد أحاطت بي كلاب كثيرة ،
وجماعة الاشرار اكتتنفني ثقبوا يدي ورجلـي وأحصوا كل عظامي
وهم ينظرون ويتفسرون بي . اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسـي اقتربوا»
«.... وسينظرون الى الذي صلبوه ، وينوحون عليه كما
ينوح الانسان على ابنـه الوحـيد ، سـيتمـرونـون على قـدـهـ كـاـ يـتـمـرـصـ
الانسان على فقدـ ابنـهـ البـكـرـ .

« ويـسـجـدـ لـهـ كـلـ المـلـوـكـ . كـلـ الـأـمـمـ تـتـعـبـدـ لـهـ . لـأـنـهـ يـنـجـيـ القـيـرـ
الـمـسـغـيـثـ وـالـمـسـكـيـنـ الـذـيـ لـأـمـعـنـ لـهـ . يـشـفـقـ عـلـىـ الـمـسـكـيـنـ وـالـبـائـسـ
وـيـخـلـصـ نـفـوسـ الـفـقـراءـ .

« وأـبـنـاءـ الـذـيـنـ أـحـزـنـوـكـ سـيـأـتـوـنـ مـنـحـنـيـنـ أـمـامـكـ ، وـجـمـيـعـ الـذـيـنـ
أـذـلـوكـ سـيـرـكـوـنـ صـاغـرـيـنـ تـحـتـ مـوـاطـئـ قـدـمـيـكـ »

« لـأـنـهـ هـوـذـاـ الـظـلـمـةـ الـقـاتـمـةـ سـتـغـطـيـ وـجـهـ الـأـرـضـ وـجـمـيـعـ السـاكـنـيـنـ
فـيـهـاـ وـلـكـنـ نـورـ الـرـبـ سـيـشـرـقـ عـلـيـكـ ، وـمـجـدـهـ سـيـحـيـطـ بـكـ .

« وـسـيـأـتـيـ الـأـمـرـاءـ إـلـىـ نـورـكـ ، وـالـمـلـوـكـ إـلـىـ نـورـ قـيـامـتـكـ .

« إـرـفـعـيـ الـحـاظـكـ باـسـتـدـارـةـ وـانـظـريـ فـاـنـهـمـ قدـ اـجـتـمـعـوـ جـمـيـعـاـ
عـلـيـكـ . وـسـيـأـتـيـ بـنـوـكـ مـنـ بـعـيدـ وـبـنـاتـكـ سـتـنـمـوـ إـلـىـ جـانـبـكـ .

« هـاـ قـدـ أـعـطـيـتـهـ شـاهـدـاـ لـلـشـعـبـ ، وـقـائـدـاـ وـزـعـيمـاـ لـلـأـمـ .

وـهـاـ اـنـكـ سـتـدـعـيـنـ اـمـةـ مـاـ لـأـتـعـرـفـيـنـ . وـالـأـمـ الـتـيـ لـمـ تـعـرـفـكـ سـتـأـتـيـ
إـلـيـكـ لـأـجـلـ الـرـبـ الـهـكـ »

بمثل هذه الآيات كان يسوع ينادي نفسه في أسماره وخلواته قبل ان دخل إلى العالم . فقد كان عالماً كل شيء ولم يشأ أن يتحول عنه . ومن ذلك الحين كانت تمثل أمام عينيه القساوة ، ونكران الجليل ، والأذان الصماء التي كان من معاً أن يصادفها من أصدقائه ، وبغض الاشداء له ، والسياط والبصاق ، والتعييرات ، والاهانات ، وطعنات الحراب ، وتممير اليدين والرجلين بالمسامير ، والتعديبات ، وألام الصليب والموت ، وكان يعلم ان اليهود الملتتصقة أرواحهم بقدارات المادة بعد ان انسحقت نفوسهم باضطرهادات الغرباء ، وهم ممتلئون من الضعفنة والافكار الشريرة ، لم يكونوا ليقبلوا ماسياً كما جاء يسوع — فقيراً ، وضيئلاً ، ومحترقاً ذليلاً . بل كانوا — ما خلا فقراً منهم من ذوي البصيرة النيرة والأنبياء — يحلمون بما سيأسى ارضيًّا يكون ملكاً مدرعاً مسلحًا ، وداوداً ثانياً ، ومحارباً جباراً ، سفاكاً للدماء لكي يهرق دماء اعدائه — يحلمون بما سيأسى ذي ثروة يستطيع بها قصر سليمان وهي كل سليمان . كانوا يحلمون بان يشاهدو ملكاً جباراً تخر على اقدامه جميع ملوك الأرض مقدمين له الجزية عن يد وهم صاغرون ، الجزية المؤلفة من الذهب الخالص والفضة النقية وليس من الحبة والاحترام . وكان يخيل اليهم ان هذا الملك الأرضي سينتقم لاسرائيل من اعدائهم الذين خربوا بلادهم ، واتعسو حياتهم ، واستعبدوهم في أرض اباءهم واجدادهم . وان العبيد سيصيرون أسياداً

في مملكته ، والاسياد سيصيرون عبيداً ، وأن اورشليم ستكون كعبة العالم كلها ، وأن ملوك الارض سيخلعون تيجانهم ساجدين امام ملك اسرائيل الجديد . وأن حقول اسرائيل ستتصير أوفر خصباً من سائر حقول المعمور ، ومراعيهم ستكون أنضر واكثر نمواً من كل مراعي العالم ، وقطعاهم ومواشيهم تمو إلى ما لا نهاية له ، والخنطة والشعير وسائر الحبوب تنبت وتحصد مرتين في العام ، وسنابل القمح تشقق أكثر من ذي قبل بضعفين ، وتعطي الكرمة عنباً لم تنظر العين مثله فيما مضى من الازمنة حتى ان رجلين قويين يقدران بالجهد على حمل عنقود واحد منه . ويكثر الخمر حتى لا يبقى للناس أين يضعون نتاج كرمتهم ، ولا أين يضعون الزيت والزيتون ، ويكثر العسل حتى يجده الانسان في شقوق الاشجار وزوايا الشوارع والمدران . وتتكسر أغصان الاشجار تحت ثقل الامصار اللذيدة الطعم والجميلة المنظر ، التي لم ير الانسان ثمرة مثلها منذ أضاع فردوسه الاول .

هذا هو مasisا الذي كان ينتظره اليهود الجسديون الذين كانوا في عهد يسوع أما يسوع فقد كان عالماً انه لا يمكنه ان ينحرهم رغبات قلوبهم الامارة بالسوء ، وانه لم يأت لكي يكون ذلك الملك الجبار العاتي الذي يريدون منه ان يتحكم في ملوك الارض وشعوبها . وكان واثقاً بأن مملكته ليست من هذا العالم ، وانه لم يكن له أن يعطي العالم سوى القليل من الخبز والسمك ، وكل ما كان في قلبه من الحبقة ،

واخر نقطة من دمه ، غير انه كان يعرف ان أبناء العالم لن يؤمنوا به ، وانهم سيقا بلون محبته له بالتعذيبات والاضطهادات ، وانهم سيقتلونه أخيراً كنبي كاذب . عرف يسوع جميع ذلك كما قد رأه بعينيه ، ولا مسه بيديه ، وتحمله في نفسه وفي جسده . ولكنه عرف أيضاً ان بزرة تعاليمه التي جاء لكي يبذلها في الارض بين الشوك والعليق وتدوسها أقدام الاشرار والسفاحين — عرف انها ستفرخ بنتة حية قوية عند دنو الربيع ، ومع ان الريح ستلوّنها وتضغطها عند أول نموها فانها ستكبر رويداً رويداً حتى تصبح شجرة عظيمة ترتفع بفروعها إلى أعلى السماء فتغطي الارض باغصانها . وان جميع الناس سيجلسون في فيئها متذكرين موت الذي زرعها .

نبي النار

بينما كان يسوع يعمل في دكان الناصرة الحقيرة مشغلاً بالنجارة مع أبيه ، خرج صوت عظيم في البرية عبر الاردن والبحر الميت مبشرًا ومناديًا أنْ قد اقترب ملکوت الله . وقد كان ذلك الصوت صوت آخر الانبياء ، يوحنا العمدان الذي جاء يدعو اليهود إلى التوبة معلنًا لهم اقتراب ملکوت السماوات ومحبيه مasisia الموعد فيه . وكان يظهر الخطاة الذين كانوا يأتون إليه معمداً إياهم في مياه

الأردن لكي تكون هذه التنقية الخارجية لا واسع الجسد مقدمة
لتنقية الداخلية من ادران الخطيبة .

في ذلك العهد المظلم بقدارات هيرودس تدنس اليهودية القديمة
بالياديين المغتصبين ، وتنجست بفسق اليونانيين وفجورهم ، واحتقرت
تحت أقدام العساكر الرومانيين : أبناؤها مستترون عنها في سائر أنحاء
الارض يغدر بها كهانها أنفسهم فيسلمونها إلى أيدي أعدائها ، ولا
تعزية لها إلا بتذكّر مجدها القديم في أيام مملكتها الارضية القديمة
يمحن أبناؤها بفارغ الصبر إلى تجديد عنها والانتقام من أعدائها .
ويتوقعون لها النصر عن يد اهلاها القدير بمحبيه المسيح الخلص الموعود
به الذي يحررها ويملك في اورشليم الجديدة القاعدة بمجدهما وقوتها على
اورشليم سليمان ، ومن اورشليم يخرج فيستولي على سائر الامم والشعوب ،
ويتغلب على جميع الملوك والسلطانين ويغزو كل الملك في أربعة
أقطار الارض ، فيسود حينئذ السلام والراحة في جميع الامم ، في
ذلك العهد كانت اليهودية تمقت السائدين فيها ، والمتسلطون عليها
يسلبونها غناها وثروتها ، وهي ترتجف تحت أقدام الغرباء ، والأجراء ،
والفرسسين المرائين . في ذلك الحين واليهودية منقسمة بعضها على
بعض ، محترقة مسلوبة قوتها وثروتها ، وهي بالرغم من كل ذلك
لاتزال شديدة الإيمان والرجاء بالمستقبل ، أصاحت مسامعيها إلى الصوت
القادم من الصحراء وهبت بسرعة إلى مجري الأردن .

ان في حياة يوحنا وهيأته ما يستولي على خيالنا فيسحره ويستعبده . فقد ولد من والدين شيخين بعد أن بلغا من العمر عتياً ولم يرزقهما الله ولداً ولذلك كان نذيرًا من بطن أمه ، وكان شعره المسترسل على كتفيه وعلى صدره يزيد في هيبته ووقاره لانه لم يحلق فقط شعر رأسه منذ ولادته . ولم يشرب قط حمراً ولا مسكراً وقد عاش مبتلاً فلم يعرف امرأة ، ولم يعرف قلبه محبة سوى محبة الله ، ترك بيت أبيه وهو بعد في فجر حياته وذهب فاعتصم بالبرية ، وقد عاش هنالك سنين عديدة وحيداً ، فريداً . ولم يكن له لا بيت ولا خيمة ، ولا خدام ، ولم يكن يملك شيئاً من حطام الأرض سوى ثوب يسره : فكان لباسه من وبر الأبل وعلى حقوقه منطقة من جلد ، وكان طويلاً القامة — قوى البنية ، نحاسي اللون حمّصته الشمس يحرارتها ، وكان شعره طويلاً يتدلّى على ظهره ، ولحيته كثة مسترسلة على صدره ، وعيناه تشعان نوراً من تحت حواجبه المتحركة عندما كانت تخرج من فمه — الذي يعطيه الشعر من جميع جهاته — تلك العظات الخالدات المندرة بالويل والثبور للعاصين والمتباعدين عن التوبة والنور .

وقد كان هذا الرجل الجاف المغناطيسي المشابه للفلاسفة الهنود

باتفراده ، وللرواقين ^(١) بكره للمسرات ومقته للملذات — كان
الامل الوحيد لذلك الشعب الذي كان يعمده .

(١) الرواقيون شيعة من الفلاسفة ، نشأت لمرة الاولى في بلاد اليونان
وانشرت منها إلى رومية . وقد سموا بالرواقيين نسبة إلى رواق كان يجلس
عليه زينون الحجر الأساسي لهذه المدرسة الجديدة في سنة ٣٠٨ قبل المسيح
وبعد موت ارسطو بأربع عشرة سنة ، وبعد موت افلاطون بتسع وثلاثين
سنة . وقد عاش زينون عمرًا طويلاً ، وكان في حياته مكرماً معززاً من
الاثنيين ، ولكن مؤلفاته اندرت ولم يحفظ منها شيء قط . وأشهر تلاميذه
اثنان ، اكليشيوس وخرسيبيوس ، وهما اللذان نظما عقائد الرواقية وحفظاها
وقد سافرا إلى رومية وانشرت فيها مبادرتها بواسطة مانيشيوش الروديسي
الذي صار تلاميذه فوسيدونيوس فيما بعد استاذًا ومهذباً لشيشرون . ومن الذين
اعتنقوا المذهب الرواقي كانوا من يوتيكا وبروتوس ، وكان زعماؤها العاملون
في رومية شيشرون ، وسنكا ، وايقطيوس ومارسوس اورييليوس . وخلاصة
المذهب الرواقي التوفيق بين المذهب القائل بكترة الالهة والمذهب الجاحد لجميع
الالهة وذلك بقوة المنطق الذي يسعى إلى أنسنة المعرفة عن طريق الحواس
المدركة ، والاداب التي تضع في مقدمة مبادرتها المقدسة الحرية المطلقة للارادة
البشرية . ومن تعاليمها أن الفضيلة اسمى غاية في الحياة وأعلى صلاح يبلغ إليه
الانسان ، وأن القضية التي يجب أن يسعى الانسان إلى حلها هي العمل دون النظر
والتأمل ، وأن الفضيلة كافية للسعادة ، ولكن السعادة أو اللذة يجب الاتكينا
هدفين يسعى اليهما الانسان . ويقضي المذهب الرواقي بالسلط على جميع العواطف
والرغبات البشرية التي هي في تعليمه مشمرة شرًا وضلالة ومن أهم تلاميذه أيضًا
ان الرجل الحكيم وحده يستطيع ان يقوم بواجباته قياماً حقاً . وهو وحده
يعيش بدون اهواء مع انه لا يكون بدون احساس . وهو عادل في جميع
احكامه على نفسه كما على غيره ، وهو وحده الكامل الحرية ، وهو اخيراً رب
وملك ، ولا يفوقه الله من الالهة بالعظمة والكمال ، حتى ولا زفس نفسه .

وقد سمع يسوع بخبر يوحنا من أولئك المعتمدين منه الذين كانوا يعودون من الأردن إلى حياتهم الأولى ، كما يخلع الإنسان عليه في الصباح ثوب الشغل ليخلعه عنه في المساء . وعرف أن يومه قريب وكان حينئذ في الثلاثين من عمره ، في السن الملائمة لكل عمل لأن الإنسان ليس قبل الثلاثين سوى مسودة لازالت تحت التنقیح والتصلیح وقصبته تسیر مع كل ريح وتغیل مع كل نسمة . ولا يستطيع أمرؤ قبل الثلاثين أن يعرف الناس معرفة صحيحة ولذلك فهو لا يقدر أن يحبهم ذلك الحب المتحلي باسم العواطف التي يحب أن يتحرّك بها قلب أخيه الإنسان نحو أخيه الإنسان . وإذا كان الإنسان لا يعرف أخوانه البشر ولا يعرف كيف يحبهم فإنه لا يستطيع أن يخاطبهم كمن له سلطان أو أن يجعلهم يصغون إلى أقواله كما أنه لا يقدر أن يخلصهم .

البشرة الأولى

أن شمس الصحراء المحرق قد كوت جسم يوحنا كما أن شوقة المصطرم للملوك المقرب كان يلهب روحه ولذلك فهو بحق نبي النار . وكان يرى في ماسيا التي قريباً سيداً للهيب الحبة ، وينادي بأن الملك الجديد سيكون كراماً صارماً عنيفاً ، فكل كرمة لا تعطي

ثُمَّا صَالِحًا يَقْطُعُهَا وَيَلْقِيَهَا فِي النَّارِ . وَسِينِقِي بِيَدِهِ جَيْدًا فِي جَمْعِ
الْخَنْطَةِ فِي الْأَهْرَاءِ وَأَمَّا التَّبَنُ فَيُحرِقُهُ بَنَارًا لَا تَطْفَأُ . سِيكُونْ مُعْمَدًا .
وَلَكِنَّهُ يَعْمَدُ بِالنَّارِ .

أَمَا يَوْحَنَا فَكَانَ مُتَجَمِّسًا غَضْبَوْبًا ، خَشْنًا ، جَافِيًّا ، سَرِيعِ
الْتَّأْثِيرِ ، عَادِمُ الصَّبْرِ ، قَاسِيًّا ، لَا يَتَطَافَّ بِالذِّينِ يَأْتُونَ إِلَيْهِ وَإِنْ حَقَّ لَهُ
أَنْ يَفْخُرَ بِتَقْرِبِهِمْ مِنْهُ .

وَإِذْ كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ الْفَرِيسِيُونَ وَالصَّدُوقِيُونَ وَالْكَتَبَةُ الْمُحْتَرَمُونَ
مِنَ الشَّعْبِ الْعَارِفُونَ الْكِتَابَ لِكِي يَعْتَمِدُوا مِنْهُ كَانَ يَشَدِّدُ فِي
تَوْبِيهِمْ وَتَعْيِيرِهِمْ أَكْثَرًا مِنَ الْجَمِيعِ . وَعِنْدَمَا كَانَ يَرَى كَثِيرِينَ
مِنْهُمْ أَتَيْنَ إِلَيْهِ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ « يَا أَوْلَادَ الْأَفَاعِيِّ ، مِنْ دُنْكُمْ عَلَى
الْهَرْبِ مِنَ السُّخْطِ الْآتِيِّ ؟ أَمْرُوا أَهْمَارًا تَلِيقَ بِالتَّوْبَةِ : وَلَا يَخْطُرُ لَكُمْ
أَنْ تَقُولُوا فِي نُفُوسِكُمْ ، أَنْ أَبْنَا ابْرَاهِيمَ : لَأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ ، أَنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ أَنْ يَقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلَادًا لِابْرَاهِيمَ »

« أَنْتُمُ الَّذِينَ تَخْتَبِئُونَ فِي بَيْوَتِنَ مِنْ حِجَارَةِ ، كَمَا تَخْتَبِيَ الْأَفَاعِيُّ
فِي شَقْوَبِ الْأَرْضِ وَشَقْوَقِ الصَّخْورِ ، إِلَّا إِنَّكُمْ بِالْحَقِيقَةِ إِيَّاهَا الْفَرِيسِيُونَ
وَالصَّدُوقِيُونَ لَا صَلْبٌ مِنَ الْحِجَارَةِ : فَانْ عَقُولُكُمْ مُتَجَبَّرَةٌ بِحُرُوفِ
الشَّرِيعَةِ وَطَقوسِهَا الرَّثِيَّةِ الْبَالِيَّةِ : وَقُلُوبُكُمُ الْأَنَانِيَّةُ أَشَبَهُ بِالصَّوَانِ مِنْهَا
بَقْلُوبُ بَنِي الْأَنْسَانِ : لَا إِنَّكُمْ تَعْطُونَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ الْمُلْتَمِسَ مِنْكُمْ رَغِيفًا
مِنَ الْخَبْزِ — تَعْطُونَهُ حِجْرًا عَلَامَةً عَلَى صَخْرَيَّةِ قُلُوبِكُمْ ، وَتَحْكُمُونَ

بالرجم على الكثرين لأنهم لم يجرواكم في خيشكم وشركم . الحق
أقول لكم ، أيها الفريسيون والصدوقيون ، أنكم تماثيل حجرية ،
غليظة ، ضخمة ولا يؤثر فيكم سوى النار لأن الماء الذي أسكبه
عليكم يجف ويتبخر سريعاً . ولكن الله الذي جبل آدم من حفنة
من تراب الأرض يستطيع أن يقيم من حصى الشواطئ ومن حجارة
الطريق ومن صخور الخابحان رجالاً أحياء ، وأبناء مختارين لنفسه
سواكم . بلى ، انه قادر ان يحول الصوان إلى لحم وروح كما انكم
تحولتم اللحم والروح إلى حجارة وصوّان . ولذلك لا يكفيكم ان
تستحموا في مياه الأردن . ان هذا الغسل مقدس وشاف غير انكم
في حاجة إلى أكثر منه . فجددوا حياتكم ، واصنعوا عكس
ما كنتم تصنعون فيما مضى من عمركم حتى الآن ، وإلا فانكم
ستلتهمون بنار ذلك الذي يأتي بعدي لكي يعمد بالنار » وعندما
سأله فريق منهم قائلين : « ماذا نصنع نحن ؟ » أجاب وقال لهم
« من له ثوبان فليعطيه من ليس له ، ومن له طعام فليصنع كذلك »
و « جاء أيضاً عشرون ليعتمدوا ، فقالوا له ، ماذا نصنع يا معلم ؟ فقال
لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم »

ثم سأله الجندي قائلين ، ماذا نصنع نحن أيضاً ؟ فقال لهم لا تظلموا
أحداً ، ولا تفتروا على أحد ، واقنعوا بما قسم لكم »

وقد ذاع خبر يوحنا وطبقت شهرته سائر أنحاء البلاد ، وكان

شديد الوطأة على الفريسيين وتقاليدهم . أما تعاليمه فقد انحصارت في الحضّ على عمل الخير والاحسان والابتعاد عن الامور الباطلة . ولذلك لم يطلب من العشارين سوى أن يعدلوا ويتجنّبوا الظلم . فاذن لهم أن يستوفوا ما فرض لهم من غير أقل زيادة . وكذلك زمرة الجنود الاشرار والاصوات الظالمين فانه لم يأمرهم سوى أن يكونوا حكماً فطنيـن قائلاً « اكتفوا بما قسم لكم ولا تسرقوا أحداً » ولم يكن في جميع التعاليم التي علم بها يوحنا شيء جديد لم تفرضه الشريعة الموسوية ، بل ان اشعيا وعاموس قد تقدماه بمئات السنين وعلما تعاليم ربـما كانت أفضل من تعاليمه .

ولذلك فقد حان الآن لنبـي البحر الـيت المؤذن العيـاب أن يخلي مركزه لنـبي بـحيرة طـبرـية المنـقـذ والـمـحـاـصـ . ولـكنـ حـظـ السـابـقـيـنـ قـلـيلـ فيـ هـذـاـ عـالـمـ : فـاـنـهـمـ يـعـرـفـونـ الـحـوـادـثـ الـتـىـ تـأـتـىـ بـعـدـهـمـ ، غـيـرـ انـهـمـ يـحـرـمـونـ لـذـةـ التـمـتـعـ بـهـاـ . يـبـاغـونـ شـوـاطـىـءـ الـأـرـدـنـ وـلـكـنـهـمـ لاـ يـفـرـحـونـ بـمـشـاهـدـةـ اـرـضـ الـمـوـعـدـ ، يـعـدـّونـ الطـرـيقـ اـمـامـ الـآـتـيـ بـعـدـهـمـ وـيـجـعـلـونـهـ سـهـلـةـ خـالـيـةـ مـنـ الـعـقـبـاتـ . ولـكـنـ الـذـيـ يـأـتـىـ بـعـدـهـمـ يـجـتـازـهـمـ عـابـراـ فيـ طـرـيقـهـ ، يـضـعـونـ الـعـرـشـ وـلـكـنـهـمـ لاـ يـسـتـطـيـعـونـ أـنـ يـجـلـسـوـاـ ذـوـهـمـ عـلـيـهـ . يـتـجـنـدـونـ فيـ خـدـمـةـ سـيـدـهـمـ وـكـثـيرـاـ ماـ يـحـرـمـونـ رـؤـيـتـهـ وجـهـهـ لـوـجـهـ . قدـ يـجـوزـ لـنـاـ أـنـ نـبـرـرـ شـدـةـ يـوحـنـاـ وـشـرـاسـتـهـ بـاـنـهـ كـانـ سـفـيرـاـ مـنـدـوـبـاـ عـنـ غـيـرـهـ لـأـكـثـرـ وـلـأـقـلـ . غـيـرـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ فـيـ تـلـكـ السـفـارـةـ

من اثر للحسد . ولكنها أبقت فيه صبغة حزن حتى في ضعفه وفقره .
وعندما جاء إليه قوم من اورشليم ليسأله من انت ، اعترف ولم ينكر
واقرّ قائلاً : « لست المسيح »

فسألوه ، « اذن ماذا ؟ أأيليا انت ؟ »

فقال : « لست اياه »

قالوا له ، « وهل انت ذلك النبي ؟ »

فأجاب : « كلا ! »

قالوا له ، « وهل انت المسيح ؟ »

فقال : كلا ، بل انا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق رب
كما قال اشعيا النبي ولكن يالكم من لستم تعرفونه ، هو الذي
يأتي بعدي وقد كان قبلـي ، الذي انا لا استحق ان احلّ سير
حذائه ». .

وفي تلك الساعة كان أحد العمال الحقيرين في الناصرة يشدّ
سير حذائه بيديه متّاهباً للخروج الى البرية . مردّداً الصوت الذي
ارعد ثلث مرات قائلاً — كلاً — لست اياه .

البيقظة

كان يوحنا يدعوا الخطاة الى المعمودية قبل التوبية . وقد جاء
يسوع الى يوحنا لكي يعتمد منه ، فهل كان هذا اعترافاً من يسوع
بانه واحد من اولئك الخطاة ؟

ان الاية صريحة في هذا الموضوع : ان النبي كان يبشر بعمودية
التوبة لمغفرة الخطايا و كان مجرد المحب اليه برهانا على أن القادر
رجل خاطيء يرغب في التوبة والمغفرة ، لأن الذي يذهب الى الحمام
يشعر بان جسده في حاجة الى التنقية من الادران والاوساخ .

غير أن الحجاب المسدول على حياة يسوع بين الثانية عشرة
والثلاثين من عمره ، السنوات التي لا يعرف العالم عنه شيئاً فيها ،
وهي سنوات تقاص الشبيبة وزلاتها الناتجة عن نزق الشباب وحرارة
الدم ، كل ذلك قد دفع البعض من علماء النقد الى الرعم ان يسوع
كان في ذلك العهد من حياته تحت تأثيرات الخطيبة مثل سائر
البشر ، او أنه على الاقل اتخد من ذلك العمر عذراً لكي ينخرط في
سلك الخطاة القادمين الى معمودية يوحنا . واما حياته في السنوات
الاخيرة من عمره فقد افاض في شرحها الانجليزيون الاربعة لأن الناس
قلما يتذكرون شيئاً عن الاموات سوى اعمالهم واقواهم في اواخر ايام
حياتهم . ولكننا لا نجد في حوادث هذه السنوات الاخيرة اقل

دليل على صحة هذا الرعم بوجود الخطيئة في حياة يسوع بين طهارة ظهورها ومجد نهايتها وجلالها .

وليس ذلك فقط ، فإنه ليس من اثر على الاقل للارتداد والتنورة في حياة يسوع على الارض . فان لكلماته الاولى التي تلفظ بها في حياته نفس القوة والروح التي كانت لكلماته الاخيرة ، والمورد الذي كانت تجري منه مياه روحه النقية كان عذباً صافياً منذ اليوم الاول ، بعيداً عن الاقدار — أقدار الشر وأحوال الخطيئة . فقد بدأ بشارته بالحقيقة الخالدة بحمله الصراحة والوضوح ، وكمن وشق الجميع بخلاصه وطهارته . وانك لتشعر بأنه لم يترك ورائه في ماضيه ما يشين أو يعييб قط فقد كان صوته صافياً شجياً ينسد الاناشيد المطربة التي لم تقصد الرغائب الدينية خشوتها ، ولم تنزع التوبة الغريبة حلاوة محبتها ، واما صفاء عينيه وابتسماته وذهنه المتناهي — فلم يكن بالهدوء الذي يعقب غيوم العاصفة ، كلاماً ولا بياضاً أنوار الفجر الضئيلة التي تستولي ببطء على شبح الليل القاتم ، بل إنما كان بهاء ذلك الذي ولد طفلآً تقىً وظل طفلآً تقىً إلى نهاية حياته : كان صفاء النهار وجلاءه وسكنونه ، وسلامه — النهار الذي ينتهي بالليل ولكن لا يظلم حتى المساء ، النهار الخالد ، والطفولة الطاهرة النقية حتى الموت .

فقد عاش بين المدى نسرين بسذاجة الفقر الطبيعية وطهارته بين الخطأ ، وعاش بين الضعفاء بقوة الرجل المتملىء من العافية بين

السقاء والمرضى ، وكان نشيطاً قوياً . وفوق ذلك فان الرجل المرتد
تظهر آثار حياته الماضية في كل مظاهر من مظاهر حياته في زمن ارتداده .
فإن ضميره يتأثر لاقل التذكارات التي تعيد اليه ذكرى حياته الماضية
وشروره فتقوده إلى الغم والكآبة . وهو يشعر أبداً بارتعاش في قلبه
لاقل عواطف الشهوة ، أو الغضب وغيرها من أنواع التجربة التي
يمثل أمامه باحرف من نار ما مضى من حياته فتجعله في شك وريبة
من أمر نفسه وانه لم يتخلص بعد من آدم القديم وان انسانه العتيق الذي
كان يقوده إلى الشر فيما مضى من حياته ربما لا يكون قد فارقه
بل انه لا يزال ساكناً في أعماقه ، يمثل أمامه انه قد اتفق كثيراً في
سبيل خلاص نفسه ، وتنالم روحه إذ يشعر بان هذا المحن الباهظ
الذي دفعه معرض للتهلكة والخسران . ومع ان المرتد لا يهرب من
الخطأ والاشرار فهو انما يقترب منهم وجلاً خائفاً ، ويشعر في أعماق
قلبه بارتعاش غير اختياري مخافة ان تسري اليه شرورهم بالعدوى
فتعمد إلى قلبه الرغبة في الشرو و القبائح التي طالما استلزمتها نفسه
قبلاً فتجدد فيه تذكارات عاره وشروره الماضية ، وفي ذلك ما فيه
من دواعي اليأس والقنوط لذلك المسكين وهو في اوج سعادته
وخلاصه . لأن العبد الذي يسود بخاء على اقرانه العبيد قلمات لم
السيادة عليهم بأمن وسلام . فان روح السيادة بعيدة عن طبيعته .
والفقير إذا اثرى قلما يحسن إلى نظرائه القراء . ومثلها الخاطئ المرتد

إلى الدين فإنه قلماً يحسن معاملة رفقائه الخطأة . فيناجي نفسه في خلواته قائلاً : « لماذا لا يفعل الخطأة ما فعلته أنا ؟ إن الطريق مفتوحة للجميع ، ولو كانوا في أسفل دركات الشر والقسوة : والجازة كبيرة تعطى لكل واحد على السواء ، فلماذا يتربعون هنا لك في ظلمة الجحيم القاتم الرهيب ؟ »

وعندما يخاطب الخاطئ المرتد أخوانه الخطأة لكي يردهم عن غواياتهم وضلالهم لا يجد بدأً من أن يقدم لهم نفسه شاهداً فيشرح لهم سيرته الماضية وسقوطه ثم تحرره من عبودية الخطيئة ليكون لهم من ذلك عظة وعبرة ، يقدم على ذلك رغبة منه في أن ينفع أخوانه البشر ولا يستنكف من أن يظهر عاره لا يفتخر متباهياً بنفسه ، ولكنه لا بد أن يشير دائمًا إلى نفسه كمثال حي حاضر لحلوة الخلاص .

أن الإنسان يستطيع أن يتخلص من ماضيه تخلصاً باتاً ولكنه لا يقدر أن يستأصله من ذهنه . لأن الماضي يعيده نفسه بطريق غير محسوسة في نفس الإنسان الذي تخلص منه وعاش حياة جديدة ببلاد التوبة الثاني . ولكن حياة يسوع خالية من كل ما يشير أو يدل على أن هنالك أقل فرق في حياته أو أقل ذكر لاهتمامه ولحياته قبل الاهتمام وبعده ، لا في مثل ، ولا في أي عمل أو قول صدر منه على الأرض . أما محبتة الخطأة فهي مجرد كل التجريد من حرارة التمرد والكبرياء المتحرّكين في قلب التائب الذي يريد ان

يرد الناس عن الضلال إلى الدين : هي محبة طبيعية بحثة ، ولنليست محبة واجب لازب لا بد منه . هي المحبة الأخوية الخالصة التي لا تعمد ثلباً ولا تعيرأً ولا مذمة ، والأخاء الاختياري السليم الذي ليس في حاجة إلى شيء للسلط على الكره والنفور ، هي العاطفة التي تختلاح في قلب الشرير عندما ينظر إلى الكمال المجرد متجسداً في إنسان مثله فيؤخذ بمحبة ذلك الكامل الذي لا يستطيع أحد أن يعييه أو يلطخه بوصمة ، وهو وحده القادر أن يقدسه وينقيه — هي المحبة القائلة بالتضحيّة — المحبة التي اخْتَلَجَتْ بها قلوب القدисين والابرار في أخرج لحظات حياتهم — المحبة التي دونها آية محبة كانت على الأرض — المحبة التي لم يذق طعمها إنسان قط في العالم قبل يسوع ، المحبة التي يندر أن يجد الإنسان لها مثيلاً اليوم إلا في الخيال والرمن والاقتداء بمحبة يسوع — المحبة التي سيعرفها العالم أبداً باسم المحبة المسيحية ، وبغير هذا الاسم لن تعرف ولن تخبر لذتها — إلى الأبد هي المحبة الطاهرة — محبة المسيح ! المحبة .

جاء يسوع إلى الأرض وعاش بين الخطأ والاشرار بيد أنه لم يكن خطأً مثلهم وقد ذهب لكي يستحم في المياه الجارية أمام يوحنا ولكنه لم يكن فيه عيب قط . لأن روح يسوع كانت مثل روح طفل وديع ظاهر يفوق الحكام بحكمته ! والقديسين بظهوره وقداسته .

ولم يكن يسوع راضياً صارماً ، لأنَّه لم يشعر في حياته بالرعب الذي يستولي على قلب الإنسان الذي أعتقَ من عبودية الموت الادبي وبات خائفاً من الخطيئة مرتعداً ، كلا ، ولم يكن فريسيَا مترفضاً ، فإنه كان يعرف كيف يميز الخير من الشرّ فلا يضيع جوهر الروح في مادة الحرف .

عرفته الحياة وقد رضي الحياة التي ليست هي خيراً بل شرطاً لكل خير . وما الشرّ في الاكل والشرب ولا أن ينظر الى العالم نظرة — ولو نظرة عطف وشفاق على الاصل الهارب في ظل الظلم وعلى المرأة التي صبغت شفتتها لمحوها آثار قبلة لاحب فيها .

المعمودية

في وسط زمرة من الأشرار جاء يسوع لكي يغطس ذاته في مياه الأردن . ولم يكن سر ذلك التغطيس ليخفى عليه وهو الذي ينظر الى وراء ذلك الطقس الذي كان يقوم به يوحنا المعمدان اما معمودية يسوع فكانت فريدة في بابها . أجل انها كانت ككل معمودية غيرها بحسب الظاهر ولكنها قد أثبتت بطرق اخرى . غير ان المعمودية ليست دائماً عبارة عن غسل الجسد للدلالة على الرغبة في تنقية النفس كما كان الرأي السائد عند القدماء : انه كما

ان الماء ينطفف الجسد من اوساخه فهي كذلك تنتفي الروح من ادرانها الروحية . فان هذه الاستعارة الروحية الرمزية كانت ولا تزال نافعة شديدة التأثير في نفوس العامة المتأثرة بمثل هذه الطقوس والرموز القديمة ، وهي طقس ضروري للعيون البشرية التي تحتاج الى مساعدة المادي الفاني على تفهّم اسرار الروحاني الباقى ، ولكن يسوع لم يكن في حاجة الى هذا الطقس قط .

اما ذهابه الى يوحنا فاما كان لكي تكمل نبوة السابق . فقد اظهر بسجوده امام نبي النار اعترافه الصريح بصلاحية يوحنا لان يكون مبشرًا حقاً به ، ونائباً صالحًا ، ورسولاً أميناً قام بواجبه خير قيام واستطاع اخيراً ان يصرخ قائلاً « قد اكملت عملي » وفوق هذا فان يسوع بخضوعه لهذا التقليد الرمزي انما قلد يوحنا عن اهلية وجدارة المنصب لان يكون سابقاً له يعدّ الطريق امامه .

ومن شاء ان يرى معنى آخر لعماد المسيح يسعه ان يذكر الناس ان التغطيس انما هو احياء وتجديد للذبائح البشرية . فقد اعتادت الشعوب القديمة ان تقدم لغضب الآلهة احد اعدائهم او اخوانهم ، اما تكفيراً عن جريمة واما نيلاً لنعمة خارقة او خلاص لاأمل به . وكان اليهود يقدمون للرب حياة أبكارهم . اما أمر الله ، في عهد ابراهيم ، بترك هذه العادة ، فلم يكن دائمًا معمولاً به ، بعد ذلك . كان الغسل ضرورة من ضرورات تقديم الذبائح فقد كانوا يلقون

في قيرينيا بقبرص ، وفي تراقيينا ، وفي مرسيليا ، كلّ عام ، رجالاً إلى
البحر لإنقاذ المدينة .

والعماد إنما هو فضلةٌ من بقايا رُتب التغطيس الطقسي : فإنه في
هذه التقدمة الاستعطافية للماء — التي كان قد اشتهر أمرها با أنها
تنفع الداجنين وتبين استحقاق المذبوحين — يسهل جداً أن يرى
مبدأ حياة جديدة .

الفارق في الماء يموت خير الجميع وهو خلائق بان يحيا حياة
جديدة .

والعماد — حتى بعد أن يُتناسي مبدأه القاسي — قد ظل
دائماً رمزاً إلى القيامة .

إذن كان يسوع مزمعاً أن يدخل في عهد جديد من حياته ،
حياته الحقة وقد شهد بتغطيسه ، لارادته في الموت ، وثقته بالبعث
مجيداً .

إن نزوله إلى الأردن يبيّن مبدأ حياته الثانية ويعني :
إن صوته لن يكون إلا ظاهراً كما أن هذه التقنية ظاهرة
فقط .

البرية

عندما صعد يسوع من الماء خرج في الحال إلى البرية ، من ضجيج الجماعات إلى سكينة العزلة والانفراد ! وقد كان إلى ذلك الحين عائشًا بين حقول الجليل وسوقيه وفي المروج الخضراء على شواطئ الأردن ، والآن نراه صاعداً في عقبات الجبال الصخرية التي لا تعرف خضرة الربيع ، ولا نضارة الأعشاب وعيير الازهار ، وليس فيها من المخلوقات سوى الافاعي والحيات . كان إلى ذلك الحين عائشًا بين عمال الناصرة الفقراء وجمahir التائبين الذين كان يوحنا يبشرهم ، ولكنكه جاء إذ ذاك لكي يعيش في سكينة الجبال حيث لا يستطيع ان يرى وجه إنسان أو ان يسمع صوت آدمي من بني البشر . لأنه ، وهو الإنسان الجديد ، شاء ان يجعل البرية حدًا فاصلاً بينه وبين الإنسانية .

أجل ، ان الرجل القائل . « ويل للمنفردin » اما يظهر مقاييس جينه ومحمول روحه . لأن الحياة عبارة عن تضحية يتتنوع الثواب عليها بالنسبة إلى ما يتکبده صاحبها من الشدة والمرارة . اما ذورو النفوس الكبيرة فانهم يستقبلون الوحدة وحياة العزلة كجائزة ثمينة وسعادة قلما تتّأتي لهم في ضجة الاجتماع ، ولا يجدون في ذلك أقل مرارة أو شدة ، بل تكون العزلة لهم وقتاً ذا فائدة أكيدة ، وقتاً

يجدون فيه جمالهم الداخلي وصلتهم مع عالم الروح والغيب . في الوحدة فقط نستطيع ان نعيش مع قرناينا أولئك الذين وجدوا هم وحدتهم الافكار السامية التي تعزى عن ترك كل الخيور .

الوحدة لا يتحملها متوسطو العقول ، الذين ليس لديهم ما يعطونه ، فيخافون من تقواهم ومن فراغ عقولهم . وقد قضى عليهم ان يتحركون في وحدة عقولهم الموحشة ، وهي صحراء أشد قحطًا من أية صحراء على وجه الارض لا ينabit فيها سوى أشواك الحمول التي تسمم الحياة وتقتل القلب وكل ما فيه من قوة وعاطفة . وهم أبداً قلقون ، مضطربون ، مكتئبون ، لأنهم لا يستطيعون ان يتحدون هم ذواتهم في اعوجاج حياة سواهم من الادنياء والاشرار الذين يتمرغون في حماة اضطرابهم وغواياتهم . وبالاختصار فانهم لا يقدرون أن يعيشوا ما لم يستحبوا في كل صباح — بالقدارات الكريهة التي تحملها بلا ليع المدن ومتاعها .

وليسوع في العالم ، وعاش إلى ذلك الحين في العالم لأنه أحب العالم . ولكننا نلاحظ انه كثيراً ما كان يخفي نفسه عن العالم بعد ذلك ليكون وحيداً منفرداً حتى عن أعن أصدقائه وتلاميذه : لأن من يريد أن يحب الناس يجب أن يتعد عنهم بين المنيهة والآخرى ، لأن الانسان كلما أبعد ذاته من محبيه تعلقت قلوبهم به وقربت روحه من أرواحهم . فمن كان ذا نفس حقيرة لا يتذكر في وقت الفراق

سوى الاساءة والشر الذين صدرًا ضده : فيقضي ليه قلقاً ، متمر مرأً
غيطاً وحقداً ، ومحبة الانتقام تعلق في صدره . واما الرجل الكبير
بنفسه وعواطفه فانه لا يذكر سوى الحسنات ، شاكراً ما لقيه من
المعروف صديقه ، ومتناصياً ما لحق به من السيئات كأنها لم تكن قط
حتى ان الاغلاط الكبيرة والاضرار الكثيرة التي الحقها به الناس
ولم يغفرها لهم في حينها — جميع هذه أيضاً يغفرها في نقاء عزلته
مجددًا المحبة الكاملة في قلبه للجميع وهكذا يرجع إلى الناس وديعاً
محباً للجميع على السواء .

وقد كانت الايام الاربعون التي قضتها يسوع في عزلته في البرية
اخر المعدات لحياته الجديدة . تاه اليهود الذين هم رمز نبوءة إلى
يسوع أربعين سنة في البرية قبل ان دخلوا أرض الموعد .

صام موسى أربعين يوماً على الجبل وظل قريباً من الله لكي
يأخذ الشريعة وايليا النبي ضلّ في البرية أربعين يوماً عندما هرب
من غضب الملائكة الشريرة وانتقامها .

هكذا قضى المحرر الجديد يستعد أربعين يوماً قبل أن يبشر
بالمملكت الموعود ، مع الله ليستمد منه الوحي السماوي .

ولم يكن وحده في البرية : بل مع الحيوانات الضاريه والملائكة :
مخوقات أحقر من الانسان كلها مادة ، ومخوقات أرفع من الانسان
كلها روح .

أجل ، ان الانسان حيوان يجب أن يصير ملائكةً : مادة تتحول روحًا . فإذا سلطت عليه عواطف الحيوان هبّطت به إلى أن يصير أحقّ من الحيوان وأدنى من البهيمة لانه يرمي بقية عقله تحت اقدام البهيمية : وإذا سلطت عواطف الملائكة على قلبه فانه يصير مثل الملائكة ، حتى ليكون أكثر من جندي اعتيادي لله : يشارك خالقه في الطبيعة الahlية .

ولكن الملائكة الساقط الذي حكم عليه أن يتّخذ صورة البهيمة هو ألد أعداء الناس الذين يريدون أن يرتفعوا حتى إلى الاعالي التي هبط منها .

ان يسوع عدو لحياة البشر البهيمية . قد جاء لك تصير البهائم بشرًا والبشر ملائكة . ولد ليقهر العالم ويحارب سلطان العالم وعدو الله والناس ، ذلك الشرير ، الخادع الخناس : ولد ليطرد الشيطان من الارض كما طرده الآب من السماء .

ولذلك نرى الشيطان في نهاية الاربعين يوماً يأتي إلى البرية ليجرب عدوه .

المجرب

ان الحاجة اليومية إلى قوت البطن هي علامة الاستبعاد للمادة
والحال ان يسوع يريد أن يقهر المادة .

فقد سبق له ان شارك الناس في طرائق معيشتهم ، فكان يعيش معهم كما يعيشون : يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون ، لأن الجسد يجب أن يعطى ما هو في حاجة إليه من الجهة الواحدة ولا أنه أراد أن يحتقر أصوات الفريسيين من الجهة الأخرى . وقد كان آخر عمل من أعماله على الأرض في اثناء حياته بالجسد عشاء شارك فيه تلاميذه . وكان أول عمل عمله بعد معموديته صيامه أربعين يوماً في البرية . فإنه عندما رأى نفسه وحيداً في البرية بعيداً عن ضوضاء الحياة حيث لا يؤذى صيامه أحداً من رفقاء الساذجي القلوب كما انه لا يجلب له خراً وكرامة باطلين يعطلان عليه فضيلته ، هنالك في سكينة الفقر تناهى طعامه وشرابه واتحد بروحانيته مع أبيه الماليء ارجاء ذلك الفقر بكيانه .

وبعد ان صام أربعين يوماً جاء . فاغتنم الشيطان هذه الفرصة التي كان يتربها بفارغ الصبر ووثق انه سيسلط عليه في وقت حاجته إلى الخبر فقال له ، « ان كنت ابن الله فم هذا الحجر أن يصير خبراً » فاجابه يسوع على الفور موبخاً ايات وقائلاً ، « مكتوب ليس

بالخبر وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله » أما الشيطان فما يقر «
بانغلا به بل « أصعده إلى جبل عال وأراه جميع ممالك السكونة في
لحظة من الزمان وقال له ، أعطيك جميع سلطان هذه الملائكة مع مجدها ،
لأنها قد دفعت إلي وأنا أعطيها من أشاء . فان سجدت لي فاملك
ذلك كله .

فاجابه يسوع وقال له « اذهب عني أيها الشيطان : فقد كتب
للرب الهمك تسبّد واياه وحده تعبد » ثم جاء به الشيطان إلى أورشليم
واقامه على جناح الهيكل ، وقال له : « ان كنت ابن الله فالق
بنفسك من ههنا إلى أسفل ، لأنك مكتوب انه يوصي ملائكته بك
لتحفظك ، وإنها تحملك على أيديها لئلا تصدم بحجر رجلك »

فاجابه يسوع في الحال وقال له « انه مكتوب لا تجرب
الرب الهمك »

ثم يزيد لوقا على ذلك قوله « وعندما أتم ابنيه جميع التجارب
انصرف عنه إلى حين » وسرى رجوعه إليه وجهوده الأخيرة في
تجربته فيما بعد .

وان من يقرأ هذه المخاورة لأول وهلة يرى أنها عبارة عن مبادلة
آيات الكتاب على التناوب . لأن يسوع والشيطان لم يستخدما
كلماتها في المباحثة التي قامت بينهما بل إنما تناقشا بأيات مقتطعة
من الكتاب المقدس . وأنه ليخيل إلى قارئ هذا المثل انه في مجلس

ديني يصغي إلى مباحثة لاهوتية صرفة والحال أن هذا المثل هو أول الأمثال التي وردت في الانجيل .

اما ان الشيطان جاء — وفيه أملٌ محالٌ — بتجربة يسوع ،
وان يسوع ، بكونه انساناً ، قد خضع للتجربة ، فليس ثمة
موقع استغراب .

فإن الشيطان لا يجرّب سوى العظيماء والاتقياء . وقلما تراه في حاجة إلى ان يهمس ولو كلمة واحدة لغيرهم داعياً إياهم إلى التجربة لأنه واثق بأنهم خاصة إذ يخلعون عنهم ثوب الحداثة . يتصرف بهم كيما أراد وليس هو في حاجة إلى أن يزعج نفسه بأن يجعلهم عبيداً لسلطانه لأنهم تحت قبضة يده في كل مكان وزمان يقودهم حيثما يرغب في لحظة واحدة . ومع ذلك فإن كثيرين منهم لا يدرؤون بوجوده في الوجود . لأنه لم يظهر نفسه لهم قط فأنهم يرونـه عن بعد وليسوا في حاجة إليه . ولذلك ينكرونـه لأنـهم لم يروا وجهـه في حيـاتهم . فإن كتاب أبليس المعينة لا تؤمن بابليس لأنـ من ميزـات ذـكـائه ، كما قالـ القدمـاء ، انه ينشرـ الأخـبارـ في سـائرـ الامـصارـ عنـ موـتهـ وـاقـراـضـهـ . وـانـهـ لمـ يـعـدـ لهـ منـ وجـودـ فيـ العـالـمـ لـكـيـ يـتـنـاسـىـ النـاسـ أـمـرهـ وـيـقـعـواـ فيـ مـكـاـيـدـهـ باـوـفـ سـرـعـةـ . وـهـوـ شـدـيدـ المـكـرـ فيـ اـخـتـيـارـ الـاجـسـادـ الـيـيـحـلـ فـيـهاـ ، وـالـصـورـ الـتـيـ يـتـخـذـهاـ مـظـهـرـاـ لـنـفـسـهـ وـكـثـيرـاـ ماـ تـكـوـنـ هـذـهـ الصـورـ آـيـةـ فـيـ الجـمـالـ حـتـىـ أـنـ الـكـثـيرـينـ يـضـلـوـنـ عـنـ مـعـرـفـتـهـ ، وـادـراكـ شـرـورـ

الساكن فيها . وهكذا نرى أن اليونانيين وهم عجائب الذكاء والبلاغة في العالم لم يكونوا يؤمنون بالشيطان بل إنما لا نجد له أثراً في تاريخ خرافاتهم ، غير أن الذي يفحص المهم فحصاً دقيقاً يرى أن قرون الشيطان كانت مختبئته تحت أكاليلهم المصنوعة من أوراق الغار والدوالي . فقد كان الرجم متجسدأً بشخص جيوبيتر^(١) المتملىء

(١) جوبيتر : أو المشتري ، أعظم آلهة الرومان ويسميه اليونانيون زفس . وقد أطلق عليه الرومان لقب أعظم العظاء . ولما كانت السماوات مركزاً للآلهة . لذلك كان المشتري آلهة الطقس وجميع التقليبات الجوية يجريها وفقاً لرادته . وكان القدماء يعتقدون بأنه يملك في قبضته يده التصرف بجميع مصالح الناس . فكان خيراً بأمور المستقبل يعرف حوالاته قبل حدوثها ويكيفها كما يريد ، ولذلك كانوا يقدمون له الضحايا كلما أرادوا القيام بعمل من الاعمال الهامة لــكي يوففهم وبارك عملهم . وكانوا يعتقدون بأنه حارس الأملاك والرزاق الخصوصية والعمومية . وكان الأبيض ، لون نور النهار مقدساًً لديه . ولذلك كانت الحيوانات التي تقدم على مذابحه بيضاء ، وكان كهانه يلبسون الملابس البيضاء ، وكانت عربته تتمثل باللون الأبيض تجرها أربعة من جنادلخيل البيضاء ، وكانت المحكم وكباء الدولة مضطرين إلى لبس البياض كلما دخلوا هياكله للتضحية . أو الصلاة . ويمثل في الغالب وهو يحمل الصواعق بيده ، والنسر ، طيره المحبوب ، يصور واقفاً إلى جانب عرشه . وقد درس المشتري « جوبيتر » في مغارة في جبل ايدا بكريت ، وعاش على حليب العنزة اماليشا . وعندما كان بعد صبياً أثار حرباً على الطيطانيين (وهم البناء الجبارية لفيروس وتارا الآلهين العظيمين وأشهر هؤلاء الجبارية ساتورن وهيريون ، واوقيانوس ، وغاييتوس ، وبرياريوس وغيرهم) وانتصر عليهم . وقد ثار عليه في أوائل ملوكه الجبارية أبناء الأرض طالبين الانتقام منه لقتله الطيطانيين ، ولكنه تمكّن بمساعدة

من روح الاستبداد والذبارة ، وفينيس^(١) الاهة العشق العاهرة ،

هرقل من الانتصار عليهم . وقد تزوج ماتيس ، وثاميس ، وتيريس وغيره نيمي ، ومناموسيني ، ولاتونا ويونو . وكانت عبادته عمومية . ففي افريقيا اطلقوا عليه اسم عمون ، وفي بابل سموه البعل ، وفي مصر دعوه او زيريس .

(١) فينيس : هي الزهرة أو عفروديث ، الاهة الغرام والتهتك أو ربة الجمال . من أشهر الاهة القدماء . وهي أم الحبة ، وقد خرجت من زبد البحر وحملت إلى السماء ، وهنالك هام جميع الاهة بجهاها . وقد ازوجها زفس بغو لكن او هي فست الله النار ومثير البراكين والصواعق وحداد الاهة ، ولكنها لم تخلص له بل احببت غيره من الاهة سراً ، وبنوع خاص حارس « المريخ » الله الحرب فولد لها منه هرميوني ، وكوبيد وانطروس . وقد وقع قلبها بحب ادونيس فهجرت او لم يلبس ، الجبل العظيم ووطن الاهة ، من اجله وان محاربتها مع يونو « قبريس » ومينفا « أثينا » (يونو امرأة زفس ومينفا الاهة الحكمة وال الحرب وجميع الفنون الجميلة) التي فازت فيها على خصمها وربحت التفاحة الذهبية — هي من اعظم حوادث الميثولوجيا القديمة . وقد كانت فينيس من مجلة العوامل التي سببت حرب طروادة . لانه عندما رمت الاهة الشقاق التفاحة الذهبية بين الاهات العالم القديم لكي تقدم لأجلهم منظراً ، قضى فاريس (ابن فريام ملك طروادة) أن تعطى التفاحة لفلنيس ، فاوحت في قلبه حب هيلانة ، امرأة ميناوس ، ملك سبارطة تحمل فاريس هيلانة إلى طروادة . وهكذا اضطر اليونانيون ان يلحقوا به الى طروادة ويحاصرروا المدينة . ويزدكر اشعاراء فينيس باسماء عديدة أمهما : عفروديث ، كوبيريء فافيا ، والاهة الحبة للضريح وكانت تحب الاقامة في قبرس اكثر من اي مكان آخر . ولم يكن يقدر على مذبحها سوى البخور ، وان صدف ان يقدم حيوان فكان يجب ان يكون تيساً اياض . وكانت اسمى رمز للجمال عند اليونانيين والرومانين ، وما بقي لنا من ماثيلها شاهد على ذلك .

وأبُولُو ومارس^(١) القتال الغدار ، وبخوس السكير وقد كان المة اليونانيين من الفطنة بحيث صدوا على المائتين الحنور والعطور حتى لا يشتموا كراهة الروائح التي أخذت تعشي الأرض رويداً رويداً .

ولكن إذا كان الاكثرؤن لا يعرفون الشيطان ويضحكون منه كما هو شبح مخترع لحاجات التوبة ، فلا أنه يتغىظ حقداً على أولئك الذين يعرفونه ولا يتبعونه .

فقد أفسد طهارة الجدين الاولين وقادها إلى الخطيئة ، وأاغوى داود القوي ونجس سليمان الحكيم ، وشكأ أيوب الصديق امام عرش الله . لأن الشيطان يجرب ، وسيجرب أبداً ، الابرار والقديسين الذين يهجرون العالم ويتوارون في البرية ويجرب معهم

(١) مارس : او المريخ . هو الـ الخرافات ، ابن جوبيتر (المشتري) من امرأته يونو ، او ابن يونو وحدها كما يقول او فيد الشاعر الروماني الشهير . وهو مشهور بمحبه لفينيس . وحدث مرة وها مجتمعان معاً بطريقة سرية أن فولكان ، الله النار ، الذي عليهما شبكة اسرها ضئلها ولم يستطعا ان يتخلصا من اسره بدون مساعدة . وقد تعرضا بهذه الطريقة لاحتقار الاطهة وظلا على تلك الحالة الى ان اقنعوا بتونون « الله البحر » الـ الله فولكان فاطلقهما . وفي اثناء حرب طروادة انضم مارس الى الطرواديين ، وكان يساعد انصار فنيس بكل قوته . وقد كان يعبد بالدرجة الاولى كالـ الله الحرب ، ولذلك كان يحمل لقب غراديروس . ولكنه كان يعتبر ايضا حاميا للزراعة ولذلك دعي سيلفانوس وحاميا للبلاد ولذلك دعي قيرنيوس . ويمثل مارس في النجف بشاب نشيط يلبس خوذة عالية ويحمل بيده ترسه ورمحه . ويندر أن يصور بلحية طويلة واسلحة كثيرة .

جميع الذين يحبون الله . وكما بعدها عنه نراه قريباً منا أكثر من قبل ، وكلما ارتفعنا يزداد غضبه وسخطه لكي يهبط بنا من ارتفاعنا . لا يستطيع ان يدنس إلا النقى الطاهر أتراه يهم بالزلالة التي تفسد من ذاتها بحرارة أنفاس الحيوانية والبهيمية ؟ ولذلك نرى ان تجربة الشيطان برهان على الطهارة والعظمة ومن عرف الشيطان ورأه وجهاً لو جه يحق له ان يقول ان له املاً كباراً في الخلاص : وقد تمنع يسوع بهذه الآمال أكثر من أي انسان سواه في العالم .

فقد جرّبه الشيطان مرة واستنهده مرتين إذ سأله ان يحول المادة الميتة إلى مادة تعطى حياة للبشر ، وان يرمي بنفسه منعلو شاهق ملتمساً من الله ان يخلصه فييرهن للناس انه هو بالحقيقة ابنه . وقد عرض عليه الشيطان ان يقدم له جميع ممالك العالم مع مجدها على شرط ان يقلع عن خدمة الله ويتعهد بالتجند في خدمة ابليس . طلب منه خبراً مادياً واعجوبة مادية ووعده مقابل ذلك بان يعطيه قوة عالمية مادية . اما يسوع فلم يقبل ذلك بل رفضه رفضاً .

فإن يسوع لم يكن ماسياً الجسدي الزمني الذي كان ينتظره اليهود ، كلا . ولم يكن ماسياً المادي كما خيال إلى الشيطان في دناءته وشره . بل كان ماسياً الروحي الذي لم يأت لأجل اطعام اجسادنا بل لكي يقدم نفسه غذاء خالداً لنفسنا ، — ويوضح لنا الحقيقة

الحالـة التي هي طعام النفوس الواحد الحـي . غير أنه عندما كان في الفقر مع أخوانه ولم يكن لهم طعام ليأكلوا وينتفعوا جوعهم ، أخذ أرغفة الخبز القليلة التي أحضرها تلاميذه وكسرها وأعطـاها للجـمـوع ، فـاـكلـواـ جـمـيعـهـمـ وـشـبعـواـ وزـادـ منـ الـكـسـرـ سـلـالـ مـلـوـءـةـ منـ الفـضـلـاتـ . ولـكـنـهـ لمـ يـوزـعـ ذـلـكـ الخـبـزـ المـادـيـ إـلـاـ فـيـ أـوـقـاتـ الـحـاجـةـ الـمـاسـةـ إـلـىـ الـخـبـزـ الـذـيـ مـنـ الـأـرـضـ يـخـرـجـ وـإـلـىـ الـأـرـضـ يـعـودـ ... لـانـهـ لـوـ اـجـابـ مـلـتـمـسـ الشـيـطـانـ وـحـوـلـ الـحـجـارـةـ الـتـيـ فـيـ الشـوـارـعـ إـلـىـ خـبـزـ لـكـانـ كـلـ إـنـسـانـ يـتـبـعـهـ لـكـيـ يـشـبعـ جـوـفـهـ مـنـ الـخـبـزـ وـلـيـسـ لـيـسـ مـعـ تـعـالـيـهـ ، وـيـتـظـاهـرـ حـبـاـ بـجـسـدـهـ ، أـنـهـ يـؤـمـنـ بـهـ وـيـصـدـقـ كـلـ أـقـوالـهـ . حـتـىـ أـنـ الـكـلـابـ ماـ كـانـتـ لـتـتأـخـرـ عـنـ أـنـ يـتـبـعـهـ لـأـجـلـ الـخـبـزـ . ولـكـنـ لـمـ تـكـنـ مـثـلـ هـذـهـ الرـغـبةـ الدـينـيـةـ بـرـغـبةـ يـسـوـعـ فـاـنـهـ كـانـ يـعـلـمـ أـنـ الـإـنـسـانـ يـحـبـ أـنـ يـتـبـعـهـ عـلـىـ يـقـيـنـ وـإـيمـانـ مـحـتـقرـاـ كـلـ مـاـ يـقـومـ فـيـ سـبـيلـهـ مـنـ عـقـبـاتـ الـجـمـوعـ وـالـكـآـبـةـ وـالـفـقـرـ . ولـذـلـكـ وـجـبـ عـلـىـ الـذـيـنـ يـتـبـعـونـهـ أـنـ يـتـرـكـواـ وـرـاءـهـ حـقـوـلـهـ الـخـصـبـةـ وـأـمـوـالـهـ الـتـيـ يـحـولـهـاـ إـلـىـ خـبـزـ . وـيـحـبـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـتـبـعـونـهـ بـدـوـنـ كـيـسـ وـلـاـ فـضـةـ ، وـبـشـوبـ وـاحـدـ ، وـأـنـ يـعـيشـواـ كـطـيـورـ السـمـاءـ فـاـرـكـيـنـ سـنـابـلـ الـقـمـحـ فـيـ الـحـقـوـلـ أـوـ مـلـتـمـسـيـنـ صـدـقـةـ عـلـىـ الـابـوابـ . فـاـنـهـ لـيـسـ بـاـنـخـبـزـ وـحـدـهـ يـحـيـاـ الـإـنـسـانـ فـهـنـالـكـ مـاـ يـسـدـ مـسـدـ الـخـبـزـ فـيـ الطـبـيـعـةـ ، مـنـ تـيـنةـ مـخـتـبـئـةـ بـيـنـ الـأـورـاقـ الصـغـيرـةـ وـهـيـ ذـاـبـلـةـ عـلـىـ أـمـهـاـ ، أـوـ قـرـصـ مـنـ شـهـدـ الـعـسلـ ، أـوـ سـمـكـةـ تـصـطـادـهـ شـبـاكـ الـصـيـادـيـنـ الـفـقـراءـ ،

كل ذلك يغنى الانسان عن الخبز الارضي . ولكن ليس على الارض انسان يستطيع أن يعيش بدون الخبرز السماوي وهو يريد أن ينجو من الموت الابدي الذي هو نصيب من لا يتذوق حلاوة هذا الخبرز . فان الانسان لا يعيش بالخبز وحده ، بل بالمحبة والشوق والحق . ولم يأت يسوع الى الارض لكي يحول الحجارة الى خبز . والمادة الصامدة الى مادة صامدة بل أنها جاءه لكي يحول ملکوت الارض الى ملکوت سماوات .

وقد رفض يسوع طلب الشيطان الثاني لنفس الاسباب التي دعته الى رفض الطلب الاول . فان الناس يحبون كل ما هو خارج عن حدود تصوراتهم وأفهامهم من العظام والمعجزات المادية ، ومشاهدة الامور المستحيلة بظواهرها متممة فعلا امام عيونهم ، ويجهوزون ويعطشون لكل نادرة غريبة . وكثيراً ما يجتمعون ويسجدون امام مجترح الاعجوبة . ولو عرفوا أنه رجل شرير أو دجال مشعوذ ولذلك كانوا يطلبون آية من يسوع ، وهم يعنون بذلك أن يصنع امام عيونهم شعوذة بخفة وحيلة نادرتين ، ولكن يسوع كان يرفض طلبهم دائماً لانه لم يشاً أن يقنع الناس عن طريق العجائب والخوارق قط . ولكنه انما كان يشفى المرضى رحمة بهم — وخصوصاً الخطأ والمرضى بأرواحهم — ولكنه كثيراً ما كان يتجنب حتى مثل هذه العجائب أيضاً موصياً الذين يشفى بهم أن لا يخبروا أحداً عنه وعما صنع

بهم . وفوق ذلك فأنه لم يستخدم هذه القوة قط في حياته لاجل صيانته ذاته حتى في بستان الجحشانية عندما جرّبه الشيطان وطلب إليه أن يرفض كأس الموت عن شفتيه ، ولا عندما سُمِّر على الصليب وأعاد الشيطان تجربته له بأفواه اليهود . « ان كنت انت ابن الله فانزل عن الصليب وخلص نفسك ، فقد رفض الشيطان في عزلته في البرية وفي اثناء صيامه كما رفضه حين موته ، ولم يصنع آية قط ليدافع بها عن نفسه . لأن الناس يجب أن يؤمنوا به بالرغم من كل ما يقوم في سبيلهم من المقاومات ويفؤمنوا بلالهاته ولو لم يروا سوى بشريته المجردة التي لا يسمها على الأرض . بل آية منفعة كانت ليسوع أمل للبشرية من أن يرمي بنفسه من جناح المهيكل إلى أسفل الأرض ، أو ان يزيل آلام واحد من الناس لكي يستولي على العالم فيخدعهم ويدهشهم بالغرائب والمعجزات : أو ان يجرّب الله ويضطره إلى اجترار عمل غريب عجيب ، وكل ذلك حتى ان الشيطان لا يربح رهفة الدنيء المبني على التهكم والعجزة والكبراء . كان يسوع معين محبة في اضنا فاحب ان يتذدق منه على القلوب البشرية وكان بالغًا أوج الكمال بأخلاقه ومبادئه فاحب ان يرفع حياة البشر إلى أوج الطهارة والكمال ، وكان روحًا نقية ظاهرة فاحب ان ينقى أرواح أبناء الأرض من أقدارها ، وكان ذا قلب لا يدرك قرار عاطفته فاحب ان يشعل نبراس المحبة في قلوب الناس ، وكان ذا نفس كبيرة فاحب ان يرفع النقوس الصغيرة الحقيرة من

الدّناءة والعار إلى الحجّ والفحّار ، ولذلك فانه عوضاً عن ان يطرح ذاته من جناح الهيكل — والجناح أدنى من الهيكل — عنم على الصعود إلى ما فوق الهيكل ، إلى الجبل ، لكي يقدم للبشرية من أعلىه عظته الخالدة المكالمة بتطوريات ملائكة السماوات .

ان طرح ممالك الأرض امام قدميه ربما كان راعياً ، واكثر من ذلك الثمن الذي سأله فيها الشيطان . فان للشيطان حقاً ان يهب ما هو في ملكه وتحت مطلق تصرفه لمن يشاء . وقد أستَّ ممالك الأرض على القوة ، فقامت بالمكر والخداع ، ولذلك فهي ملك الشيطان وأرض ابائه واجداده ، وفردوسه الذي استعاد ثانية على الأرض . لأن الشيطان ينام في كل ليلة على وسادات الاقوياء والاشداء الذين يؤذون له الجزية والرّشوة من أموالهم وباقوا لهم واعمالهم في كل يوم . وقد كان يسوع قادرًا ان يأخذ ممالكهم هذه من غير ان يخضع للشيطان . فقد كان يكفي لاجل ذلك ان يقدم الخبر للناس من غير ان يستغلوا ولا شك ان الجموع كانت تقبل وتأتمر باوامرها لو فتح كمشعود دجال مسرحاً لصنع العجائب واحتراح الآيات والمعجزات وادعى انه ماسيا الذي كان الشعب اليهودي ينتظر مجده بفارغ الصبر لكي ينقذهم من عبوديتهم المرة فيستولي عليهم بالمعجزات والعطایا ، ويقيم من كل أرض مملكة واسعة الارجاء كثيرة الغبطة والرخاء ، ويحتل عروش جميع الملوك الذين اقامهم الشيطان معتمدين

له في ظلمة هذه الأرض . ولكن يسوع لم ينشأ ان يكون مجدداً
لشباب تلك المملكة المضمرة ولا ان يشهر العداء على الملك المستبدة
المنتفرخة بروح الكبراء وال الحرب ، فهو لا يحترق السلطة والجدع واما
المملكة التي يبشر بها ويهبها فليس من هذا العالم وينبغي ان تلغي
الملك الأرضية .

أجل ، ان ملائكت السماوات داخلنا — في قلوبنا . وان رجوع
كل انسان إلى الفضيلة والتوبة انما يعني ان ملائكت يسوع الروحاني
قد ازداد نمواً لانه زبح جندياً جديداً في معسكره وقد خلف مملكة
العالم وراءه . فتى أصبح كل انسان صالحًا بارًا ، ومتى أحب جميع
الناس بعضهم بعضاً كما يحب الآباء أبناءهم ، بل متى صار الاعداء أنفسهم
يحبون بعضهم بعضاً ان كان للاعداء من وجود — ومتى أصبحوا
لا يفكرون في اشتتها مال الناس والتناحر عليه بل يطعمون الجائع
ويكسون العاري فain تكون ، إذ ذاك ، مملك الأرض ؟ ولماذا
يوجد الجنود إذا كان الناس لا يطعمون إلى زيادة أملاكهم وتوسيع
دوائر ثروتهم بالسرقة والاغتصاب ؟ بل أية حاجة تظل إلى الملوك إذا
كان الانسان يتخد له من ضميره شريعة ومن وجدانه قاضيًا ومن
محبته جنداً وأعواناً ؟ وأية حاجة تكون إلى المال في عهد يكتفي فيه
كل انسان بما قسم له وهو واثق بان حياته في أمن وسلامة ، وحيث
لا أثر ل العبودية ودفع الاجور لعمال الجنود ؟ لانه إذا تحدثت نفس

الانسان تجدهاً روحيًا وأدرك كل منا الغاية الفضلى من وجوده على الارض فانني واثق بان اساسات الحياة الاجتماعية الحاضرة التي نسميه المجتمع الانساني ، أو الوطن أو العدالة ، أو غير ذلك من الالفاظ تزول كلها وتضمحل كاحلام الليل الطويلة ، فان كلمة يسوع لا تحتاج إلى الاموال والجنود . لان فيها من روحانيتها ما يوصلها إلى القلوب من غير وسيط أو شفيع . ولو أتيح لها ان تصير الجزء المكمّل العامل في حياة ضمائرنا لسقطت جميع الروابط التي تربط الناس بعضهم بعض وتعمي بصائرهم ، ولانسحقت كل قوة ظالمه لم تبن على الحق ، ولتزعن مجد الاشرار في كل ما يصادفونه من الفخار والانتصار —
أجل ولزال كل ذلك كما يزول ضباب الصباح أمام أشعة الشمس ونسميات الفجر . ألا ان مملكت السماوات في داخلنا وهو وحده سيززع أسس الملك الارضية جماعها ويخلوها في السيادة على ابناء الانسان . وقلما تذكر الروح المتحررة في مملكت السماوات ما قاسته من الظلم والاستبداد في مملك المادة لان الناس في ذلك العهد لا ينقسمون إلى ملوك ورعايا ، واسياد وعبيد ، واغنياء وفقراء ، وابرار متكبرين واشرار حقيرين ، وسجيناء مقيدين واحرار طليقين .
فإن هذه القسمة تبطل في ذلك العهد الذي تشرق فيه شمس رب على الجميع ، ويكون سائر ابناء المملكة السماوية رعية واحدة ويعيشون بالمحبة كالاباء والبنين ، وتفتح إذ ذاك ابواب الفردوس

ثانية لابناء آدم الجديد الصارئين مثل الله
يسوع غلب الشيطان في داخله والآن يخرج من القفر ليقهره
بین الناس .

العودۃ من البریة

وعندما رجع يسوع من البرية الى العالم سمع ان رئيس الربع
(وهو الزوج الثاني لهيروديا) قد القى يوحنا سجينًا في قلعة ماخروس .
وهكذا أخرس ذلك الصوت الصارخ في البرية ، ولم تعد القوافل
القادمة الى الاردن ترى شبح ذلك المعبدان البري مرسمًا على مياه
النهر . لانه قد قضى عمله وفرغ من مهمته وتنحى لمن هو أقوى منه ،
لصوت أشد وأشجع من صوته . وهو ينتظر في غيابة السجن أن
يقدم رأسه الدامي على طبق ذهبي على مائدة الاعراس آخر طعام
للخيانة والغدر .

حينئذ عرف يسوع أن ساعته قد جاءت ليقدم بشارته للناس
فاجتاز بالسامرية عائدًا الى الجليل لكي يبشر أن ملکوت الله قريب .
فلم يذهب الى اورشليم مدينة الملك العظيم وعاصمة البلاد في ذلك
الحين ، لانه ائمًا جاء لتحطيم اورشليم الحجارة والکبرباء ، الفخورة
على تلالها الثلاث ، المتحجرة القلب والصخرية العواطف . والرجال

الذين جاء لحاربهم هم أولئك الرافلون بثواب المجد الباطل في المدن
الكبيرة ، وفي العواصم وفي أورشليمات العالم .

وقد كانت أورشليم في ذلك الحين مدينة الكبراء والعظماء ،
يقطن فيها الاسياد الرومانيون الاشداء حكام العالم الاقوياء
والسيطرتون على اليهودية بجنودهم المدربين ، عمال
القياصرة : طيباريوس السفاح الكبير حلقة اكتافيوس الغدار
وقيصر الفاسق الفاجر .

هناك في أورشليم يعيش رؤساء الكهنة حفاظ الهيكل ،
والفرسيون ، والصدوقيون والكتبة ، واللاويون ورجالهم
المتحدرؤن من سلالة قتلة الانبياء والذين كانوا يحجّرون روح
الشريعة فيجردونها حتى من جلدها ، والمعصيون للحرف وانصار
التقاليد الريثة

هناك في أورشليم كان الامناء على خزائن الله ، وخزائين القيسرون ،
الذين كانوا يحرسون الاموال والكنوز وعباد الثروة الاغرار ،
والعشارون مع جياثهم وحشراتهم التي تعيش على أجسام غيرها ،
والاغنياء مع خدامهم ومحظياتهم ، والتجارة في مخازنهم أو متاجرهم
القائمة في الفضاء وأكياس المال يرن الذهب في داخلها بحرارة الصدور
التي تحملها وفوق القلوب التي لا تختلج الا بمحبتها .

قد جاء يسوع لكي يحارب جميع هذه القوات : فيتساطع

على أسياد الارض — الارض الختصة بالجميع ، ويحير أسياد الكلام — الكلام الذي يجب أن ننطق به بصرامة ووضوح حينما شاء الله ، ويدين أسياد الذهب ، العنصر الدني الزائل المسؤول . قد جاء لكي يقلب مملكة جنود رومية الذين يضطهدون الاجساد ، ويززع أسس مملكة كهان الهيكل الذين يضطهدون النفوس ، ويحطم مملكة جباة الاموال الذين يضطهدون القراء والمساكين . قد جاء لكي يخلص الاجساد والنفوس والقراء معاً ، فعلم بالحرية بالرغم من سياسة رومية ، وعلم بالمحبة فطم دعائم عقائد الهيكل وتعاليم كهانه ، وعلم بالفقر فهم سائر نظريات الأغنية .

لم يشأ قط ان يباشر أعمال بشارته في اورشليم حيث كان يجتمع أعداؤه و يولفون باجتماعهم قوة هائلة ضده . بل رغب في ان يحيط بالمدينة فيحاصرها من الخارج ويدخل اليها أخيراً بجيش جرار من جنود مملكت السماوات الذي يكون قد أتم تأسيسه إذ ذاك وصار له من القوة ما يدرك به حصن اورشليم . لأن احتلال اورشليم كان آخر حلقة من سلسلة الاختبارات وأعظم تجربة من تجربة يسوع التي أثارت المعركة العظمى ، المعركة الهائلة بين يسوع الاعظم من كل الانبياء وأورشليم المدينة القاتلة الانبياء . ولو دخل يسوع في بدء كرازته إلى اورشليم « حينما كان عليه أن يدخل كملك منتصر ويعتبر مجرم أثيم » لسيق في الحال إلى ظلمة السجن ولما تمكن من

زرع بدار كلته في أرض أقل حسّكاً وأشواكاً وصخوراً من
أرض أورشليم .

وكان أورشليم آنذاك كسائر المدن الكبيرة — البلالع الغليظة
التي تجتمع فيها تقىيات الام وآقدارها وسقوطاتها — كانت مجتمعاً
لا يباش الآدئ والظرفاء الخاملين ، والكفرة والزنادقة المعطلين ،
وابناء الشرف الموروث الذين لم يرثوا من آباءهم وأجدادهم سوى طائفة
من التقاليد البلياء ، والطقوس العقيمة العمياء ، يمارسونها وهي تقودهم
إلى الخراب والبلاء ، وغيرهم من صفوف الاغنياء والمحتكرين وهم
جيش ممّون (١) وزد على ذلك الرعاع من العامة الجاهلين المتمردين
المضطربين الذين ما كانت حدة ثورتهم لتهدا لا خرافات كهانهم ،
وسيطروا على أرواحهم بالاوهم والشعوذات ، وسيوف الجنود
الرومانيين المصلحة فوق رؤوسهم لأجل ذلك جميعه لم تكن أرض
أورشليم صالحة في ذلك العهد لبدار يسوع .

ولما كان يسوع ابن المزارع — الممتلىء صحة ومحبة للوحدة —
فقد تاقت روحه إلى العودة إلى الولاية التي نشأ فيها . وقد شاء ان
يقرب البشارة المفرحة التي كان يحملها للعالم لأولئك المواطنين الذين

(١) ممّون كلمة سريانية مستعملة في التحيل متى كما هي مستعملة هنا لتمثل الغنى
ومحبة العالم . وليس لدى علماء الميثولوجيا من دليل على وجود الله أو صنم بهذا
الاسم كان يعبده أبناء العالم القديم .

كانوا أول من قبله ، شاء ان يقربها أولاً للفقراء والمتضعين لأن البشرة
انما ارسلت اليهم خصيصاً ، واطالما كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر وان
حلاوةها أشد في قلوبهم من سائر البشر . وفوق ذلك فان يسوع انما
جاء إلى العالم لأجل الفقراء ولذلك ترك أورشليم وجاء إلى الجليل
فدخل إلى المجمع وبدأ يعلم .

ملكوت الله

كانت كلامات يسوع الأولى قليلة ، بسيطة ، كثيرة الشبه
بكلامات يوحنا ، وقد جاء إلى الجليل يكرز بملكوت الله قائلاً « قد
حان الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وامنوا بالأنجيل . كلامات
عارية وربما كانت باختصارها بعيدة عن افهم ابناء العصور الحديثة
لهدوئها ورزايتها . لاننا إذا أردنا ان نفهمها ورغبنا في ان نميز بين
رسالة يسوع ورسالة يوحنا وجب علينا ان ننقل هذه الكلمات
الوجيزة الى لغتنا الحديثة ونعيد اليها ثانية معناها الحي الحالى .

« قد حان الزمان » : الزمان الذي طالما ترقبه الناس وتقبّلـ
عنه الانبياء والمرسلون ، وقد قال يوحنا ان ملكاً عظيماً سيأتي
ويسسس مملكة جديدة هي ملكوت السماوات . وهذا قد جاء ذلك
الملك العظيم مبشرًا بان أبواب الملكوت مفتوحة لاجمـيع ، جاء الملك

لكي يكون مرشدًا ، وطريقًا ، ويداً قبل ان يصير ملكاً في
مجده السموي .

إذ يقول يسوع ، « قد حان الزمان » لا يشير الى التاريخ
البشري الدقيق بانه جاء في السنة الخامسة عشر لملك طيبيريوس .
ان زمان يسوع هو اليوم وغداً والى الابد ، هو الابدية كلها هو
زمن ظهوره وزمن موته هو الابدية كلها هو زمن عودته وزمن
انتصاره ، الكامل الذي لم يأت بعد فان الفرصة سانحة في كل دقيقة
وفي كل ثانية ، اذا كان الفعلة حاضرين ومستعدين للعمل . فان كل
الايات ملك للرب يسوع ، والارقام احقر من ان تحدد عهده لأن
الخلود لا يمكن ان يحدد بالحدود . وكما جرب الانسان ان يدخل
المملكت فاما هو يثبت الممكلوت بامانه ، ويغنيه بمحبته ، ويؤيد
قداسته ، ويدافع عن طهارته ، معلنًا شرف اسمه للجميع ، ومظهرًا
حقه في مقاومة جميع ممالك الارض الدنيا (الدنيا لأنها بشرية ارضية
لا اهلية سماوية) ولذلك فالزمان حاضر في كل لحظة للبشرة والعمل .
وقد سمي هذا الزمان بعهد يسوع ، او التاريخ المسيحي ، او
العهد الجديد .

أجل ان الفي سنة تقربياً تفصلنا عن هذا العهد ، وهي بالحقيقة
لا تزيد عن يومين . لان الف سنة في عين الرب وعيون ابنائه
العارفين كيوم امس الذي عبر .

« قد حان الزمان » وهذا نحن اليوم في ملء هذا الزمان الخالد الذي لا يعرف النهاية لأن يسوع لا يزال معنا ينادينا قائلاً ، « قد حان الزمان » زمن اليقظة والحياة . قد مضى اليوم الاول ولكن اليوم الثاني لم ينقض بعد . لأن الملائكة لا يزال في عهد التأسيس الى اليوم . وانني أستطيع ان أقول انتا نحن العائسين اليوم ، بل في هذا العام ، بل في هذا القرن (ولن نعيش الى الابد ، وربما لا نرى اواخر السنة التي نحن فيها ، بل انتا ولا شك لن تشاهد نهاية القرن الحاضر) نحن الاحياء في هذا الزمان نقدر ان نشارك في تأسيس هذا الملائكة ، فندخل اليه ، ونعيش فيه ممتنعين بما فيه من السعادة والحياة . فان الملائكة ليس وهمًا من أوهام رجل يهودي فقير — وهمًا قد اكل الدهر عليه وشرب مدة عشرين قرناً ، كلا ، ولا هو بالحرافة القديمة او الاسطورة المنسية ، او تذكرة متبول مجانون من مجانين العصور الخالية كلا ! بل هو هو اليوم وغداً والى الابد ، هو حقيقة ظاهرة للمستقبل ، جديدة في اذهاننا ابداً ، حية فعالة محية ، هو عمل قد شرع فيه منذ عهد قصير ولكل انسان ملء الحرية ان يشارك في عمله ويتحمّل مسؤولية بناء الحقيقة والحياة . هو ملائكة جديد ، فتى ، قد ولد في الامس لكي ينمو ويزهر ويأتي بالثمار الخالدة ، غير ان الحجارة التي يتربّك منها تبدو قديمة العهد ، والرسالة التي يتضمنها قد اظلمت قليلاً على مر العصور . التي يسوع بذار هذا

الملائكة العلوى في الارض وقد بنت هذا البذار بالجهد بعد الفي
سنة مرت كشلاء ممتنع من العواصف في اثناء الستين حيلاً التي
تقتضى على البشرية ولكن هل نحن اليوم ، بعد ان جزنا
طوفان الدم ، هل نحن في العهد الالهي الذي طالما تاق اليه البشر
وترقبوا حلوله ؟

أجل ، اننا سنتعلم من كلمات يسوع التي سنقرأها في صحائف هذا
الكتاب شيئاً فشيئاً عن ماهية هذا الملائكة ، غير انه من الجدير
بنا ان لا يخيل اليانا انه فردوس ملذات ومسرات ، أو سلسلة غبطة
لا أول لها يعرف ولا آخر يوصف ، أو جحود عظيم من المنشدين
الذين يرتابون او صنوا وهم يمشون على الغيمون ويناطحون برؤوسهم
عاليات السحاب .

على أن يسوع قد وصف ملائكة الله بأنه ضد ملائكة
الشيطان ، ونفيض ملائكة الأرض . أما ملائكة الشيطان فهو
ملائكة الشر ، والخداع ، والكفر والبغض والكبراء ، وبكلمة
وجيزة هو ملائكة الحسامة والدنسنة . ولذلك فان ملائكة
الله إنما هو ملائكة الخير ، والاخلاص ، والامانة ، والمحبة ، والتواضع
وبالاختصار فهو ملائكة السمو والرفعة .

واما ملائكة الأرض فهو ملائكة المادة والجسد ، ملائكة
الذهب ، والبغض ، والبخل ، والشهوات ، ملائكة جميع القبائع

والرذائل التي يحبها الاشرار والمحانين . ولذلك فان ملَكوت الله هو ملَكوت الروح والنفس ، ملَكوت الامانة والمحبة ، والاريحية ، والغففة ، ملَكوت جميع الكلمات والفضائل التي يتخلق بها رجال الله الذين يدركون نقص كل شيء بازائهم . فالله هو الآب الواحد مصدر الصلاح ، والسماء — ما هو أعلى من الارض ، أعني الروح ، والسماء مقر الله . والروح ارض الصلاح . وكل من يدب على الارض ، وينقب في الارض لكي يتلذذ بما دأه الارض — انما هو وحش قذر ، وجميع الذين يعيشون بعيون مرتقعة نحو السماء ، وهم يتوقعون النقلة الى السماء لكي يعيشوا هنالك الى الابد — فاولئك هم الاقياء الطاهرون . وقد عرف يسوع أن أكثر الناس حيوانات قدرة ولذلك رغب من صميم قلبه أن يحول هذه الحيوانات الى ابرار وقديسين .
هذا هو معنى ملَكوت الله ، المَلَكُوت البسيط الحي الى الابد — ملَكوت السماوات .

أن ملَكوت الله للناس . لأن : «ملَكوت السماوات في داخلنا» كما قال يسوع . فهو عملنا وهو سعادتنا في هذه الحياة وعلى هذه الارض . ان ذلك متوقف على ارادتنا وجوابنا سلبًا أو ايجابا . كونوا كاملين ينبعسط ملَكوت السماوات ما بين الناس .

وقد زاد يسوع على ذلك قوله «توبوا» ولكن هذه الكلمة قد تحرفت لسوء الحظ وبعدت بها ترجماتها عن معناها الاصلي الحقيقي

النجيل . فهي كما أوردها مرقس باليونانية METANOITE يحب أن لا تعرّب بكلمة « توبوا » لأن الكلمة اليونانية إنما تقيد تغيير الفكر أو تجديد النفس . لأنها كما أن الكلمة METAMORPHOSIS تعني تغيير الشكل كذلك الكلمة METANIA تعني تغيير الروح . وكان الأولى أن تترجم بكلمة تبدل أو تجدد أي تجدد حياة الإنسان الداخلية . وأما الكلمة « التوبة » فليست سوى اياضاح تفسير لامر يسوع .

وقد كان هذا التجدد الروحي في مقدمة الشروط الاولية الموجهرية التي فرضها يسوع للانخراط في جنديه الملائكة السماوي . فقد أمر بالتبديل الروحاني وتغيير الاحكام والعواطف والنيات والافكار تغييرًا كاملاً وسمى ذلك كله عندما كان يخاطب نيقوذيموس « الولادة الثانية » ثم عمد إلى اياضاح طريقة هذا التجدد في النفوس البشرية شيئاً فشيئاً . وقد وقف حياته كلها على تعلم هذه الحقيقة للناس وجعل نفسه مثالاً يهتدى به في هذا التجدد . وفي الوقت ذاته ختم يسوع عبارته البسيطة بهذه النتيجة السعيدة قائلاً « وآمنوا بالأنجيل » .

ان أبناء هذا الزمان يفهمون من الكلمة « النجيل » الكتاب الذي سطر فيه الأنجليليون الاربعة ما عرفوه وشاهدوه من حياة يسوع . ولكن يسوع لم يكتب قط في حياته كتاباً ولا فكر مررة في الكتب

والمجلدات ، وإنما عني بكلمة «إنجيل» ما تعنيه هذه الكلمة اليونانية من المعنى الجميل والحلو، الا وهو «البشرارة بالفرح» وقد كان يسوع نفسه مرسلاً (وباليونانية ملاكاً) يحمل البشرارة الصالحة ، فإنه جاء بالبشرارة المفرحة المعلنة أن المرضى سيتعافون ، والعميان سيدصرون ، والقراء سيثرون وستكون ثروتهم خالدة والحزاني سيفرحون ، والخطأة والاشرار سيسامحون ، والبرص سيطهرون ، والناقصون سيكملون ، والحيوانيون يمكن أن يصيروا قدисين والقديسين ملائكة شبيهة بالله .

فإذا كانت هذه المملكة على أبهة الظهور ، وإذا كان على كل انسان ان يهيء ذاته لمجيئها ، فلهذا يجب علينا أن نؤمن بالرسالة التي جاءت بها ، ونصدق أن المملكة حقيقة قريبة منا . لانه اذا لم يكن للناس ايمان بهذه الموعد فإنه لا أحد يعمل ما يجب عليه لكمال الموعد . وليس في العالم من قوة تستطيع ان توقظهم الناس للهوض الى العمل في أساس هذا الملكوت الخالد مثل الحقيقة التي حملتها هذه البشرارة المفرحة والاعتقاد بأنها ليست كذبة مغامر أو وهم متحمس مشعوذ ، والوثيق بان السداقة والاخلاص والامانة ظاهرة في كل سطر من سطورها .

بهذه الكلمات القليلة الغامضة على أكثر الناس حصر يسوع مباديء تعليمه «كمال الزمان» يعني انه يجب أن نشرع في العمل

الحال ! « واقتراب الملائكة » يشير الى انتصار الروح على المادة ، والخير على الشر والقديس على البهيمة . و « التجدد الروحي » يعني تبديل طبائع النفس تبديلاً كاملاً و « الانجيل » يعني البشارة المفرحة المؤكدة بان كل هذه الامور صادقة اليوم وغداً والى الابد .

كفر ناحوم

هناك على درجات بيوت الجليلين القدرة كان يسوع يعلم مواطنيه الجليلين . هنالك في ظلال الاشجار عند مداخل مدنهم أو على شاطئ البحيرة كان يعظهم وهو متكم على سفينة رست على الشاطئ ورجله على الحجارة الملسأ ، والشمس قد مالت الى الغيب فتحول شعاعها الى احمرار وهي تدعوا الناس الى الراحة من عناء النهار .

وكانت الجموع تتبعه كما روی لوقا ، لكي يسمعوا كلامه ، لانه كان يعلّمهم « كمن له سلطان » ومع ان كلماته لم تكن كلها جديدة ولكن شخصه كان جديداً ، وحرارة صوته كانت جديدة ، والصلاح يتدفق من بين شفتيه خارجاً من معين قلبه النقي ومنسكباً في قلوب جميع الذين كانوا يسمعونه . وكانت رنة كلماته جديدة ، وكانت

الروح التي تملئها على ذلك الفم المشرق بنور لحاظه جديدة فعالة .
فما هو الان ذلك النبي البعيد المنفرد في الاماكن السحرية .
البعيدة عن البشر المنفردة عن العالم فيضطر الناس الى ترك اعمالهم
اذا شاءوا ان يأتوا ويسمعوا اقواله — بل هذا هو نبي يعيش بين
الناس كما يعيشون ، وكان صديقاً لاعدائه يحبهم كما يحب اصدقائه ،
رفيقاً بكل انسان ، متواضعاً مع جميع من يودون ان يرافقوه ، يفتشر
عن اخوانه المحتاجين اليه في مصانعهم واعمالهم ، وفي الشوارع
المزدحمة فیا كل من الخبز الذي يأكلون ، ويشرب الحمزة التي يشربون
ويمدد يده لمساعدة الصيادين الفقراء في سحب شباكهم الى الشاطئ ،
ويعزي كل انسان باقواله وموالاته ومواعظه الالهية ، فيمسح دموع
المحزونين ويرى اسقام المرضى والمضنين ، ويشبع حاجات الفقراء
والجائرين .

ان بسطاء القلب ، كالحيوانات والاطفال يفهمون ويدركون
بعرازتهم الرجل الذي يحبهم ، فيؤمنون بما يقوله أو يعلمه ويشعرون
بسعادة فائقة عندما يزورهم (فتشرق وجوههم فرحاً ومحبة) وتكتنفهم
الكآبة عندما يفارقهم . وكثيراً ما يتعدّر عليهم ان يفارقونه فيرافقوه
حتى الموت .

وقد قضى يسوع حياته بين أولئك الساذجين من اصدقائه
متنقلًا من مكان إلى مكان أو جالساً في وسطهم واعظاً ومبشراً .

وكان شاطئ البحيرة الزاهي بنور الشمس عزيزاً على قلبه ، ذلك الشاطئ الممتد حول المياه العذبة الهدئة ، التي قلما تؤثر في سكينتها رياح الصحراء ، والشباك منتشرة فيه هنا وهناك ، تذهب بها الأمواج حيث ذهبته فتزيد في جلال المنظر وجماله وقد اخذ يسوع الجانب الغربي من الشاطئ كملكته الحقيقة ، فهناك وجد أول من أصغى إلى تعاليمه ، وهناك وجد تابعيه من تلاميذه ومريديه .

ولم يكن يذهب إلى الناصرة إلا فيما ندر لقضاء بضعة أيام بين أهله وأقربائه لأنه كان عازماً على الذهاب إليها فيما بعد مع تلاميذه الآثني عشر بعد أن تساقطه إليها شهرته وعجائبه ، لكي يعامله مواطنوه فيها كما عاملت أثينا وفلورنسا — وها مدینتا العالم القديم اللتان اشتهرتا باللطف والظرف — ابناءهما الذين رفعوا اسميهما وشرفوها فوق سائر مدن الأرض . هناك في تلك المدينة — الناصرة — ترى يسوع محترقاً مهاناً من مواطنيه الذين بعد ان رأوه رضيأً بين رضعائهم وصبيأً يلعب في شوارعهم لم يستطعوا ان يصدقوا انهنبي عظيم — بل جربوا ان يرموا به من عن قنة الجبل الذي كانت مدینتهم مبنية عليه .

ولم يكن يسوع يقيم وقتاً طويلاً في مدينة واحدة بل كان سائحاً يتجلو من مدينة إلى أخرى فإذا حياته رحلة لا نهاية لها . وإذا هو هو — قبل ذلك الذي حكم عليه بالموت فكان الحكم

عليه للخلود — ذلك اليهودي التائه الحقيقى . قد ولد في مغارة ، في سفر — حتى انه لم يولد في فندق لأن ليس في بيت لهم موضع لاهه الحامل .

وتاه في الصحراء المحرقة وهو بعد محمول على الساعدين في الرحلة إلى مصر ومن مصر عاد إلى مياه الجليل وح قوله الخضراء . وطالما ذهب مع والديه من الناصرة إلى أورشليم في عيد الفصح . وبعد ذلك دعاه صوت يوحنا إلى شواطئ الأردن ، ثم قاده صوت داخلي إلى البرية والجبال ، وبعد أربعين يوماً قضاها جائعاً مجرّباً من الشيطان بدأ حياته الجديدة المضطربة ، فشرع يطوف من مدينة إلى مدينة ، ومن قرية إلى قرية ، ومن جبل إلى جبل فيسائر أنحاء فلسطين . وكثيراً ما زار في الجليل : في كفر ناحوم وكورزين وقانا ومجدلة وطبرية ، وقد اجتاز إلى السامرية وجلس مختاراً ، على بئر سوخار . وكان يتعدد من حين إلى حين على رباعية فيليبس إلى بيت صيدا وغداره ^(١) أو بيرية هيرودس انتيباس . وفي اليهودية كان يسوقه النزول كثيراً إلى بيت عنيا قرب أورشليم أو أريحا ، حتى أنه ليجرؤ

(١) غدارة أحدى مدن سوريا القديمة ، كانت في المقاطعة المسماة في الانجيل بالعشر المدن ، على بعد نحو ستة أميال من الجنوب الشرقي من بحر الجليل . وقد لعبت دوراً هاماً في الحروب ضد انطيوخوس «الاسكندر» وفاسپاسيانوس ولم تهدم وتتعرض إلا بعد الاحتلال الإسلامي .

ان ينخلي حدود المملكة القديمة وينزل على الامم فوطىء فينيقية
ودخل صور وصياد وتجلى على جبل حرمون في سوريا وبعد أيامه
جاء الى عمواص ثم ظهر على شواطئ بحيرته طبرية التي كان يحبها ،
وأخيراً ظهر في بيت عنيا قرب بيت لعاذر عندما فارق أحباؤه الفراق
الأخير وصعد إلى السماء .

أجل ، كان يسوع مسافراً لا راحة له ، وهائماً على وجهه لا يملك
بيتاً يأوي اليه ، وعبر طريق في سبيل المحبة ، ومنفياً بارادته في ارض
آبائه وأجداده ، وقد قال بفمه الطاهر انه لم يكن له حجر يسند اليه
رأسه . وبالحقيقة انه لم يكن يملك فراساً ينام عليه في ليله ولا غرفة
يستطيع ان يقول انها ملكه . فكانت الطريق بيته الذي آواه مع
أصدقائه الاولين الذين اختارهم من العالم لكي يهيم معهم ناشدين لهم
أصدقاء ومعارف آخرين على وجه الارض . واما فراشه . فكان ثم
الحقل . أو مقعد السفينة . أو ظل شجرة من أشجار الزيتون . وكان
ينام في بعض الاحيان في بيت من بيوت أصدقائه ومعارفه ولكن هذا
لم يكن الا لمندة قصيرة .

في بدء كرازته كان كثير التردد الى كفر ناحوم . هذه المدينة
قد سماها متى الانجيلي « مدینته » فهي مبدأ اسفاره ومنتهاها ولقد
أصبحت « كفر ناحوم » في لغاتنا مرادفة للبلبلة والاختلاط وهي
قائمة على طريق القوافل التي كانت تأتي من دمشق فتجتاز ايتوريا

في طريقها الى البحر . ولذلك تعااظم مركزها التجاري شيئاً فشيئاً حتى صارت تحسب مركزاً عظيماً من مراكز التجارة في الشرق . ولذلك كان يأتي اليها أصحاب الحرف على اختلافها ، والمقاؤلون ، والسماسرة ، والدلائل ، وأصحاب المخواين ، والتجار على اختلاف طبقاتهم وتنوع أسلفهم . وكان يجتمع فيها أرباب الاموال — كما يجتمع النباب حول البرك الراكدة — والصيارة ، والجباة ، وغيرهم من عباد الثروة وهكذا تحولت تلك المزرعة الحقيرة من قرية يعيش فيها بعض الصيادين الفقراء الى مدينة تمثل فيها الهيئة الاجتماعية بكل مظاهرها ، من الجنود الى الزناة والفاسقين . غير ان كفر ناحوم الجميلة المتకئة على شاطئ البحيرة الماءة ، ينعشها هواء التلال القائمة بجانبها ، وتعطر انفاسها نسمات عليلة تبعث بها الامواج القريبة منها ، لم تكن كلها تننة الروائح كأورشليم ومدائن سوريا ، كان يمكن استنشاق هواها : فقد بقي فيها فقراء وصلاح سنج طيبو السرائر وفلاحون يتكلّرون الى حقولهم وصيادون يقلعون بسفائهم .

اما يسوع فكان يذهب الى المحاجع في يوم السبت ، وكان لكل انسان ملة الحق في الدخول الى الجمع لكي يقرأ أو يفسّر ما يقرأه سواه من الداخلين . وكان الجمع عبارة عن قاعة بسيطة يجتمع فيها المؤمنون ليباحث بعضهم بعضًا ويحلموا بالله .

وقف يسوع وطلب درجا من الكتاب — وأثر الانبياء على
سائر الاسفار — وقرأ بعض السور بصوته الهدى . ثم أخذ يتكلم بفصاحة
نادرة وبلغة فائقة حيرت الفريسيين ، وانعشت قلوب المكتفين
وحرّكت شواعر الخطأ وال مجرمين ، واسْتَهَلتُ اليه عواطف القراء
والمساكين ، وسحرت قلوب النساء مع جميع السامعين .

حلَّ النبوة القديمة بجأة حتى صارت حقيقة واضحة امام الجميع
كأنما قد كتبت عن عهدهم ، فظهرت للحضور كأنها حقيقة جديدة
أو اكتشف حديث لم يهتدوا اليه من قبل ، أو خطاب لم يستمعوا
مثله قط في حياتهم ، والكلمات التي سطرت في العهد القديم فقدت
روحها على كروز الايام خرجت من فمه حية قوية ذات تأثير فعال وكأنما
قد أشرقت عليها شمس جديدة فأنارت ظلماتها حرفا حرف او جملة ،
وجعلتها كلامات جديدة قد كتبت في تلك اللحظة فبرزت تشع امام
عيونهم كأنها وحي لم يكونوا في انتظار ظهوره .

الفقراء

لم يكن في كفرناحوم رجل أو امرأة سمع في ما مضى من حياته
وعظاً مثل وعظ يسوع من أي شيخ أو معلم قبله . فان المجامع
كانت تغتصب بالسامعين عندما كان يعظ يسوع ، لأن الجموع الذين

كانوا يذهبون من قبل الى البرية لسماع يوحنا صاروا يتقطرون
من كل حدب وصوب الى كفر ناحوم لكي يسمعوا المعلم الجديد .
كان البستانى ، في يوم السبت ، يترك معوله ولا يستقي من بئره
ماءً ليروي مزروعاته النضرة ، والحداد الصالح ، العائش عمره بين
الدخان والاقدار كان يقتسل ويرتدي الملابس النظيفة ، وعائم
الاسوداد لا تزال اثارها على وجهه ويديه بالرغم من انه غسلها بمياه
كثيرة ، فيسرّح شعره ويده لحيته بالعطور البخثة الاثمان —
لکنه طيبة الرائحة كعطور الاغنياء — هذا الحداد الذي كان في كل
يوم ما خلا السبت يقف امام النار والعرق يتسبب من جبهته ،
والاقدار تلا جسده كان في مقدمة القادمين لكي يسمع الكلام
عن الله آباءه .

أجل أنه يذهب الى المجتمع بداعي العبادة . لكنه أيضالكي
يرى اقرباءه واصدقائه وجيранه فالميكل هو المجتمع الاوحد في كفرناحوم
واليام الاعياد هذه تطول عليه وليس في يده مطرقة وملقط .
وكان البناء يأتي مع الحداد أيضاً — البناء الذي اشتراك في
بناء ذلك المعبد الحقير الصغير الذي لم ينشأ الشيوخ الاقياء المتظاهرون
بمخافة الله أن يجعلوه أكبر مما هو قليلاً لشدة بخلهم وطمعهم . كان
ذلك البناء يأتي الى الهيكل ولا يزال يشعر بتخدّر وكلال في ذراعيه
من عمل الايام الستة الشاق ، بيد أنه لم يكن يتذكرة معلقة من

الطين وضع بين الحجارة التي بناها في ذلك الأسبوع ، يأتي ذلك
البناء بعد أن يلبس ملابسه الجميلة فيدخل المجمع ويجلس ، وهو
الرجل الذي يقضي حياته منتصباً وهو يعمل بتيقظ وفطنة لكي يكون
البناء الذي يبنيه متيناً مستقيماً جميلاً ، مراقباً المستغلين معه بعين
ساهرة ليكونوا محافظين على واجباتهم وكان يأتي ذلك البناء الصدوق
إلى الهيكل ويجلس على مقعده كأنما هو في بيته الخاص .

وكان الصيادون يأتون أيضاً كباراً وصغاراً ووجوههم قد لوحتها
حرارة الشمس وعيونهم تكاد تكون مغمضة من انعكاس أشعة
الشمس عليها من البحر . والشيخ أجمل من الشاب بتناسب شعره
البيض ولحيته البيضاء مع وجهه المتبععد المشرق بنور الصحة والعافية ،
كان أولئك الصيادون يتذرون سفنهما على الرمال بعد ربطها إلى
الأوتاد ، وينشرون شباكهم على السطوح ويأتون إلى المجمع بالرغم
من أنهم لم يعودوا الحياة السجينة ضمن الجدران في حياتهم الحرة
الطيبة ، حينما تطرّبهم الأمواج بهديرها ، وتتجهم بمناطقها
جباه سفنهما .

وكان الفلاحون يأتون من الحقوق المجاورة لاستماع الكلمة التي
كان يرن بها صوت يسوع في المجمع : فكانوا يعودون من حقوقهم
الخصيبة وملك السعادة يرفف فوق رؤوسهم لكي يؤدوا الشكر لله ،
الذي ينمي زرعهم ويبارك كرومهم وحصادهم ببركته السماوية . وكان

كثيرون من الرعاة يهبطون من جيالهم عند الصباح بعد أن يعيشوا في سكينة صراعهم أسبوعاً كاملاً من غير أن يشاهدوا وجه انسان، أو ينسبوا بلينت شفة ، وهم وحيدون منفردون مع قطعائهم التي تقضم الأعشاب الطريّة بسکينة وسلام .

وكان أصحاب الاملاك الاغنياء والفقراء يأتون أيضاً مع الصناع وأرباب الحرف وأعيان كفرناحوم المتنفذين ، ويجلسون في المقاعد الأولى برزانته ورصانته وعيونهم متوجهة إلى الأرض وهم راضون عن سير أعمالهم وتوفيق أشغالهم، وضمايرهم مطمئنة مستريحية لأنهم يحافظون على الشريعة من غير أهمال أو نقصان ، وقلوبهم ترقص طرباً لأنهم لم يتتجسوا بخطيئة العصيان . وكان الناظر إلى صفوفهم من مؤخر المجتمع لا يرى الا ظهوراً منحنية قد ارتدت بأخر الملابس وأثمنها ، ظهور الآسياد وأرباب الوظائف والصناعات الجميع على وفاق مع العالم ومع الله ، ظهوراً ممتاثة من القوة والنفوذ والتقوى .

وإذا أيضاً غرباء مقبلون إلى طبرية أو ذاهبون إلى سوريا ، قد تنزلوا ودخلوا ، وربما للبحث عن عميل ، وهم يتلفتون حولهم بهذه الكبراء الحمقاء التي تولدها الفضة في النفوس الجائعة الخانعة .

وفي مؤخر الغرفة (لأن المجتمع كان في ذلك العهد غرفة طويلة حبيضة من الداخل ، أكبر قليلاً من مدرسة الاولاد في القرى

الصغرى ، أو من مطبخ) يقرفص القراء قرب الباب كالكلاب
التي تنتظر أن تطرد خارجاً — فقراء البلدة وأفقرهم الذين يتعيشون
من الأشغال الصغيرة ، ومن الصدقة التي ترمى إليهم أو — وآسفاً
من السرقات الصغيرة ، والبائسون ، واللاحسن الجلابيب الريمة
الوسخة يُزدَرون ويُطْردون ، والإيتام الذين لم يتعلموا بعد كيف
يحصلون قوتهم . والأرامل العجائز اللواتي تركهن أولادهن والشيخوخ
المحدود بالظهور الذين يجهلهم الناس . والمرضى والضعفاء والمقيودون
والمحبوبون والسماء والهجورون والجائعون الذين يأكلون اليوم
ويصومون غداً وهم لا يشعرون أبداً والذين يتلقطون الفضلات
والفضلات ورؤوس السمكات وقشور الأثمار والذين ينامون هنا
وهنالك يتأنلون من برد الشتاء ويتشوقون الصيف : فردوس القراء
لأن الأثمار تتدلى على جوانب الطريق . هم أيضاً هؤلاء القراء
المتسولون ، والقرعان يذهبون إلى المجتمع يوم السبت ليسمعوا قراءة
التوراة ولا يستطيع أحد أن يطردهم خارجاً فأن لهم حق الآخرين
فهم أبناء الآب الواحد ويخدمون رب الواحد .

في ذلك اليوم يشعرون ببعض التعزية لأن الكلمات ذاتها التي
يسمعها الأغنياء والاصحاء تدخل أذانهم ويتناولون هنا الطعام الذي
يتناوله غيرهم . فما هم الآن على أبواب المنازل عندما يأكل السيد
فاخر الطعام فيكتفون بالفضلات . الطعام هو واحد هنا لمن له كل

شيء ولن ليس له شيء . كلام موسى هي واحدة ، ابدا ، لصاحب القطيع الكبير السمين ولن ليس له بضعة من حمله لعيد الفصح . لكن كلام الانبياء خير لاصغار واقسى على الكبار ان فقراء الشعب كانوا ينتظرون . كل سبت ، من يقرأ عليهم فصلا من أشعيا أو عاموص ، لأن الانبياء ينتصرون للعراوة وينذرون بالعقاب ويسرون بالعالم الجديد .

وإذا في هذه السبت قد جاء رجل خصيصاً لأجلهم ، وكان يتكلم لأجلهم ، وقد هجر البرية لكي يعلن البشائر المفرحة للفقراء والمرضى . ولم يتكلم أحد قط من قبله عن الفقراء كما تكلم هو . ولم ينظروا قلباً خافقاً بمحبتهم مثل قلبه ، فقد كان يحبهم كالأنبياء القدماء ويحتقر الأغنياء وثروتهم مجدداً الآمال في قلوبهم ومائلاً نقوسهم تعزية .

وبعد أن فرغ يسوع من عظه في يوم السبت لاحظوا أن الشيوخ ، والكتبة ، والأسيد ، والمنقذين ، والفريسين ، وغيرهم من الذين يقرأون ويكتبون ويحشدون الأموال في خزانتهم — نهضوا يتغاضون وكل واحد منهم يهز رأسه مشمراً وينهض عن مقعده مغضباً يحرك رأسه وهو يتميز غيظاً ثم يخرج ناقماً ساخطاً والغضب يحرك شعر لحيته الطويلة السوداء كقلبه لكن لم يضحك منهم واحد .

اما التجار فكانوا يلحقون بالذوات والاعيان وهم يفكرون

باشغال اليوم المُقبل ، ولم يبق وراءهم إلا العمال ، والقراء ، والرعاة ،
وال فلاحون والبستانيون ، والحدادون ، والصيادون ، وسائل طبقات
المتسولين والإيتام الذين لا ارث لهم ، والشيخوخ المرضى ، والمطرودون
الذين لا مأوى لهم ، والتابعون الذين لا صديق لهم يعزّيهم في تعسهم ،
والمفلسون ، والمضنيون ، والمقدعون والمخلاّعون . فانهم لم يستطعوا
ان يحولوا عيونهم عن وجه يسوع . ولقد ودوا لو ان يسوع كلهم بعد
فيعلن لهم عن الزمان الذي تجيء فيه ساعتهم في حلول الملكوت
الجديد حيث سيكافأون عمما يلاقونه في هذا العالم من الشقاء ،
وينظرون بعيونهم يوم القسط والحساب . وكانت كلامات يسوع بلساً
شافياً لجرحات قلوبهم الدامية فتحرّكت بحرارة جديدة ومحبة فائقة
وطارت نفوسهم فرحاً عندما سمعوا من فم يسوع عن المجد المعدّ لهم
في الملكوت المُقبل ، وعما ينتظرون من النجاح والأفراح والولائم
والفنائِم والطمأنينة والإثراء الحالى . ولذلك كانوا يشكّون في فهمهم
لما عنده المعلم بهذه الكلمات ، اما كانت تلك المملكة التي يحلمون
بها تشبه ولو بعض الشبه بلاد قوقانيا^(١) التي يتواهّمها الفلسطيني .
لكن لم يحبه أحد في العالم ولن يحبه أحد كما أحبه قراء الجليل
الجائع إلى الخبر والحق اما القراء الأقل عوزاً ، الذين كانوا يستغلون

(١) بلاد قوقانيا هي بلاد وهمية يجد فيها الناس من غير عناء كل ما تشتهقه
النفوس من المذايّن والراحة والهناء .

فقتل حاجتهم الى الخبز فقد أحبوه أيضاً حباً باولئك القراء .

وعندما خرج يسوع من الجموع كان الجموع مصطفين من على جانبي الطريق لكي ينظروا إلى وجهه الجميل مرة ثانية ، وما عبر بهم حتى لحقوا به متلهفين كأنما هم في حلم جميل . وإذا دخل بيت أحد الأصحاب ليأكل كل انتظروه أمام الباب ليطلع عليهم ثانية وادع ذاك يزدادون جرأة فيידنون منه وكلهم يسيرون معًا إلى شاطئ البحيرة وانضم اليه غيرهم وبعضهم — وهم أشجع قلبياً تحت فضاء السماء — تجرأوا وسألوا يسوع . فييقف يسوع ويجيب هذه الجموع العمياء الحايلة بكلمات لن تنسى أبداً .

الاربعة المدعون أولاً

بين صيادي كفرناحوم وجد يسوع تلاميذه الاولين . وقد كان يذهب إلى شاطئ البحيرة في كل يوم تقريباً . وكانت السفن تدخل وتخرج من الميناء على التناوب ، وقلواعها منتفخة من الهواء الداخل إليها ، والصيادون ينزلون من السفينة حفاة ويغطسون أرجلهم في الماء إلى ركبهم وهم يحملون شيئاً كثيراً من الراسحة ماءً وسلام لهم المملوكة أسماؤها قد اختلط فيها الجيد والرديء تتلاألأ كالفضة المرطبة بالماء .

وكان أولئك الصيادون يخرجون إلى الصيد في الليالي المقمرة

عند طلوع البدر ولا يرجعون حتى الصباح قبل شروق الشمس .
وكثيراً ما كان يسوع ينتظرون على الساحل ويحييهم التجية الأولى
عند بزوغ أنوار الفجر غير ان الصيد لم يكن موفقاً معهم في كل مرة
فاما رجعوا من صيدهم فارغى الايدي متبعين قاطنين استقبلتهم يسوع
 بكلمات عذبة فينعش أفقدتهم ، وكانوا يصغون إلى أقواله بكل لذة
 وحبور على رغم اتعابهم واسهارهم وخبلتهم .

وحدث في أحد الأيام بأكراً جداً ان سفينتين جاءتا الى
 كفرناحوم وكانت يسوع هنالك واقفاً على الشاطئ يعلم الجموع
 المزدحمة حواليه . فانحدر الصيادون من السفينة يصلحون شبакهم .
 حينئذ ركب يسوع احدى السفينتين وسأل ربانها ان يتبعا بعد بالسفينة
 قليلاً عن البر حتى لا يزحمه الشعب ثم وقف على دفة السفينة وطفق
 يعلم الجموع الذين كانوا على الارض . وعندما فرغ من الكلام قال
 لسمعان « تقدم إلى العمق والقوا شباككم للصيد »

فاجابه سمعان بن يونا صاحب السفينة قائلاً : « يا معلم ، انا قد
 تعينا الليل كله ولم نصب شيئاً . ولكن بكلمتك التي الشبكة »
 وما ابعدوا عن الشاطئ قليلاً حتى هب سمعان وأخوه
 اندراؤس والقيا شبكة كبيرة في الماء . وعندما سحبها من الماء
 وجدواها ممتلئة من السمك حتى ان شباكهم كادت تمزق . فشارا
 الاخوان إلى شركائهما الذين في السفينة الأخرى ان يأتوا ويعاونهما

ثم رميا الشبكة أيضاً وسحبها ممتلئة من السمك ثانية . وحينئذ صاح سمعان واندراوس وشركاً وهم باعلى أصواتهم قائلاً : « هذه بالحقيقة عجيبة نادرة ! » اما سمعان الشديد التأثر بطبيعته فانه خرّ عند ركبتي يسوع صارخاً : « اخرج عني يارب فاني رجل خاطيء ولا أستحق ان يكون معي في سفينتي قدوس » ولكن يسوع ابتسم وقال له « هلمّ ورائي وآمن بكلامي وأنا أجعلك صياداً للناس »

وعندما رجعوا إلى الشاطئ سحبوا السفينة إلى البر وتركا الآخوان شيئاً كهما وتبعاً يسوع . وبعد هذا بضعة أيامرأى يسوع آخرين آخرين : يعقوب ويونا ابني زبدي اللذين كانا شريكيين لسمعان ودعاهما عندما كانوا يصلحان شيئاً كهما ، وهما أيضاً دعا آباهما والرفاق وتركا شيئاً كهما وتبعاه .

لم يبق يسوع وحيداً ، فان أربعة رجال وهم زوجاً أشقاء – وقد صاروا اخوةً في الإيمان – كانوا مستعدين ليتبعوه إلى حيث يشاء ويشاطروه الخبز ويعيدوا كلامه ويطيعوه كأبٍ أو أفضل من أبٍ .

أربعة صيادين فقراء ، أربعة رجال بسطاء من أبناء البحيرة لم يكونوا يعرفون القراءة بل يكادون لا يتكلمون ، أربعة رجال وضعفاء ما كان أحد يميزهم عن سواهم قد دعائم يسوع ليؤسسوا معه مملكة ينبغي أن تختل الأرض كلها دعاهم يسوع إليه وقد ترك أولئك الصيادون سفنهم التي رافقوها فيما مضى من حياتهم وكانت الرفيق

الامين لهم ، وطالما ربوها وأطلقواها في سكينة الاليالي ، وتركوا أيضاً
شباكهم التي طالما أمسكوا بها الوف الالاف من السمك الذي كان
المورد الوحيد لزقهم ، وتركوا أهلهـم ، وبيوتهـم ، وعيالـهم وكل ما كان
لهم لكي يتبعوا هذا الرجل الذي لم يعدهـم بمال أو عقار ولم يتكلـم قط
الـا عن المحبة والـفقر والـكمـال .

حتـى ولو ان روحـهم التي ظلت دائـماً جـافية غـليظـة أدـنى كـثيرـاً
من روحـ المـعلم ، حتـى ولو انـهم يـشكـون أحـيـاناً ولـم يـفـهمـوا أمـثالـهـ ، حتـى
ولـو بـعد ان تـرـكـوهـ وـهـربـوا فـانـ كلـ ذـلـكـ مـغـتـفـرـ لهمـ لاـقبـاـلـهمـ بـسـلامـةـ
الـسـرـيرـةـ وـصـدـقـ العـزـيمـةـ وـاتـبـاعـهـمـ يـسـوـعـ لـأـولـ دـعـوـةـ سـمـوـهـاـ .

ولـكـنـ تـرـىـ منـ مـنـاـ الـيـوـمـ نـحـنـ الـاحـيـاءـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـقـتـدـيـ
بـفـقـرـاءـ كـفـرـ نـاحـومـ الـاـرـبـعـةـ ؟ـ فـلـوـ جـاءـ نـبـيـ وـقـالـ لـالتـاجـرـ :ـ «ـ اـتـرـكـ مـصـرـفـكـ
وـحـسـابـاتـكـ »ـ وـقـالـ لـلـاسـتـاذـ «ـ اـنـزـلـ عـنـ كـرـسيـكـ وـاحـرـقـ سـائـرـ كـتـبـكـ »ـ
وـقـالـ لـلـوـزـيـرـ «ـ اـتـرـكـ مـحـافـظـكـ وـمـضـابـطـكـ وـكـذـبـاتـكـ »ـ وـلـرـجـلـ العـاـمـلـ
«ـ هـيـ مـعـادـاتـكـ فـانـيـ سـأـعـطـيـكـ عـمـلاـ آـخـرـ »ـ وـلـفـلاحـ «ـ قـفـ فيـ
نـصـفـ ثـلـمـكـ وـارـمـ بـحـرـاثـكـ بـيـنـ التـلـاعـ لـاـنـيـ أـعـدـكـ بـحـصـادـ أـوـفـرـ »ـ
وـلـصـاحـبـ الـمـعـلـ اـغـلـقـ أـبـوـابـ مـصـنـعـكـ وـاتـبـعـيـ لـاـنـ الـرـوـحـ أـثـنـ منـ
الـمـعـادـنـ الـمـيـّـةـ »ـ وـلـاغـنيـ «ـ وـزـعـ أـمـوـالـكـ فـاـمـلـكـ كـنـوزـاـ لـاـ تـحـصـيـ »ـ
لـوـ جـاءـ نـبـيـ وـخـاطـبـنـاـ هـكـذـاـ نـحـنـ الـعـاـشـيـنـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ فـكـمـ رـجـلـ مـنـاـ
يـتـبـعـهـ بـتـلـكـ الـطـهـارـةـ وـالـسـرـعـةـ الـتـيـنـ تـبـعـهـ بـهـمـاـ صـيـادـوـ طـبـرـيـةـ ؟ـ وـلـكـنـ

يسوع لم يقل كلاماً قط للتجار الذين كانوا يحشدون الأموال في الأسواق والخواجية ، ولا للمتعدين الذين كانوا يحفظون الشرعية غيّراً ويتلون على الناس كثيراً من فصوّلها وأياتها من غير أن ينظروا إلى الكتاب . ولم يخاطب الفلاحين الذين التصقت أرواحهم بارضهم وبهائمهم : كلاماً ولا الأغنياء ولا الشبعانيين الذين لا يهتمون بملكوت آخر وقد انتهى إليهم ملكوتهم منذ زمان بعيد .

على أن يسوع لم يختبر تلاميذه الأولين من الصيادين صدقة من غير قصد ، لأن الصياد الذي يقضي أكثر أيامه في سكينة المياه هو الرجل الذي يعرف كيف يتربّص بالأمور ويتخذ لها أهيتها . هو الرجل الصبور الذي لا يتسرّع في أعماله بل يهيئ شبكته بهدوء ويلقي بها في المياه تاركاً التوفيق على الله فللمياه هوها ولابحيرة يومها ، ولذلك فهو لا يعرف متى يعود بشباكة ممتلئة من السمك أو متى يعود فارغ اليدين وليس له ما يعده لعشائه وعشاء عائلته . ولذلك فهو يسلّم أمره ليد الله الذي يعطي أو يمنع ويعزى نفسه في الأيام السوداء بما صرّ عليه من الأيام البيضاء وبما يتوقع أن يراه في المستقبل من التوفيق . هو الرجل الذي لا ينتظر الآراء العاجلة بل يقنع إذا تمكن من صيد مقدار حقير من السمك يبادله بقليل من الخبز والتمر لقوام حياته وحياة عائلته . أجل ، هو النبي بروحه وبجسده . فإنه يغسل جسده بالمياه وروحه بالوحدة والسكينة .

من مثل هؤلاء الصيادين الحقيرين الذين لم يدعهم يسوع إليه
لكانوا قضوا في فقرهم من غير أن يعرف بهم أحد في العالم سوى
جيرانهم وشركائهم ، من أولئك الصيادين الحقيرين قد أقام يسوع
قديسين لا يزال العالم يذكرهم ويستغيث بهم إلى اليوم . فان الرجل
العظيم يصنع في معمل عظمته الروحية رجالاً عظاماً مثلاه، فقد أوجد من
الكسالي المتشقلين بالنوم أنبياء ، ومن الضعفاء جنوداً أشداء أقوباء ،
ومن الشعب الغبي الجاهل معلمين ومرشدين لأن النار تشتعل دائماً
عندما تقلب أحوال الجو إذا اشعلتها يد . فعندما قام داود وجد في
الحال حاجة لنفسه ، وعندما قام أجامنون^(١) وجدرسانه وشارمان^(٢)

(١) في الخرافات اليونانية انه ابن اطريوس: ملك ميسينيا وارغوس وشققي
ماتيلوس، ورئيس جند الاغريق في حصار طروادة. وهو اينها ابو اوريستيس
وافيفينيا والاقطرا .

(٢) هو شارمان العظيم : ملك الفرنجة وامبراطور الغرب ، ولد سنة ٧٤٢
في اكس لاش-ابل وهو ابن باين القيسار وملك الفرنجة ، وهذا ابن شارل
مارتل . وقد تتوج ملكاً على الفرنجة سنة ٧٦٨ عند وفاة أبيه وكان يشاركه
اخوه في الملك حتى سنة ٧٧١ اذ مات اخوه وتفرد بالملك وحده . واول حربه
كانت ضد السكسون الذين كانوا يقطنون بين الواسار والالب ، ولم يتم انتصاره
النام عليهم وادخلهم في المسيحية حتى سنة ٨٠٣ وفيما كان يحارب السكسون
استنصره البابا ادريان ضد ديسيداريوس ملك اللومبارديين فسار شارمان للحال
بحيشه إلى إيطاليا خلع ديسيداريوس وتوج ملكاً على لومبارديا عوضاً عنه .
وكان السعد حليفة في حربه . وفكرة استرجاع الامبراطورية الغربية تتعدد في

أنصاره وأعوانه ، ونابوليون قواده وجنوده . واما يسوع فما دخل العالم حتى وجد بين رجال الجليل رسلاه .

لم يكن يسوع في حاجة إلى حرب فلم يطلب ان يكون تلاميذه رجال حرب أشداء يبطشون باعدائهم ويحتلون الملك . غير انه كان على التلاميذ الذين اختارهم ان يجاهدوا ولكن جهاد الكمال ضد الفجور ، والقداسة ضد الخطيئة ، والصحة ضد المرض ، والروح ضد المادة ، والمستقبل السعيد ضد الماضي العقيم ويعاونوه في حمل رسالته

فـ كـ رـ هـ حـ تـ جـ اـ رـ وـ مـ يـ سـ نـ ئـ ةـ ٨٠٠ لـ مـ سـ اـ عـ دـ ةـ الـ بـ اـ لـ اـ وـ نـ الـ ثـ لـ ثـ فيـ عـ يـ دـ المـ لـ اـ دـ فـ تـ وـ جـ الـ بـ اـ بـ اـ فيـ قـ دـ اـ سـ الـ لـ اـ دـ وـ اـ عـ لـ نـهـ قـ يـ صـ رـ اـ وـ اـ وـ غـ سـ طـ سـ اـ . وـ كـ انـ لـهـ ٣ـ لـ اـ ثـ اـ بـ اـ نـ شـ رـ عـ يـ عـ مـ اـتـ اـ حـ دـ هـ بـ اـ بـ يـ ، وـ ذـ يـ عـ يـ نـهـ مـ لـ كـ اـ عـلـىـ اـ يـ طـ اـ لـ يـ ، سـ نـ ئـ ةـ ٨١٠ وـ مـاتـ بـ عـ دـهـ اـخـوـهـ شـ اـرـ لـ اـ بـ اـنـ الـ اـكـ بـ اـرـ لـ شـ اـرـ لـ اـ مـانـ ، وـ لمـ يـ بـقـ لـهـ الاـ اـ بـ اـنـ الـ ثـ لـ ثـ لـ اوـ يـ سـ فـ عـ يـ نـهـ مـعاـونـاـلـهـ فيـ الـ مـلـكـ . وـ فيـ ٢٨ كـ اـ نـ وـ نـ ئـ ةـ ٨١٤ مـاتـ شـ اـرـ لـ اـ مـانـ بـعـدـ انـ حـ كـ سـ بـ عـةـ وـ اـرـ بـ عـ يـ عـ اـمـاـ وـ قـ بـرـ فيـ اـكـ سـ لـ اـ شـ اـ بـلـ الـ مـديـنـةـ الـ تـيـ كـانـ يـ بـحـيـهاـ وـ يـ تـخـذـهاـ مـرـ كـ زـ اـ حـ كـهـ . وـ كـانـ شـ اـرـ لـ اـ مـانـ صـ دـ يـ قـاـ للـ عـلـومـ وـ الـ مـعـارـفـ وـ هـوـ يـ دـعـيـ بـحـقـ مـعـلـمـ شـ عـبـهـ الـ حـكـيمـ . وـ قـ دـ دـعـاـ اـلـيـهـ اـكـ بـرـ عـلـامـ زـ مـانـهـ وـ جـعـلـ قـصـرـهـ الـ خـاصـ جـامـعـةـ لـعـلـامـ اـوـرـباـ وـ كـانـ يـ بـاحـثـمـ وـ يـ جـالـسـهـمـ كـأـنـهـ اـخـوـهـ وـ اـصـدـفـاؤـهـ . وـ قـدـ اـنـشـأـ المـدارـسـ الـعـدـيـدـةـ فيـ مـدنـ الـمـلـكـةـ . وـ اـدـخـلـ الـعـلـومـ إـلـىـ الـادـيرـةـ . وـ كـانـ يـحـبـ تـعـلـمـ الـلـغـاتـ وـ يـحـسـنـ غـيرـ وـاحـدـةـ مـنـهـ . بـنـيـ مـنـارـةـ فيـ بـولـونـيـهـ ، وـ بـنـيـ موـانـيـءـ عـدـيـدـةـ : وـ عـزـ الزـرـاعـةـ وـ دـوـنـ شـرـائـعـ مـخـلـفـةـ . وـ كـانـتـ مـدـكـتـهـ تـشـمـلـ فـرـنـسـاـ . وـ أـكـثـرـ كـاتـالـونـيـاـ ، وـ نـافـارـاـ وـ اـرـاغـونـ ، وـ بـلـجـيـكاـ ، وـ الـمـانـيـاـ حـتـىـ الـاـلـبـ ، وـ اـيـطـالـيـاـ الـعـلـيـاـ وـ الـوـسـطـىـ وـ اـيـسـتـرـياـ وـ قـسـمـاـ مـنـ سـكـلـافـونـيـاـ . وـ كـانـ وـالـدـاـ صـالـحـاـ وـ زـوـجاـ عـصـوفـاـ وـ صـدـيقـاـ وـ دـوـدـاـ فيـ حـيـاتـهـ الـمـصـوـصـيـةـ . وـ كـانـ مـقـتـصـداـ يـعـيلـ إـلـىـ الـبـسـاطـةـ فـيـ لـابـسـهـ وـ عـادـاتـهـ .

المفرحة للحزاني ، ويطوفوا الموضع التي ما استطاع هو نفسه ، ان
يزيورها وينشروا كلامه وباسمه يواصلوا عمله بعد موته .

الجبل

ان العضة على الجبل هي أقوى الادلة على حق الناس في الحياة ،
على وجود المرء في العالم اللامتناهي . وهي تبريرنا الكافي . وهي
الشهادة لنا بان لنا نفوساً . وهي العربون لنا باننا نستطيع ان نرتفع
ونكون أرفع من البشر . وهي الوعد بهذه الامكانية العليا وبهذا
الرجاء وبهذا الارتفاع .

أجل لو ان ملاكاً هبط علينا من الملائكة وسألنا ما هو
أثمن وأفضل ما نملك وما البرهان على حقيقة وجودنا وما هي الثرة
الفضلى التي أنتجهما الروح — في أوج نبوغها ، فاننا لا نزيره المصانع
الميكانيكية ، ولا الآلات البخارية والزيتية الهائلة التي تقاصر بها عن
جهل وحمامة — وقد جعلت حياتنا أشد استعباداً وأكثر نصباً وتعباً —
لانها مادة في خدمة المادة — بل انما قدم له العضة على الجبل ، وبعد
ذلك ، وبعد ذلك فقط ، نزيره بعض مئات من صفحات مقتطفة من
شعراء جميع الشعوب . ولكن العضة على الجبل هي أبداً الماسة

الفريدة المتألقة سناً ساطعاً والمشرق نوراً صافياً ما بين خبت الزمرد
والياقوت الملوّن .

ولو دعي الناس إلى محكمة عليا غير بشرية وطلب منهم ان
يؤدوا حسابةً للقضاء عن كل ما ارتكبواه من الذنب والنقائص التي
تتكرر في كل يوم على مر العصور ، والمذاجح التي استمرت الوف
الستين ، وكل ما سفكه أبناء العالم من الدماء وهم اخوة بعضهم لبعض ،
وجميع ما اجرى أبناء الانسان من الدموع المنسكبة بالحزن ، وعن
قساوة قلوبنا المتحجرة وعن غدرنا الذي لا مثيل له ، فاننا لا نقدم
لهذه المحكمة حجج الفلسفه وبراهينهم منها سمت حكمتها وتناهت
بالاغتها ودقتها ، ولا نريهم علومنا وفنوننا وهي نظم وعلاجات موقته
باطلة ، ولا شرائعنا القاصرة التي انا وجدت للتحكيم بين الهمجية
والخوف بل كل ما نسطه امام تلك المحكمة العليا للتعويض عمما
اقترفناه من الجرائم والشروع ، والتفكير عن تصلبنا في القعود عن
وفاء ما علينا من الديون ، والدفاع عن تاريخنا الهائل في ستين جيلاً
يقد غمست فيها حياتنا بالدماء ، كل ما نقدمه غفاره لنا عن جميع هذه
جرائم والمخالفات انا هو العضة على الجبل .

من من الناسقرأ هذه العضة ولو مرة واحدة ولم يشعر —
على الاقل في تلك الساعة التي قرأها فيها — بقوة علوية تحرك قلبه
لخير والمحبة ؟ او من يقرأها ولا يشعر بالآلام في حلقه وخفقان في قلبه

تجعله يختليج بعاطفة المحبة والتوبة والشوق إلى العمل الصالح — حتى
ان هذه الكلمات التي قرأها لا تظل حبراً على ورق بل تصير حقيقة
عاملة في حياته وعوضاً عن ان تكون هذه العضة عبارات وأصوات
متقطعة تصبح آمالاً وحياة حالة في قلوب جميع الناس الاحياء ،
وحقيقة خالدة مدى الدهور ؟ من قرأها مررة واحدة ولم يشعر بكل
هذا فانما هو أحوج من كل أحد إلى محبتنا ، لأن محبة جميع أبناء
العالم لو تجمعت معاً لا تستطيع ان تعوض عليه ما خسره .

واما الجبل الذي قعد عليه يسوع عندما تلفظ بعاطفته الخالدة فلم
يكن بعلوّ الجبل الذي أراه الشيطان من قنته ممالك الارض ولم يكن
للنااظر من قنته ان يرى سوى السهل المطمئنة تحت أشعة الشمس
الشفيقية ، والبحيرة المستديرة الساكنة من الجانب الواحد ، وقنة
الكرمل المتعالية من الجانب الثاني حيث ذبح ايليا كهان البعل .
ولكن من تلك التلة الحقيرة التي دعمتها مبالغة المؤرخين بالجبل ، من
تلك التلة الصخرية الصغيرة التي تكاد لا ترتفع عن سطح الارض
الا قليلاً — أرى يسوع الملائكة الذي لا نهاية له ولا حدود .
وكتب على لحم القلوب ، وليس على الحجر كما فعل يهوه — انشودة
الرجل الجديد ، ترنية الظفر بالانتقال إلى ما وراء العالم البشري :
« ما أجمل على الجبال اقدم المبشر بالفرح ، المبشر بالسلام : » فان
اشعيا لم يكن قط نبياً كما كان لما ابنتقت هذه الكلمات من نفسه .

طوبى للمساكين

جلس يسوع على تلّة صغيرة في وسط التلاميذ الاولين تحيط به مئات من العيون المراقبة عينيه بلهفة ومحبة ، فسأله بعض منهم قائلين ، « من هم الذين أعطي لهم ان يرثوا الملائكة السماوي الذي طالما حدثنا عنه ؟ » فاجابهم يسوع بالتطويبات التسع الخالدة : وكثيراً ما كان الناس ، الذين فقدوا رشدهم ، يرفضون التطويبات . بل ان ابناء اليوم قلماً يفهمونها ، فيبترون معانها ، ويقللون من قيمتها ، ويحرّفونها بجهلهم وضلالهم . ومع ذلك فاننا نرى فيها خلاصة تعاليم يسوع في أول يوم من حياته التبشيرية على الارض وما أعظم ذلك اليوم !

« طوبى للمساكين بالروح : فان لهم ملائكة السموات » وقد أورد لوقا الانجيلي هذه الآية بدون الكلمة « بالروح » ، فقد ذلك الكثيرين من الناقدين ، وفي مقدمتهم بعض المحدثين الخبيثاء ، إلى الرعم ان يسوع انما عنى بالمساكين — البلداء والخاطئي الادهان . لأنهم لم يفهموا من هذه الكلمات الا أحداً مرين : الفقر أو البلاهة . ولكن يسوع عندما تلفظ بهذه الكلمات لم يفكر قط لا في الفقر ولا في البلاهة انه لم يكن قط يحب الاغنياء ، وكان يكره من كل نفسه الجشع الى المال الذي انما هو أول عقبة تحول دون غنى

النفس ، وكان يحب الفقراء ويعزى لهم ويقترب منهم لأنهم كانوا احوج من غيرهم الى التدفئة وكان يكلمهم لأن فيهم أيضاً جوعاً الى كلام الحب الصادر من فيه ، لكنه لم يكن من الحق بحيث يحسب انه يكفي المرء ان يكون فقيراً فقراً مادياً ، عالمياً ، اجتماعياً ، ليكون له حق في سعادة ملائكة الله .

ان يسوع لم يعجب قط في حياته بالعقل الذي انا هو فهم النظريات وترديد كلام . فاولئك علماء ما فوق الطبيعة وواضعو المذاهب ، والسفسيطائيون والمتعمقون في درس الوجود والمنقبون في الكتب ما كانوا لينالوا حظوة في عينيه . بيد انه كان يحترم الذكاء والعقل الذي يدرك علام المستقبل ومعاذي الامثال والرسوم — الذكاء النبوى المستنير والقوة النابعة التوّاقة الى الحق وكان يعتقد بأن ذلك عطية صالحة من الله وكثيراً ما حزنت روحه لأن تلاميذه والذين كانوا يصغون الى تعاليه لم يكن لهم كثير من هذه العطية . وكان يعتقد بأن العقل كل العقل انا هو في الاعتقاد بأن العقل وحده غير كاف وأن تجديد النفس كلها ضروري للوصول الى السعادة — فان السعادة هي دائماً قريبة المنال — غير أن العقل هو احدى الوسائل الى هذا التغيير الكلى ولذلك لم يكن له أن يدعوا الى كمال ملائكة الله الاغبياء والخاملين وانما عنى « بالمساكيين بالروح » أولئك الذين يدركون فقرهم الروحي تمام الادراك متبرصين متأملين ، ويتتحققون

أَعْوَجَاعَ مُسَالَكَ نَفُوسِهِمْ ، وَتَنَاهَى كَدَّهُمْ حَقَارَةً مَا فِينَا جَمِيعاً مِنَ الْخَيْرِ
وَالصَّالِحِ ، وَيَنْظُرُونَ بَعِيْدَهُمْ اتِّضَاعَهُمْ إِلَى فَاقْتَنَا الْأَدَبِيَّةِ وَفَقْرَنَا
لِكُلِّ ادْبَرٍ وَكَلَّ . فَإِنَّ الْفَقَرَاءَ الَّذِينَ يَعْرُفُونَ حَقَّ الْعِرْفَةِ أَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
هُمُ الْفَقَرَاءَ الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ لِفَقْرِهِمْ ، وَيَبْذُلُونَ جَهُودَهُمْ لِكَيْ يَتَخلَّصُوا مِنْهُ .
وَمَا بَعْدِهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَنِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُدْعَيْنِ ، الْعُمَيَانِ ، الْمُتَعْجَرَفِينِ ،
الْمُكْتَفِينَ بِمَا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ يَعْرُفُونَهُ ، الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُمْ قَدْ تَمَلَّأُوا
مِنَ الرُّوحِيَّاتِ وَبَلَغُوا حَدَ الْكَمالِ ، وَيَخَالُونَ أَنَّهُمْ يَرْضُونَ اللَّهَ وَالنَّاسَ
بِسَيِّرِهِمْ وَتَصْرِفِهِمْ ، الَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ بِشَوْقٍ يَدْفَعُ بِهِمْ لِلصَّعُودِ إِلَى
الْكَمالِ الْأَعْلَى لِأَنَّهُمْ يَغْرُونَ ذَوَاتِهِمْ بِذَوَاتِهِمْ وَاهْمَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا
ذُرْوَةَ الْكَمالِ فَهُؤُلَاءِ لَنْ يَصِيرُوا أَبْدَأَ أَغْنِيَاءِ لِأَنَّهُمْ جَهَلُوا فَقْرَهُمُ الْعَمِيقِ
أَمَا الَّذِينَ يَقْرُّونَ أَنَّهُمْ فَقَرَاءُ وَيَتَأَلَّمُونَ لِلْحَصُولِ عَلَى الْثَّرَوَةِ الْحَقِيقَيَّةِ الَّتِي
هِيَ الْكَمالُ وَبِالْضَّدِّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَظَاهِرُونَ بِأَنَّهُمْ رَاضُونَ بِحَالِهِمْ وَلَا
يَشْتَمِّونَ أَبْدَأَ رَائِحَةَ الْكَرَاهَةِ الَّتِي تَخْبِئُهَا جَلَابِيبُ كُبَرِيَّاهُمْ وَابْطِيلِهِمْ —
أَوْلَئِكَ لَنْ يَطْأُوا عِتَبَةَ الْمَلَكُوتِ .

طوبى للودعاء

فانهم يرثون الارض

ان الارض الموعود بها في هذه الاية ليست بالتراب والتلاع التي نراها أمام عيوننا، ولا المالك المؤلفة من المدن والمزارع والحقول، بل انما عنى مسيباً بالالية ، «يرثون الارض» انهم سيشتركون في الملكوت الجديد . لأن الجندي الذي يحارب في سبيل الارض المادية يجب ان يكون قاسياً ، ولكن الذي يقيم في أعماقه حرباً في سبيل احتلال الارض الجديدة والسماء الجديدة يجب أن لا يسلم نفسه للغضب الذي هو مستشار الخطيئة ووكيلها ، ولا يستسلم للاقساوة وهي تفي الحبة . واما الودعاء فهم أولئك الذين يعشرون الاشرار والادنياء ولكنهم يصبرون على شرهم ودناءتهم بدعة وسكون ويعاشرون ذاتهم الشريرة — وهي كثيراً ما تكون أسرّ من الاشرار أنفسهم — ولا يثور ثأر غضبهم وهيجانهم عندما يقلب لهم الدهر ظهر المجنّ ، بل يتسلطون على عواطفهم ، ويخضعون أعدائهم القاطنين في أعماقهم بالموا拙ة على السكينة ، التي تظهر قوة النفس أكثر مما تظهرها ثأرة الغضب العقيم والجنون الخالي من الثمرة . وهم أبداً كالماء الناعم تحت اللمس يخلو مكانه لغيره من الاجسام الصلبة ولكنهم يتعالى بسطىء على الحجارة الصلبة فيطاردها بهدوء ويفتقها بسكون على مر العصور.

طوبى للحزانى

طوبى للحزانى فانهم يعزون . الحزانى هم الذين فيهم تفوق من
ذواتهم وشفاق على الناس — الذين يعيشون في غباوة الحياة وحماقتها ،
الذين ي يكون على تعاستهم وتعاسة اخوانهم . الذين يرثون سقوطهم
ويندبون حموتهم ويتبررون على الظلم الذى يحول دون بزوع
النور — لأن النور لا يزغ من السماء على البشر ما لم تعكسه
بصائرهم — الحزانى الذين ي يكون على هذا الخير الذى طالما حلموا
به وأباءهم من قبلهم ، ووعدوا به الوف السنين ولكن لا يزال بعيداً
عنهم بسبب شرورهم وسقطات كل واحد منهم ، الذين ي يكون على
ما أصابهم من الاهانات عوضاً من ان يزيدوا حزنهم بحب الانتقام ،
الذين ي يكون على سقطاتهم وينوحون على الخير الذى كان يجب ان
يفعلوه ولم يفعلوه ، الذين قلما يهتمون لخسارة كنز أرضي منظور ،
ولكنهم يبحثون باهتمام عن الكنز غير المنظور ، الذين ي يكون
فيقربون يوم التوبة بدموعهم ، ولذلك يحق لهم بعدل ان يتذمروا
يوماً ما .

طوبى للجائع والعطاش

إلى البر فانهم يشعرون

أن البر الذي يشير إليه يسوع في هذه التطوية ليس بـ "العلم والخضوع لشرعية البشرية ، والطاعة للأنظمة الموضوعة ، والاحترام للتقاليد والأوضاع المعروفة المقررة . بل إن الرجل البار في لغة صاحب المزامير ولغة الأذنياء والقديسين ، إنما هو ذلك العائش على وفق ميشيّة الله لأن الله هو مثال البر الأعلى . وليس البار بالرجل العائش على وفق تعاليم الشريعة التي وضعها الكتبة في التوراة ، وحرفها مفسرو التلمود ، وحلوا رموزها ، وشوّهها الفريسيون بريائهم وخداعهم ، بل هو العائش على مقتضى الشريعة البسيطة الواحدة التي أوجزها يسوع بهذه الوصية «أحبب جميع الناس البعيدين عنك والقريبين ، والغرباء والمواطنين ، الأحباء والاعداء» ان الذين يجرون ويعطشون إلى هذا البر السماوي سيسشعرون في ملوكوت الله . حتى انهم إذا لم ينجحوا في البلوغ إلى الكمال كله يغفر لهم كثيراً لأجل آلامهم .

طوبى للرحماء

فانهم يرحمون

ان الذي يحب الناس يحبه الناس ، والذى يساعد غيره يساعد
غيره ، وان الشريعة القاضية بمقابلة الشيء بمثله قد تقضها يسوع فيما
خص الشر والانتقام . ولكنها اثبتتها كما كانت فيما خص الخير
والفضيلة . فانا أبداً نرتكب الخطايا والشروع ضد الروح ولكن هذه
الخطايا والشروع ستغفر لنا ان غفرنا نحن أيضاً للناس ، خطاياهم
вшروعهم . فان يسوع قريب من جميع الناس ، وكل ما تفعله بالناس
يفعلونه لهم أيضاً بنا . « كلاماً فعلتموه باحد اخوتي هؤلاء الصغار في
فعلتموه » لانا اذا رحمنا الناس انما نرحم انفسنا ، لأن الله لا يغفر
لنا السيئات التي نفعلها ضد انفسنا مالم نغفر نحن أيضاً للناس سيئاتهم .

طوبى لانقياء القلوب

فانهم يعاينون الله

ان انقياء القلوب هم أولئك الذين لا رغبة لهم في شيء سوى
الكمال ، ولا سعادة بغير الانتصار على الشرير الذي يتربصنا في كل
لحظة لا يقعنا في فخاخه الايام . لأن الرجل الذي ملأ قلبه الرغائب

الشريعة ، والمطامح الارضية واجداد الجسد وكل الشهوات التي يتسرع فيها أو باش البشر لن يرى الله وجهاً لوجه ولن يتذوق حلاوة التمع بمعنى امجاده أبداً .

طوبى لفاعلي السلامة

فانهم أبناء الله يدعون

ان فاعلي السلامة ليسوا هم «الودعاء» في التطوية الثانية الذين يمتنعون عن مقاومة الشر بالشر ، ولكن فاعلي السلامة يفعلون اكثر من ذلك ، فانهم يقاولون الشر بالخير ، ويجدون السلام حينما تضطرم نيران الحرب ، وعندما قال يسوع أنا ما جئت لكي القت سلاماً على الارض بل حرباً ، فهو أنها عنى الحرب ضد الشر والشيطان والعالم الذي هو معركة دائمة ، وبكلمة وحيدة الحرب ضد الحرب وليس ضد السلام . اما فاعلو السلامة فانهم ابطال هذه الحرب ضد الحرب ، هم أولئك الذين يطيبون النفوس المضطربة ، ويسلامون القلوب المتنافرة . فان محبة الذات أصل جميع الحروب ، لأنها تبدأ بالذات ثم تنتقل إلى الثروة والغنى ، فالى الكبراء والعجرفة ، فالى حسد من كان أكثر منها ثروة . واخيراً تؤدي إلى البعض الرائع لكل من كان له رغائب كرغائبها ومنازع كمنازعها ، ولكن

الشريعة الجديدة إنما جاءت لكي تعلم الانسان ان يبغض نفسه ،
ويحتقر العالم المنظور ، ويحب جميع المخلوقات الذين يحبونه والذين
لا يحبونه على السواء . وأن فاعلي السلامه الذين يعلمون ويعملون
بهذه الحبّة يضعون الفاس على أصل شجرة الحروب فيستأصلونها فمـى
احب كل انسان اخوانه البشر أكثر مما يحب ذاته فان الحروب
تبطل ، الحقيرة منها والكبيرة ، الاهلية وغير الاهلية ، سوء
كانت بالاقوال أو بالمدافع ، بين انسان وانسان أو بين قبيلة وقبيلة ،
أو بين شعب وشعب فيكون صانعوا السلام قد بسطوا السلام
على الارض ، ويدعون بحق بنى الله العلي ، ويكونون في مقدمة
لداخلين الى ملکوته السماوي .

طوبى للمخطهدين

من أجل البر فان لهم ملکوت السماوات

اني ارسلكم ياتلاميذي لكي تؤسسوا هذا الملكوت ، ملکوت
السماوات ملکوت ذلك البر السماوي الذي هو الحبّة ، ملکوت
ذلك الصلاح الابوي الذي هو الله ، اني ارسلكم لكي تحاربوا
انصار الظلم وخدام المادة المنخرطين في خدمة المجرّب الرجيم . وأنهم
سيدافعون عن أنفسهم عندما تحاربونهم ، ولذلك سيفطهونكم

في سبيل المحافظة على شرورهم . وسيعدبون أجسادكم . ويصلبون
نفوسكم ، ويسلبونكم حريةكم وحياتكم ، غير انكم اذا قبلتم هذه
الاضطهادات بفرح لتحملوا ، الى الغير ، البر والعدل فان هذه
الاضطهادات تكون لكم حجة لا تقبل النقض للدخول الى غبطة
الملائكة الذي انشأتموه بكل ما بلغت اليه قوتكم .

طوباكم اذا عيروكم

واضطهدوكم وقلوا عليكم كل كلمة سوء كاذبين من اجل

افرحاوا وابتهجوا فان اجركم عظيم في السماوات :

لأنهم هكذا طردوا الانبياء من قبلكم

الاضطهاد أمر مادي ، جسدياً يكون وشرعياً وسياسياً ، فان
المضطهدين يستطيعون ان يحبسوا عنكم الخبز ونور الشمس ، والحرية
الاهية ويستطيعوا ان يسحقوا عظامكم ، لكن الاضطهاد لم يتم بعد
فاستعدوا للثلب والاهانة والتغيير فالناس المتمردون في حماة الحيوانية
والصمدون على ان لا يخرجوا منها لا يكتفون بالحكم عليكم لأنكم
تريدون ان تجعلوا منهم قديسين : لا يكتفون بتزييق أجسامكم .
بل انهم يهاجمون نفوسكم : يتهمونكم بكل عيب ونقصة ،

ويرجونكم بالغيرة والاغتياب ، فيراكم الخنازير انكم قدرون ، والخمير انكم جاهلون ، والغربان تهتمكم بانكم تنهشون الجيف المنتنة والتيس ستطردكم من مجالسها بحجة أن رأحتكم كريهة ، وأبناء الفجور والدعارة . والاصوص سيتهمنكم بالسرقة والتعدي ، ولكن يجب أن تفرحوا دائمًا عالين أن الاهانة التي تأتكم من الاشرار والناقدين إنما هي الشهادة بصلاحكم وكالكم ، والاقدار التي يلقىها عليكم القدر ومتبنجوهم لهي البرهان القاطع على طهارتكم وتقاوتكم هذا هو « الفرح الكامل » كما سماه القديس فرنسيس ^(١) « وبين جميع النعم التي منحها يسوع اصدقاء قد أعطائهم نعمة التسلط على الذات ، واحتمال الضرر والعار والآلام والحزن بصبر وفرح ، فإن جميع المواعيد الإلهية الأخرى ليس لنا أن نفاخر بها ، لأنها لم تصدر

(١) هو مؤسس رهبنة الفرنسيسكان ولد في بلدة اسيزي في اومبريا سنة ١١٨٢ ومات فيها سنة ١٢٢٦ ولم يكن في حداثة سن متفقًا ، ولكن بعد داء عضال الم به هاجر العالم وملذاته وترك بيت أبيه وامه : وفي سنة ١٢٠٨ نذر على نفسه العفة والفقير الاختياري الكامل . ولم تمر عليه مدة طويلة حتى كثرا اتباعه فوضع لهم نظاما للحياة النسكية صدق عليه البابا انوسانت سنة ١٢١٠ . وفي سنة ١٢١٢ قدم له البندكتيون كنيسة قرب بلدته اسيزي فاتخذها مركزا لرهبنته . وحصل بعد ذلك على منشور رسولي من البابا اونوريوس الثالث يثبت الرهبنة الفرنسية كرهبنة نظامية في الكنيسة الرومانية . وقد قضى حياته عملا في سبيل الخير الانساني . وبعد موته بعامين قرر البابا غريغوريوس التاسع وجمعه المقدس تقديسه . ورتبت الكنيسة عيده في الرابع من شهر تشرين الاول .

من قلوبنا بل انما صدرت من الله ، ولكننا نستطيع ان نفخر باحزاننا وبضيقاتنا لانها لينا » . ان جميع الانبياء من قبل قد عيّرهم الناس واضطهدوهم ، وسيعيّرون كلنبي يأتي فيما بعد الى العالم ويضطهدونه . واننا لنستطيع ان نعرف النبي من هذا : فهـى مرّ رماه الناس بالاوحال واتبعوه بالشـم والتـعـير لكن وجهـه يـشـرق غـبـطة وجـبـورأـو يـخـاطـبـ الناس بمـثـلـ ماـ فيـ قـلـبـهـ . انـ الـوـحـلـ لـنـ يـسـدـ شـفـاهـ الـذـينـ عـلـيـهـمـ انـ يـتـكـلـمـواـ . حتى ان الناس لن يـسـكتـواـ هـذـاـ الرـجـلـ المـزـعـجـ العـزـمـ — ولو قـتـلوـهـ — فـانـ صـوـتهـ يـتـضـاعـفـ بـاصـدـاءـ الـمـوـتـ وـيـرـنـ بـكـلـ الـلـغـاتـ وـفيـ كـلـ الـازـمـانـ .

ان رجال المـلـكـوتـ قد عـبـئـواـ وـأـعـلـنـواـ لـاجـمـيعـ . وـفـيـ وـسـعـ كـلـ اـنـسـانـ اـنـ يـعـرـفـهـمـ فـالـمـتـمـرـدـونـ الـخـارـجـونـ قدـ اـنـدـرـواـ وـالـجـبـنـاءـ شـجـعـواـ اـمـاـ الـاـغـبـيـاءـ ، وـالـمـتـكـبـرـونـ ، وـالـمـكـتـفـونـ بـاـنـقـسـهـمـ وـالـظـالـمـونـ ، وـالـقـسـةـ ، وـالـذـينـ يـحـبـونـ الـحـربـ وـالـقـتـلـ وـالـشـرـ ، وـالـمـعـيـرـونـ ، وـالـذـينـ لـاـ يـجـوـعـونـ وـيـعـطـشـونـ إـلـىـ الـكـمـالـ ، وـالـاضـطـهـدـونـ ، وـالـذـينـ يـنـتـهـكـونـ الـحـرـماتـ فـاـنـهـمـ لـنـ يـدـخـلـوـاـ مـلـكـوتـ السـمـاـوـاتـ مـاـ لـمـ يـسـتـعـبـلـوـاـ شـهـرـاـتـهـمـ وـعـوـاـطـفـهـمـ ، وـيـغـيـرـواـ طـبـائـعـ تـفـوـصـهـمـ ، وـيـصـيـرـواـ عـكـسـ مـاـ هـمـ عـلـيـهـ : وـاـمـاـ الـذـينـ يـعـيـشـونـ عـلـىـ وـفـقـ ماـ تـطـلـبـهـ سـعـادـةـ هـذـاـ الـعـالـمـ الـذـيـ يـحـسـدـهـمـ وـيـتـبـعـهـمـ وـيـعـجـبـ بـهـمـ فـاـنـمـاـ هـمـ أـبـعـدـ عـنـ السـعـادـةـ الـحـقـ مـنـ الـذـينـ يـحـتـقـرـهـمـ الـعـالـمـ وـيـغـضـهـمـ . بـمـثـلـ الـكـلـمـاتـ الـاـولـىـ الـمـفـرـحةـ قدـ قـلـبـ

يسوع أنظمة العالم وتقاليده ظهراً البطن كما انه سينضرب فيما بعد بجوهر الحياة البشرية عرض الحائط ، ولن ترى البشرية وحياناً تملأه الالغاز والرموز الالهية كوحيه الى الابد .

الاحجية الالهية

المتصوفون العرابة العوراة ، والخصيان والمتطفلون الخرون اتباع ساون ، والمراد بهم رجال متفحرون يقبلون على شيء بعد اتمامه ، لا ليعدوا صنعه بل ليتحدثوا فيه من جديد ويفسدوه ، قد نظروا دائماً بعين العداء والتتجهم الى ما يسمونه « بدعة » (١) ولكي يتحرزوا من عناء التمييز بين « البدع المقدسة » وبين النكت الحمقاء التي تقدف بها العقول المشوشة يتخلصون الى القول : ان كل « بدعة » انما هي هدم لحقيقة قديمة معروفة . إذن هي كذب — ولكي يقطعوا أجنحة التصلف يقولون : انها كذب سهل : لأن الصعب عليهم ، على ما يظهر ، هو أن يسيروا على السبيل المؤدية ويهجئوا سطراً سطراً ما كتبه ، قبل ولادتهم ، رجال ما تخلقوا قط بأخلاقهم وطبائعهم المسترخية .

(١) ترجمة الكلمة PARADOXE الفرنجية ومعناها الرأي أو القول البديع

المغاير للرأي الشائع اليوم .

لو شاق هؤلاء الشيوخ المؤيدون « ما قيل » ، النافعين بكونهم
مستو دعي التقليد ، والضارين بكونهم حوائل دون الجديد — لو
شاقهم ان يستخرجوا من أعمق ذاكرتهم المتبللة ، تلك الآراء
والافكار النادرة التي بها تحيى ، أو بالاحرى — تتحضر « الفكرة
الخدية » (لأنه إذا كانت الحالات القصصية ، على زعم غوزي ،
ست وثلاثون فان الحالات الفلسفية لا تتجاوز الاربع والعشرين)
لا دركوا — يا للعار ! — انها كلها — أو تقربياً كلها ،
هدم وبدع .

ان روسو حين يقول : ان الناس يولدون اختياراً لكن المجتمع
البشري يجعلهم أشراراً ، فهو انما ينقض قضية الخطيئة الاصلية
المقبولة ومتخيل « الارتقاء » حين يؤكد ان الافضل يتولد من
الاردا ، والدرويني (١) ان المركب من البسيط ، والموحد ، « يونيست »
ان كل الانواع والمتذوعات انما هي مظاهر عن « الفرد » والمركسي (٢)

(١) الدارويني : واحد القائلين بذهب شارل داروين (١٨٠٩ — ١٨٨٢) الطبيعي الانكليزي الذي علم بنشوء الاحياء التدرججي من اصول
واحدة بسيطة ويعرف مذهبه بذهب النشوء والارقاء .

(٢) المركسي : واحد القائلين بذهب كارل ماركس الاشتراكي الالماني.
المشهور ولد في سنة ١٨١٨ ودرس الشرعية والفلسفة في برلين . وقد استغل
في الصحافة حتى عام ١٨٤٤ عندما اقفلت الحكومة جريدة فسافر الى باريس
حيث عاون بعض معارفه من الصحفيين الالمان في جرائهم . ييد انه اضطر

ان العلم الاقتصادي يولد الرقي الروحي ، والعلماء المحدثون حين يؤيدون ويشتتون ان الانسان ليس « قطب العالم » كاساد الاعتقاد دائمًا من قبل - بل هو جنس حيواني صغير على احدى الگرات غير المحسورة المتبعثرة في الانهاية والبروتستانت حين يصيحون : « التوراة لا البابا . » والثوار الفرنسيون : « ان عامة الشعب ليست شيئاً ويجب ان تكون كل شيء » ترى ماذا فعلوا جميعهم الا انهم تقضوا الآراء القديمة المعروفة ؟

لكن يسوع هو اعظم من تقض ودّه من بين جميع هؤلاء بل هو « المبدع » الاعلى وفي هذا عظمته ! وجدته الخالدة وشبابه ، والسر الوحد الذي كان ولا يزال يجذب كل ذي قلب كبير عاجلاً أو آجلاً الى انجيله .

فقد تجسد لكي ينشل الناس من الشر والضلال ، ورأى الشر والضلال فكيف لا يهدم مبادئ العالم ؟

اقرأ العظة على الجبل تر في كل سطر من سطورها ان يسوع

اضطربه أن يهرب من باريس الى بروسل في سنة ١٨٤٨ وهنالك انتخب رئيساً للجنة المركزية للحزب الاشتراكي . وفي السنة نفسها سعى ان يعيد جريدة الاولى « رينيش زيتونغ » في كولونيه فلم يفلح فانتقل الى لندن في سنة ١٨٤٩ وفي سنة ١٨٦٢ انشأ (الاينترناسيونال) و لكنه اضطر ان يسافر الى نيويورك في سنة ١٨٧٢ عندما قاد الحزب المتطرف . وفي سنة ١٨٨٣ توفي بعد ان ترك للاشتراكيين كتابه الكبير ، الذي يحسبونه كتابهم المقدس « رأس المال »

يريد أن يصير الوضع رفيعاً ، والأخير أولاً ، والحقير موضوع
أكرامنا واحترامنا . والحقيقة القديمة أنها هي ضلال والحياة العامة
فساد وموت .

وقد أجاب عن رغائب الماضي الغارق في آلام نزعه الأخير ،
والطبيعة البشرية الامارة بالسوء ، وما أسهل الاتقاد إليها ، والعقائد
العالمية العامة الشاملة ، بذلك السلب الراسخ في تاريخ الإنسانية
قائلاً — كلا ! كلا !

فقد برهن بذلك على أخلاصه لابناء جنسه الذي لم يعدم في
أحرب ساعات سقوطه من قوة تحيي آماله الميتة . ذلك الجنس الذي —
بالرغم من انه كان مكبلاً بقيود العبودية — فقد كان يحلم بالتساط
على بقية الامم والشعوب بمساعدة ابن داود . ذلك الشعب المحتضر
الذليل الذي كان يشعر بان المجد قد أعد له بناء على الوعود القديمة ،
ذلك الشعب الذي طالما أدى به الرب وحكم عليه بالقصاص ، ولكنه
كان يعتقد بأنه أحب الشعوب على قلبه ، ذلك الشعب الذي بالرغم
من انه كان يتمزّع في حمأة الشر والرذيلة فقد كان يعتقد بان الخلاص
قد أعد له دون سائر الامم والشعوب . ان هذه الروح الرجعية السخيفية
التي كانت تتحرك في أعماق ضمائر العبرانيين قد تحولت في يسوع
إلى قوة تقّادة لكل ذي قيمة ، ولما كان بلا هوته فائقاً للطبيعة لذلك

كُوِّنت في ذهنه مثلاً أهيأً جديداً لسائر النُّظم والشَّرائع التي سار
عليها البشر واحترموها منذ ذلك الحين.

ان اكتشاف يسوع الاول والصامت انما هو بذاته اكتشاف
بودا^(١) : الناس كلهم تاعسون - منها تكن الظواهر . وقد اشار
الحكيم سيدهارتا بالانتخار رجاء التخلص من آلام الحياة وتعسرها

(١) بودا : هو احْكَم حَكَماءِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى ، غُوتاما بودا «الْحَكِيم» او (المستير) مؤسس الديانة البوذية . وقد ولد في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد . أما اسمه الشخصي فكان سيدهارتا واسم عائلته كان غوتاما . وكثيرا ما يدعوه المؤرخون ساكيا موني («ساكيا» اسم قبيلة ، و «موني» كاتمة سنسكريتية معناها الحكيم ») كان ابوه ملكا على قيليفاستو ، وهي تبعد مسيرة بضعة أيام عن باناريس . اما سيدهارتا فكان الحب المجرد للإنسانية يعلو قلبه ، ولذلك ترك قصر ابيه وعاش في وحدة البرية حتى بلغ بتأملاته العميقه الى اعمق اسرار الحياة وصار بودا حقيقة . (وكلمة بودا تعني الحكيم او المستير) فنشرع اذ ذلك ينشر تعاليمه المعارضه ل تعاليم البرهيميه التي كانت منتشرة في باناريس . وفي مقدمة اتباعه والمصدقين لدعوته كان ملكا مفادها و كوسلا ، وبعد قضي حياته في مملكتيهما محترما مكرماً أمينا على حياته وتعليمه . وخلاصة تعاليمه ان نيرافانا ، او الراحة المطلقة من الوجود ، هي متنهي الصلاح . وان الالم لا يفارق الوجود ، ولا خلاص منه الا عن طريق نيرافانا ، ولو كي بلغ النيرافانا يجب ان نكسبح جاح اهواننا ونسلط على رغباتنا ونذكر ذواتنا الى اخر ما تصل اليه قوتنا ، ونسى كل واحد شخصيته كأنه غير موجود وموجود في وقت واحد . وقد قضت الديانة البوذية على الفروقات الجنسية . ولكن الطهارة التي وافقتها في نشأتها فارقتها فيما بعد اذ خلط اتباعها المبادئ الصالحة التي علم بها بودا بشخصيته ، فانزلوه منزلة تعاليمه واقاموا لهم أصناما تمثله ليعبدوها .

واما يسوع فقد كان له رجاء آخر ولعظم سموه بان بمحظه المستحيل .
فقد علّم بان الناس تعساء لأنهم لم يهتدوا الى الحياة الحقيقة .
فليصيروا عكس ما هم الآن وليعملوا عكس ما عملوا ويبدا لهم على
هذه الارض عيد الفرح والسعادة .

كان الناس حتى زمن يسوع يسترشدون الطبيعة ويستسلمون
لغرائزهم واتخذوا لأنفسهم شرائع سطحية موقته وناقصة ، وعبدوا آلهة
كاذبة ، وزعموا انهم وجدوا السعادة في الجن واللحم ، والذهب ،
والسلطة ، والقسوة ، والحكمة ، والفنون ، ولكنهم انما اججو الشر
فيهم . وما ذلك الا لأنهم ضلوا سوء السبيل فيجب عليهم ان يعودوا
ادراجهم نابذين ما يبذلو لهم جميلاً وصالحاً ، ومتمسكين بما رفضوه
ونبذوه ، أجل ، بل يجب ان يبعدوا ما حرقوا وان يحرقوا ما عبدوا ،
ويسلطوا على غرائزهم الحيوانية عوضاً من ان يستسلموا لرغباتها ،
ويحاربوا طبيعتهم عوضاً من ان يسبعوا ملذاتها . ويتخذوا لأنفسهم
شريعة جديدة يعيشون على وفق نصوصها فان ما كنا نطلب به قد فر
منا حتى الان إذن لم يبق لنا الا أن تقلب الحياة الحاضرة أعني أن
تغير أنفسنا .

فإن شقاءه الدائم برهان على ان تجارب العالم القديم واختباراته
في سبيل الوصول إلى السعادة قد فشلت ولم تأت بثمرة ، وان الطبيعة
من ألد أعدائنا ، وان الماضي ممتلىء من الاغلاط والضلال ، وان

حياتنا كحيوانات تقوى ناراً إلينا الحيوانية إلى حيث ندري ولا ندري
وليس لنا من الإنسان سوى الوجه والسان ، ليست سوى مأساة
نهايتها الشقاء والقنوط .

واما الذين كانوا يضحكون من تعس الإنسان غير المتناهي ، أو
يكونون عليها وينوحون فاما هم من ذوي العقول النيرة والبصائر
الثاقبه ، بل ان المتشائمين محقون فيما يدعون . لانه كيف يمكننا إذ
ذلك ان ندحض بالدليل والبرهان ، حجة أولئك الذين يتهمنون
افتخارنا ، والذين يسخرون من ضعفنا والذين يحتقرن خزينا وعارضنا ؟
فإن الذي لم يولـ لـ كـيـ يـتـلـوـيـ عـلـىـ كـوـمـةـ مـنـ السـوـدـ ،ـ مـزـدرـدـاـ
ما يصيـبـهـ مـنـ الـأـرـضـ ،ـ وـهـوـ يـعـلـمـ أـنـ لـهـ نـفـسـاـ وـقـلـبـاـ كـاـنـ لـهـ مـعـدـةـ
وـيـدـيـنـ ،ـ ذـلـكـ الرـجـلـ الـذـيـ تـسـامـتـ نـفـسـهـ وـعـلـتـ عـوـاطـفـهـ بـالـحـزـنـ
وـالـشـقـاءـ يـشـعـرـ مـضـطـرـاـ فـيـ أـعـمـاقـ قـلـبـهـ بـهـولـ الشـرـ عـلـىـ أـنـ هـذـاـ الـهـوـلـ
يـتـحـولـ فـيـ ذـوـيـ الـطـبـائـعـ الـغـلـيـظـةـ الـقـاسـيـهـ إـلـىـ كـرـهـ وـنـفـورـ ،ـ وـلـكـنـهـ
يـنـقـلـبـ فـيـ النـفـوسـ الشـرـيـفـةـ السـكـرـيمـةـ إـلـىـ رـحـمـةـ وـمـحبـةـ .

بعد ما أضعاع ليوباردي (١) وربما كان ذلك بسبب المسيحيين

(١) ليوباردي : شاعر وعالم ايطالي مشهور، ولد سنة ١٧٩٨ وقد درس
العلم على نفسه ، وفي اواخر عمره كتب تاريخ علم الفلك ، وعرب حياة بلوتينوس
البروفيري ، واضاف اليها حواشی حكيمه دلت على واسع عالمه ووافر اطلاعه .
وعرب الى الشعر الايطالي « حزب الصداع والجرذان » وبعض منظومات
الاوديسيه . وشرح باترارخ . وكتب مقالاً مسهباً شرح فيه اغلاط القدماء وطبعه

غير الكاملين الذين أحاطوا به — حبّ المسيح وذابت نفسه يائساً
تفلسف واستنتاج قائلاً : سأم كلها الحياة ومر ، من يتجرأ ويقول
له : « صه يا مسكين ! الا تشعر ان المراة ناتجة من الاسفنت الذي
ما يزال عالقاً بشفتيك وانك أنت الملوم على يأسك إذ أحرقت ، على
حجر منطقك الجهنمي ، تلك العواطف التي قد كانت تسعد حياتك ،
أو على الأقل ، تجعلها محمولة مقبولة »

كلا لم يكن ليوباردي مخطئا ، لأنك عندما ترى الناس على ما
هم عليه من الضلال ، ولا أمل لك في خلاصهم أو تغييرهم ، وترى
انك لا تستطيع ان تعيش مثلهم لأنك تختلف عنهم كثيراً ، وليس
في وسعك ان تحبهم لأنك تعتقد بأنه قد قضى عليهم أن يظلوا أشراراً
تعساء سرداً ، وعندما تشعر بان الهراء ستكون دائماً بهائم ، والجبناء
دائماً جبناء ، والادنياء أدنياء ، والاشرار أشراراً أبداً يتمرغون في حماءات
قذارتهم وشرورهم ، فاي شيء تستطيع أن تعمل سوى أن تشير على قلبك
بالسکوت وانتظار الموت ؟ على ان امامنا سوء الا واحداً : هل الناس
بطبيعتهم غير قابلين للتغيير ولا للتجدد ، وهل نحن قادرون أن

سنة ١٨١٥ وقد رفعه منظوماته التي نشرها بين عامي ١٨١٨ و ١٨٢٠ الى
مصحف اكبر شعراء ايطاليا وقد قضى حياته مريضاً ينتقل من رومية الى ميلان
الى بولونيا الى فلورانسا ، وفي سنة ١٨٣٣ انتقل الى نابولي حيث انتقل الى
رحمة ربه في الرابع عشر من شهر حزيران سنة ١٨٣٧ .

يجعلهم أفضـل مـا هـم؟ أو من الوجهـة الثـانية: هل يـقدر البـشر أن يـسمـوا البـشـرـية ويـصـيرـوا قـديـسـين وـآلهـة؟ أـجلـ، انـ الجـوابـ عنـ هـذـينـ السـوـءـالـيـنـ لـفـيـ غـايـةـ الـاـهـمـيـةـ، انـ اـعـاظـمـ الرـجـالـ قـلـماـ اـسـتـوـعـبـواـ القـضـيـةـ ذاتـ الـحـدـيـنـ. فـقـدـ اـعـتـقـدـ الـكـثـيـرـوـنـ وـمـاـ زـالـوـ يـعـقـدـوـنـ انـ شـكـلـ الحـيـاةـ الـظـاهـرـ وـحـدـهـ يـمـكـنـ انـ يـتـغـيـرـ وـانـ كـلـ شـيـءـ مـسـطـطـاعـ لـهـ الاـ تـبـدـيلـ طـبـيـعـةـ روـحـهـ.

وـانـ الـاـنـسـانـ يـسـتـطـعـ انـ يـوـسـعـ سـيـادـتـهـ عـلـىـ الـعـالـمـ وـيـزـيدـ ثـرـوـتـهـ وـعـلـمـهـ وـلـكـنـهـ لـاـ يـسـتـطـعـ انـ يـغـيـرـ كـيـانـهـ الـادـيـيـ. فـتـظـلـ عـوـاطـفـهـ وـغـرـائـزـ الـفـطـرـيـةـ أـبـدـاـ كـمـاـ كـانـ فـيـ سـكـانـ الـكـهـوفـ الـمـتوـحـشـينـ، وـفـيـ أـبـنـاءـ الـأـجـيـالـ الـخـالـيـةـ الـذـيـنـ اـقـامـوـاـ الـمـدـنـ عـلـىـ شـوـاطـئـ الـبـحـيرـاتـ، وـفـيـ الـبـراـبـرـةـ الـأـوـلـيـنـ وـفـيـ الـمـالـكـيـةـ الـقـدـيمـةـ.

وـغـيـرـهـمـ يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ الـاـنـسـانـ مـنـذـ نـشـأـتـهـ إـلـىـ الـاـنـ نـظـرـةـ لـاـ تـقـلـ هـوـلـاـعـنـ نـظـرـةـ هـؤـلـاءـ، وـلـكـنـهـمـ قـبـلـ أـنـ يـتـطـوـحـوـاـ فـيـ الـيـأسـ وـالـقـنـوـطـ، وـيـتـمـرـغـوـاـ فـيـ حـمـاءـ الـكـفـرـ وـالـلـحـادـ، يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ الـاـنـسـانـ كـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـوـنـ. فـإـنـهـمـ يـؤـمـنـوـنـ إـيمـانـاـًـ رـاسـخـاـًـ بـتـحـسـنـ النـفـوسـ وـتـكـمـلـهـاـ لـتـهـيـةـ السـعـادـةـ لـاـخـوـانـهـمـ النـاسـ.

وـأـمـاـ الرـجـلـ كـلـ الرـجـلـ فـلـيـسـ اـمـامـهـ الـأـحـدـ اـمـرـيـنـ: الـكـآـبـةـ السـوـدـاءـ أـوـ الـإـيمـانـ الـثـابـتـ الصـرـيحـ، المـوتـ أـوـ الـخـلاـصـ. لـاـنـ الـمـاضـيـ

هائل مخيف ، والماضي كريه ، فلنبدل حياتنا كلها ونقدم كل ما في
قلوبنا من قوة ومحبة وفهم لكي يجعل الغد أفضل من اليوم ، فنهيء
الطريق لجعل مستقبلنا سعيداً . و اذا كنا حتى الان قد خدعنا -
وشقاونا الدليل — فلنعمل خلقاً جديداً وحياة جديدة .
وهنا هنا النور !

فإن أمامنا أمران لا ثالث لهما وفي استطاعتنا الحصول على أيهما
شئنا . فال الأول أن ^{تُمْسِك} بحياتنا يحرمنا نيل السعادة الابدية .
والثاني إننا لا نستطيع أن نحصل على السعادة الخالدة ما لم ندفع
ثمنها — كما عالم يسوع بملء الصراحة — بتغيير منهاج حياتنا ،
وتحجيم طبائع نفوسنا ، والخروج عن القديم البالي إلى الجديد المتجدد
للمعرفة والحق ، وبان نجيب دائم « بلا » المقدسة عن (نعم) العالم
الشريرة . أما اذا كان المسيح قد غلط في تعاليه فلا يبقى لنا إلا
الجحود لمنطق الشامل والحاد ، والإيمان بلا شيء . فاما الكفر
الكامل والجحود الشديد وليس التشاؤم عن رباء وتدجيل كما
يفعل أبناء اليوم الجبناء — واما الإيمان الحي الفعال باليسوع الذي
ينخلص ويبعث بالحب .

قد قيل

التاريخ البشري تاريخ تعلم : تاريخ حرب بين العدد القليل ،
القوي بالروح ، وبين العدد ^{الكثير} القوي بالرجال . هو تاريخ
تهذيب يتجدد دائمًا ، تاريخ تربية ، صعبية قاسية ينفر منها القلب
ويتقزز ، تعاد عليه ويتناها أبداً .

ان الانبياء الاولين ، والمشترين المقدمين ، وزعماء الامم
الفتية ، والملوك ، مخططي المدن والبلدان ، ومؤيدي العدالة والقانون
والاسيد الحكماء والقديسين الاتقياء قد بدأوا منذ امد بعيد
بترويض الحيوان . فقد استطاعوا بالاقوال والكتابات أن يلطفوا
طبائع البشر - الذئاب ، ويكتبوا جماح البرابرة ، ويهدبوا
الاطفال الملتحين ، ويخففوا قسوة المتوحشين ، ويكسروا حدة
الشرسين والسفاحين . فكانوا يقلّمون الاظافر السامة تارة بحلوة
الكلام ، وطوراً بشدة القصاص والعقاب ، تارة بمواعيد وطوراً
بالتهديد والوعيد ، مرّة باسم الله السماوات العليا ، واخرى باسم
أبالسة الجحيم السفلى و كانوا يضعون اللجم في الافواه ذات الانيات
الحادية ، ويحامون عن الضعفاء والغرباء ، والضحايا من الرجال والنساء
الذين ليس لهم من يدافع عنهم .

الشريعة القديمة التي نراها على قليل من الاختلاف في منافاة

دهار ماساسترا وفي أسفار موسى الخمسة وهي — تاهرون افستا —
و في تقاليد صولون (١) و نوما (٢) وفي اوليات ايسيود (٣) —

(١) صولون هو احد حكماء اليونان السبعة ، ومشتهر اثينا العظيم ، ولد
نحو سنة ٦٤٠ قبل المسيح . وكان واسع الاطلاع كثير الاسفار ولذلك جمع
معارف العالم القديم في رأسه واستطاع ان يقدم لاثينا احكام الشرائع المعروفة في
ذلك العهد . وأفضل شرائمه قضاوته على العادة التي كان يحقق بوجبه للدائين أن
يستعبد مدعيونه مقابل الدين الذي يعجز عن دفعه له . وبعد ان فرغ من وضع
شرائمه جمع الاثيبيين فاقسموا له ان لا يغروا الشرائع مدة عشر سنوات . اما
هو فسافر في الحال الى مصر وقبرص وبلدان اخرى لكي يتجنّب البحث في تغيير
تلك الشرائع في المدة المضروبة . وعند عودته بعد عشر سنوات رأى البلاد
منتقسة والشريعة مدوسة تحت اقدام الاحزاب المتضاربة المتخاصمة ، ولكن
الجميع قبلوا ان يكون صولون حكما بينهم . ولكن صولون لم يقبل التحكيم لانه
عرف ان البلاد ستؤول الى قبضة فيسيستراتوس الطاغية فترك اثينا — ويقال
انه مات في الثمانين من عمره .

(٢) نوما بوميليوس : هو الملك الثاني لروميا . ويقال انه ملك من سنة
٧١٤ الى ٦٧٢ قبل المسيح وقد امتاز بمحبته للفلسفة والشريعة ، ييد ان حياته
ووجوده اقرب الى الحرفاة منها الى الحقيقة . وكان الرومـان ينظرون اليه
مؤسس لاسمى نظمهم وشرائمه الدينية ، وقد ترك كتابات عديدة توضح نظام
الحكم في ايام ملـكه ولكن مجلس الشيوخ الروماني امر بحرقها خرقت حملـا
ووجدت سنة ٢٧٢ قبل الميلاد .

(٣) ايسيود : من مشاهير شعراء اليونان في القرن الثامن قبل الميلاد .
ولا نعرف الا القليل من حياته . وقد صاعت اكثـر كتاباته ولم يبق منها سوى
كتاب المدعو « ثيوجونيهـا » وهو مجموعة قصص خرافية من اعمال الالهة

والحكماء السبعة كانت مع ما فيها من النقص والقسوة والقصور أول خطوة لينتقلوا من الحيوانية الساقطة ، ظلاً أو مبدأ أو صورة ضئيلة للبشرية .

وقد انحصرت هذه الشريعة بعض تحريرات أوليه تلخص فيما يأتي : لا تسرق ، لا تقتل ، لا تحلف باطلًا ، لا تزن ، لا تستبد بالضعف ، لا تعامل الغرباء والعبيد بالقسوة والعنف ، تلك قواعد ونواهٍ ضرورية جدًا لقيام حياة الجماعة وصلاحها . وقد أكتفى المشرع بتقليل عدد الجرائم والمخالفات المألوفة كثيراً وارتضى بالقليل القليل من النواهي وقلما زاه يتحطى بفكرة إلى العدد المناسب .

لكن الشريعة تفرض وجود سلطان الشر وسيادة الغريرة الكائنة قبل الشريعة والعاملة في كل حين فالوصية تتضمن المخالفة والقاعدة تحتوي على الشذوذ . ولذلك فالشريعة القديمة الشريعة الأولى ما هي إلا سد ناقص ليحول دون « الحيواني » الدائم الظافر فهي مجموعة من اراء المحكمين ووسائل ناقصة بين العادة والعدالة ، بين الطبيعة والعقل ، بين الحيوان الجامح والمثال الاهلي .

على أن أبناء الاجيال الغابرة الجسدانيين ، الطبيعيين ، الصناعيين

وانسابها ، و « حرابة هرقل » وهو قسم من كتاب كبير ، ومنظومة شعرية وكتاب « الاعمال وال ايام » وهو كتاب يبحث في الزراعة وفي الايام المشوهة والايام الصالحة ، وفيه حقائق مختلفة في التهذيب والاقتصاد وغير ذلك .

الشهوانين ، الاشداء ، السفاحين ، الاجلاف ، الاقوياء ،
الشعرين ، الحمر الوجوه ، اكلة الاحم البشري ، مقرعي العذاري و
لصوص المواشي ، المشنعين باعدائهم الذين يستحقوا أن يلقبوا
« بقاتلي البشر » كا لقب هكطور (١) الطروادي المخاربين ،
الشرهين ، الفرسان البسل الذين كانوا يدوسون اعدائهم ومقواهم بهم
بسنابك خيولهم ثم يتنعمون بشواكل البقر والغنم ويشربون الحمور
بالطاسات الواسعة ، ان اولئك البرابرة الذين قلما كانت تؤثر
الشريعة في نفوسهم كما نراهم في المaha بهارتا (٢) وفي

(١) هكطور : هو ابن الملك فريام ، وأفسس فيسان الطرواديين الذين
حاربوا الاغريق . تزوج اندروماخ وولد له منها صبي دعي اسمه استياناكس
وقد اقيم هكطور رئيساً لقوات الطرواد عندما كانت طروادة يحاصرها الاغريق .
ويقال انه قتل فوق الثلاثين من اشد ابطال الاغريق ، ولكن هرب لحال اذ
رأى البطل اخيل اتياً لمبارزته ، ييد ان اخيل استنهده واضطره الى الرجوع
لمبارزته وقتلها ، وعلق جثته بدوالib عربته وجره في موكب النصر .

(٢) المaha بهارتا : معنى الكلمة الحرفي ، التاريخ العظيم لنسل باهاراتا ،
وهي منظومة حماسية هندية تقع في نحو مائتين وعشرين الف بيت من الشعر ،
وتقسم الى ثمانية كتب كبيرة ، وهي تسرد وقائع الحروب الكبرى التي
قامت بين ابناء دياترا اشترا الملة وانسابهم الابناء الخمسة لياندو في سبيل الاستيلاء
على مملكة باهاراتا التي كانت تتالف من اكثير بلاد الهند الحالية . وهذه
المنظومة الطويلة ينظر اليها الهنود كدائرة معارف لتراثهم وتاريخهم وفلسفتهم .
ويقال ان ناظمها هو الشاعر الهندي فياسا ، ولكن الرأى الغالب انها لم
تنظم في وقت واحد بل نظمت في عصور مختلفة وربما ي скوت فياسا
جامعها ومرتبها .

الاليادة^(١) وفي أشعار ايزدوبار^(٢) وفي كتاب حروب يهوه ، أن امثال أولئك الناس لولا رهبة القصاص وسخط الاله لظلوا إلى اليوم أقسى ببربرية وتوحشا . وفي الازمنة التي كانت فيها الشريعة تقضي بقطع الرأس على من يقلع العين ، واستئصال الذراع على من يقطع اصبع اليد ، وقتل مئة رجل من قبيلة من يقتل رجلا واحدا — في تلك الازمنة كانت الشريعة ، التي تقضها يسوع ، القائلة عين بعين وسن بسن — انتصارا عظيما للاريحية ومكارم الاخلاق والعدل وان كانت تبدو لنا ، بعد يسوع ، ظالمه رهيبة .

غير أن الشريعة كانت تداس في أكثر الاحيان وقلما حافظ عليها انسان فالاقوياء كانوا يحتملونها مرغمين ، وذرو السلطان المكلفون بالمحافظة عليها كانوا يتملصون منها والاشرار كانوا يخرقون حرمة نصوصها علانية والضعفاء يتهونونها في سرهم . وفوق ذلك

(١) الاليادة منظومة شعرية ينسبها أكثر المؤرخين الى الشاعر اليوناني هوميروس وهي تتألف من اربعة وعشرين كتابا او نشيدا تدور كاتها على وصف حصار طرواده من حرب اخيل واغامون الى مقتل هكتطور ودفنه — ويختتم ذلك حادث هامة كثيرة عن العالم القديم . وقد نقلها الى الشعر العربي المرحوم سليمان البستاني في مجلد ضخم وهي تباع في مكتبة الحالات .

(٢) ايزدوبار : احد ابطال بابل القديمة . ولعله شخص حقيقي . ولكن المعروف انه ادخل فيما بعد في مصنف الاله وصار يعبده البابليون . ونسب اليه اعمال عظيمة وحوادث خارقة وأشعار كثيرة ، والله اعلم بحقيقة كل ذلك .

فإنها ولو حافظ عليها جميع الناس لم تكن كافية لاستئصال جرائم الشر الذي كان ينتشر في القلوب ، بل كانت تسكته ساعة فلا يلبث أن يظهر أرداً مما كان فيسري من انسان إلى انسان . فقد كانت تسكن المحبية الغريزية تسكيناً مؤقتاً ولكنها لم تستأصلها من جذورها . لأن الناس يرغبون في الشيء إذا حجب عنهم ، ولذلك تعلموا أن يتظاهرون بالخضوع ويصنعوا القليل من الخير كلاماً سمح لهم الفرصة أمام الناس لكي يتم لهم عمل الشر بملء الحرية في سرهم ، ويبالغوا بوجوب المحافظة على الشرائع الخارجية لكي يتسمى لهم الغدر بروح الشريعة وتقويض دعائهما .

في مثل هذه الحالة من الرياء والتدجّيل كان الناس عندما ألقى يسوع عظته على الجبل . وقد أدرك يسوع أن الشريعة القديمة التي لا قوّة لها ولا عضد — كانت تغوص في مياه الرياء الراكدة ولذلك عرف أن العمل المتقادم الأجيال القاضي به تهذيب الجنس البشري يجب أن يبدأ من أصله وينبغي إزالة الرماد وكنسه لتجديده اشعال نار النخوة الأولى الأصلية ، وارجاع الإنسان إلى غايتها الأولى : التي إنما هي تبديل الروح . إذن لا بد من تتميم الشريعة القديمة ، الشريعة الجافة الميتة . لكن أفضل تكميل لها هو أن يسير بها إلى الغاية إلى « البدعة » إلى سن شريعة جديدة تقوم مقام القديمة وتضع في الطبيعة البشرية تعديراً جديداً حقاً .

غير أن في الانجيل فقرة يستدل منها على أن قصد المسيح الأعلى لم يكن هكذا إذ قال : « لا تظنني جئت لأجل الناموس والأنبياء . ما جئت لأحل بل لا كمل ». لكن هذا التأكيد الصريح قد جاء مرادفا في انجليل متى ذاته بفكرة تحديده على وجه ما ، تناقضه . وهذه الفكرة يستبعد علينا فهمها أحيانا لأننا مسروقون بهذا الاعتقاد : أن شريعة يسوع إنما هي تكميل لشريعة موسى : قد قال : « السماء والأرض تزولان وحرف واحد من الناموس لا يزول حتى يتم كله » ومعناه : كما ان السماء والأرض لا تزولان أبداً كذا لا يزول حرف من الناموس حتى يتم كل شيء » وهذه الكلمات الأخيرة تترجمها على حرفيتها لأنها مفتاح السر .

يريد يسوع أن يقول هذا : طالما كل شيء — كل في الشريعة القديمة من عدل وحق — لم يتم ولم يصر قاعدة للحياة ثابتة دائمة ، وعادة صرية شاملة فالشرائع القديمة باقية للعمل بها . هي موجز مختصر ! اذن هي درجة أولى لازمة للصعود الى الشريعة الجديدة . لكن متى تم « كل » شيء ومتى أصبحت الشريعة دمام دمكم وهي اذيعت الشريعة الجديدة اذ ذاك لا تحتاجون الى شرائع عتيقة ناقصة مختلة فالشريعة التي عرفتموها حتى ذلك اليوم لا يبقى لها سقع وشريعة اسمى وأعظم تحملها إذ تركها وراءها وتنقض جزءا منها .

وفي احتدام المجدال قال يسوع للفريسيين بكلام أوضح : « قد كانت الشريعة والأنبياء حتى يوحنا . ولما اعلنت بشاره ملکوت الله والناس يدخلونه بقوه لا يدخلونه اغتصابا بل بالقوة الباطنة المصطادة من كماله الاسمى المتعالي .

وقد جاء يسوع الى العالم لكي يكون بدأءة لاشريعه الجديدة ولكي ينسخ الشريعة القديمة ويعلن بطلانها للناس ونقضانها . ولذا فاننا نرى يسوع يبدأ كل آية من آياته الجديدة بقوله ، « قد سمعتم انه قيل للقدماء » وفي الحال يضع مكان الوصية القديمة وصية جديدة فاما ينـّـقـحـ الشــرــيــعــةـ القــدــيــمــةـ اوـ يــنــاقــضــهاـ قــائــلاـ « اـمــاـ اـنــاـ فــاقــوــلـ لــكــ ... » اـجــلـ ،ـ انــ « اـمــاـ »ـ هــذــهـ قدـ كــانــتـ فــاتــحةـ عــهــدـ جــدــيدـ فيـ تــارــيــخـ التــهــذــيــبـ الــاـنــســانــيـ .ـ وـ لــكــنــاـ اـذــاـ كــنــاـ لــاـ نــزــالـ حــتــىـ الــيــوــمـ نــتــلــمــسـ طــرــيــقــاـ اـلــىـ الســعــادـةـ عــلــىـ شــفــفــ الصــبــاحـ فــانــاـ الذــنــبـ ذــنــبـناـ وـلــيــسـ يــســوــعــ بــالــمــلــوــمـ .ـ

اما أنا فاقول

« قد سمعتم أنه قيل لل الأولين من القدماء لا تقتل اـمــاـ اـنــاـ فــاقــوــلـ لــكــ ،ـ انــ كــلــ مــنــ غــضــبـ عــلــيــ أـخــيــهـ يــســتــوــجــبـ الــدــيــنــوــنــةـ ،ـ وـمــنــ قــالـ لــأـخــيــهـ رــقاـ يــســتــوــجــبـ حــكــمـ الــخــفــلـ ،ـ وـمــنــ قــالـ يــاـ أـحــمــقـ يــســتــوــجــبـ

نار جهنم »

ان يسوع لم يكتف بان يحظر على الانسان أن يضرب أخاه الانسان ، أو أن يقتله ، بل انه تجاوز ذلك في شدة شريعته الجديدة فلم يأذن قط بالقصد أو بالرغبة في القتل ، فان لحظة واحدة من الغضب أو كلة صغيرة من كليات المذمة ، أو عبارة واحدة من عبارات الاحتقار والاهانة تساوي في عينيه جريمة القتل . ان ذوي النفوس الرخوة ، الخاملة ، يصيرون قائلين ، « ان هذا غلوّ ! » ولكن كل عظمة تستلزم هوى وغلواً وليسوع منطقة وهو لا يخطيء فان القتل إنما هو منتهى حد يقف عنده الهوى . فمن الغضب الى الكلام القبيح ، ومن الكلام القبيح الى الضرب ، الى القتل . فلا يكفي إذن أن يمنع الفعل الأخير ، الفعل المادي المخارجي الذي إنما هو نتيجة فعل داخلي أفضى الى الضرورة الالزامية . فيجب إذن أن نستأصل جذور الشر ونحرق شجرة الغضب من أرض الحياة التي تحمل الاثمان السامة من اصولها .

أجل ان اخيل (١) بن فيلا - عندما ثار تأثير غيظه على الذين

اخيل : او اكيلا : هو ابن فيلاوس ، وقد كان افرس ابطال الاغريق في حصار طرواده . ولكي تمنعه امه عن الذهاب الى حرب طرواده ، ارسلته سرا الى بلاط ليقوميدية حيث اختبأ بثياب امرأة . ولما عجز عن فتح طرواده بدون معاونته ، ذهب اوئيسيس (ملك ايشاكا) بزي تاجر الى بلاط ليقوميدية وعرض عليهم جواهر واسلحة للبيع . فاختار اخيل الاسلحة ، وبذلك عرفه

خطفوا سريته وسائل الالهة أن تحوله الى وحش ضار أكال للحوم
البشر لكي يغزو انبابه في جثث اعدائه ، أخيل ابن المرأة المفضضة
القدمين ، قال : لعنة الالهة والبشر على الخصم والغضب اللذين
يسخطان المرأة ولو حكيمها . وهذا السخط الذي هو أحلى من العسل -
يتعاظم في قلوب البشر وينتشر سراعا كالدخان . أخيل هذا بعينه
بعد أن ذبح رفقاءه ، وبعد أن مات أعز أصدقائه ، عرف ما هو الغيظ
الذي يلهب الصدور بمحبة الانتقام فيتعالى سعيرها حتى أن نهرًا من
الدم لا يطفئها . قد عرف ذلك البطل الحقود شر الغيظ بيد أنه لم يتمتد
إلى التخلص منه ، وقد تنازل عن غيظه على ملك العالم لكي يصب
جام حنقه بالانتقام من جثة هكتور الصريح .

الغضب كالنار تستطيع أن تطفئها عند الشارة الأولى وإن
تأخرت عن اطفائها عند أول استعمالها تفوتك فرصة التخلص منها .
وقد نطق يسوع بالحق كله والصواب عندما حدد قصاصا واحدا
لأول بادرة الاهانة وللقتل . لأنه متى حنق كل واحد منا الحقد وابتلع

أوليسيس وانذه الى الحرب . وللحال قدم له فولكان الله الحرب درعا منيعة لا
تؤثر فيها اسلحة الناس البدعة . فسلب منه اغا ممنون صديقه بريسيسيس (او
لابريسيما) ولاجل ذلك ابان يظهر في ساحة الحرب حتى اضطره موته فطرقل صديقه
إلى الانتقام . فذبح هكتور الذى قتل فطرقل ، ويقال انه قتل بسبب جرح
صغير في رجنه جرحه به فاريسم ابن فريام الملك . وإن أخيل بالحقيقة اعظم ابطال
اليادة هو ميروس .

اللعنة فلا خوف إذ ذاك من خدام الانسان أو البنان . فيمحي القتل
فلا يبقى الا ذكر اسود للحيوانية القدية الضاربة .

* * *

« قد سمعتم انه قيل للاولين من القدماء ، لا تزن ، أما أنا فاقول
لكم ان كل من نظر الى امرأة لكي يشهيها فقد زنى بها في قلبه »
وهنا أيضاً نرى يسوع لم يقف عند حد الفعل المادي الذي وحده
يقيم له الناس الاجلاف وزنا ، فانه يرتفع أبداً من الجسد الى النفس ،
ومن اللحم الى الارادة ، ومن المنظور الى غير المنظور . لأنه كما أن
الشجرة تعرف من ثمارها كذلك البذرة تعرف من الشجرة ، والشر
الذى يراه جميع الناس انما يرونها بعد اوانيه لأنه متى نما وتأصل صعب
استئصاله : لأن الخطية كالبترة التي تظهر بجأة في جسم الانسان ،
ولكنها لم تكن لتظهر لو عني الانسان قبل انتقية دمه من
الاختلط السامة .

وعندما يطغى رجل امرأة غيره وتشاطره المرأة شهوته ، فقد
تقت الخيانة ووقع الزنى سواء ذهبا الى السرير معاً أم لم يذهبا فان
الرجل لا يتزوج جسد المرأة فقط بل نفسها أيضاً . فاذا ضاع هذه
النفس فقد ضاع الجوهر معها ، ولكن اذا ضاع جسدها ، وهو
جزءها الاحقر ، فان خسارته محتملة بالنسبة الى خسارة نفسها ، وأما

المرأة التي يغتصبها رجل لا تحبه بالرغم من ارادتها فليس زانية البتة ، لأن الأمور بمقاصدها ، ولذلك وجب على كل من يود أن يحفظ نفسه تقية في العالم أن يمتنع حتى عن الشهوة العارضة ، الصامتة لأن النظرة إذا لم يوضع لها حد تكررت ، فمن النظرة إلى الكلام فالى القبلة . والحب لا يغتفر لمحبوب !

التفكير في الخيانة ، أو تصورها ، أو الرغبة فيها إنما هو الخيانة بعينها والذي يقطع الخيط الأول ينقد نفسه من أحابيل الضلال الذي تولد من نظرة تمو حتى ان الموت ذاته بعد نموها لا يستطيع أن يقطعها . ولذلك أشار يسوع بقلع العين وطرحها جانبًا إذا كانت مجللة للعثرات والشكوك ، وقطع اليد وطرحها إذا كانت مصيدة للشر والفساد ، — وإنها لمشورة ترتعش لها فرائص الجبناء حتى الأشداء أيضًا ، ولكن أشد الناس جيناً إذا أصابه السرطان في عينه أو في يده وتهدم حياته لا يتاخر لحظة عن أن يوفق على قلع عينه أو قطع يده وإذا برب خراج في أمعاء أي كان من الناس فإنه يبادر في الحال إلى الجراح لكي يشق بطنه ويقطع الخراج من امعائه لانقاد حياته من الموت . لأن الناس إنما يهتمون بتخلص أجسادهم ولكنهم يضمنون بأقل تضحية في سبيل سلامه نفوسهم وخلاصها ، وهي لو فسدت لأمسى الجسد آلة صماء .

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تختنث بل اوف للرب »
« باقامتكم : وأما أنا فأقول لكم ، لا تختلفوا البتة ، لا بالسماء ، »
« فانها عرش الله ، ولا بالأرض ، فانها موطن قدميه ، ولا »
« باورشليم ، فانها مدينة الملك العظيم ، ولا برأسك تحلف ، فانك »
« لا تقدر أن تجعل شرة منه يضاء أو سوداء . ولكن ليكن »
« كلامكم ، نعم ، ولا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من »
« الشرير »

ان الذي يحلف لكي يثبت صدقه انما يظهر خوفه وضعفه ،
والذي يحلف لكي يوه كذبه ويلبسه ثوب الصدق فهو خوون
غدار . فالاول يعتقد بان الله الذي حلف باسمه يعاقبه إن لم يكن
قد تكلم بالصدق ، والثاني دجال محتال يغتنم الفرصة ليتتفع من
تصديق غيره إياه من ذوي الضمائر السليمة الذي سهل عليه أن
يخدعهم . والحلف في كلا الحالتين شر لأننا ونحن بشر ضعفاء
عندما نستدعي قوة من قوات السماء لكي تكون شاهداً أو قاضياً
في متناقضاتنا الدينية التي تقودنا إليها رغائبنا المتضاربة ، ونحلف
برؤوسنا أو رؤوس أولادنا ونحن أحقر من أن نغير مظهر أحتر جزء
في أجسامنا انما هو تعجيز محال وتتجريف . لأن الرجل الذي ينطق
بالصدق لا عن خوف من العقاب بل عن رغبة طبيعية في نفسه
لا يحتاج إلى الملياذ بالحلف . فضلا عن أن الحلف لا يرّ سخ عقيدة

حتى الذين يظهرون أنهم قد اقتنعوا به . والتاريخ يدلنا على أن
الاقسام كثيراً ما تقضت ونکشت . وذلك الذي يعمس يمينه بالآیمان .
المغلوظة إنما هو الذي يفکر في تقضها

* * *

« قد سمعتم انه قيل ، ا كرم اباك وامك ، اما أنا فاقول لكم ،
من أحب اباه وامه أكثر مني فلا يستحقني ، » وأيضاً « ان كان
أحد يأتي الى ولا يبغض أباه ، وامه ، وامرأته ، وبنيه ، واحوطه ،
وأخواته بل نفسه أيضاً فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً » وفي هذه
الآية ايضاً نرى ان الوصية القديمة التي تربط العالم الجديد بالعالم القديم
برباط الاحترام قد تقضت كل النقض .

ان يسوع لا يرذل المحبة البنوية بل إنما يضعها في مقامها الذي
ليس هو المقام الاول كما كان الاولون يظنون : ان أعظم وأطهر وانت
محبة على وجه الارض إنما هي المحبة الوالدية لأن الاب يحب في ابنه
المستقبل والشباب ، والابن يحب في أبيه الماضي والشيخوخة ، ولكن
يسوع إنما جاء لكي يغير الماضي ، لأن احترام الوالدين وكل ما
يحصرنا في التقليد والعادلة يحول دون تجديد العالم . وان المحبة لجميع
الناس لافضل من محبة من اعطونا الحياة . وخلاص جميع الناس
لافضل بما لا يقاس من خدمة الاسرة الضيقة المعدودة . والانسان لا

يستطيع أن ينال الأفضل ما لم يضحي بالآدنى . انه يسهل علينا الآذن بحسب الا ذوينا فتتخذ من محبتهم — وكثيراً ما تكون اضطرارية أو مصطنعة — عذرًا على عدم صداقتنا لسائر الناس . ولكن الرجل الذي يقف حياته لعمل يسموه فإن هذا العمل العظيم يتطلب كل قواه ويستغرق ساعات عمره حتى النسمة الأخيرة . لأن من يرغب في أن يتجرد للخدمة العامة بروح متضعة تحب الجميع على السواء فانما عليه أن ي مجرد نفسه من كل محبة أو عاطفة أخرى تجريداً كاملاً ، فإن من يود أن يكون أباً بالمعنى السماوي السامي — وان لم تكن له الابوة الجسدية — لا يستطيع أن يكون إلا أباً

« دع الاموات يدفنون موتاهم ! »

كان في الشريعة القديمة وخصوصاً في تقاليدها الفضلى ، مئات من الاوامر والوصايا لتطهير الجسد ، وصايا دقيقة ، مملة ، معقدة لا أساس لها لا في السماء ولا في الأرض وقد جعل الفريسيون المحافظة على هذه التقاليد أفضل فضيلة في الدين . لأنه أسهل على الانسان أن يغسل كأساً من الزجاج من أن يغسل نفسه . فان المادة الميتة كالكأس لا تحتاج في غسلها الى أكثر من خرقه وماء ، ولكن تنقية النفس تقتضي دموع المحبة ونيران الارادة

« ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هو

الذى ينبعس الانسان . اما تفهمون ان كل ما يدخل الفم ، يدخل
الجوف ويخرج الى المرحاض ؟ واما الذى يخرج من الفم فعن القلب
يصدر ، وهو الذى ينبعس الانسان . لانها من القلب تخرج الافكار
الرديئة ، القتل ، والزنى ، والفحotor ، والسرقة ، وشهادة الزور ،
والتجديف . »

ان الاستحمام بماء البئر او بماء النبع العذب ، سواء كان
استحمامًا جسدانيًا بسيطًا او طقسيًا رمزياً وفقاً لعادة او تقليد ، لا
يمكنه أن يعني الانسان عن التطهير الداخلي الروحاني ، وانه لافضل
أن تأكل كل بايد متوسخة بعرق العمل والنشاط من أن تطرد اخاك
بيدين مغسولتين ثلاثةً بالماء .

أقدار الجسم تصير سداد الحدائق والبساتين . ولكن هنالك
كثيرين من الناس المتأقين بملابسهم وظواهرهم قد امتلئوا الى
حلوقيهم من نوع اخر من الاقدار التي تنتشر رائحتها الكريهة بكل
كلة تخرج من أفواههم القدرة التي باطلاقا يغسلونها أو ينظفونها . وهذه
الاقدار لا تجري في القناة بل انها توبيء الهواء ، وتفسد حتى الابرار .
من امثال هؤلاء الناس الوساخين المنجسین يجب أن نبتعد ، ولو انهم
استحموا اثنى عشرة مرة في اليوم ، لأن غسل الجسد بالماء والصابون
لا ينقى الانسان اذا كانت الافكار التي تخرج من قلبه فاسدة بل
ان الرجل الذي يكتنـسـ المـدـيـنةـ ، اذا لم يـفـكـرـ فيـ الشـرـ ، لهـ أـلـفـ

مرة ، أطهر من الرجل الغني الذي — اذ يستحم في جرن حمامه الرخامي بالمياه المعطرة — يفكر في خيانة جديدة وفجور جديد .

لَا تقاوموا الشر ير

لكن يسوع لم يبلغ حتى الان الى اغرب « بدعة » « سمعتم انه قيل للقدماء ، عين بعين ، وسن بسن ، أما أنا فاقول لكم، لا تقاوموا الشرير ، بل من لطمرك على خدك الایمن فحول له الايسر ، ومن اراد أن يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا واحدا فامش معه ميلين »

ان شريعة الانتقام القديمة لا يمكن أن تنقض باشد وامضى من هذا الكلام . فإن معظم الناس الذين يسمون أنفسهم مسيحيين لم يحفظوا هذه الوصية الجديدة فقط بل انهم ما احبوا أن يتظاهروا بقبو لها وأعرضوا عنها كأنها لم تكن . هذا المبدأ القاضي بالاعراض عن مقاومة الشر قد كان للعديد من المؤمنين عثرة لا طلاق وشكلا لا يحتمل في المسيحية .

الطرائق ثلاثة لمقاومة الشر : الانتقام ، أو المهرب ، أو تحويل الخد الآخر ، أما الاولى فهي شريعة الثأر البربرية : التي شرّفت وموّهت في القوانين وما زالت معمولا بها بين الامم : فهم يقابلون

الشر بالشر اما بان يرد المعتدى عليه الاساءة الموجهه ضده بعثتها بيده او بواسطه أولئك الوسطاء العمياني ، الذين يمثلون تقانص المدنية العسائريه الحاضرة ، والذين نلقهم بالقضاء والمنفذين . لأن مأموري العدالة يضييفون الى الشر الذي يفعله الانسان شرا اخر باحكامهم البعيدة عن العدالة وكثيرا ما يعود شر العقاب على التأثير المنتقم فيؤدي الانتقام الى سلسلة من الشرور تمتد حلقاتها امتداداً لا نهاية له . لأن الاضرار بالغير سيف ذو حدين يؤذى الضارب والمضروب ولو كان يقصد من انتقامه الخير سواء كان ذلك في الامم ، ام في العائلات ام في الافراد لان الجريمة الاولى تجر وراءها طوائف من التأديبات والكافارات التي ينال وبها المجرمين ومن اجرموا اليهم على السواء . على أن الشريعة القاضية بالانتقام ربما خفت بعض التخفيف الحيواني عمن وقع عليه الاعتداء اولاً ، ولكنها بدلاً من أن تنقص الشر تزيده .

أما المهرب فما هو بالطريقة المثلث . ان العدو يضاعف همته إذا توارى عنه عدوه . واحيانا قد يقيّد الخوف من الثأر ، يد المعتدى لكن من يفر يدع عدوه الى مطاردته ومن يتماوت يهيب بعده الى الاجهاز عليه . ان الجبانة قد تكون مؤتمرة مع شر المجرم . وهذا أيضاً شر الشر يلد الشر .

واما تحويل الخد الآخر ، وهو المبدأ الذي علّم به يسوع ، فمع

أله يبدو مستحيلاً لاول وهلة ، فانما هو الوسيلة الوحيدة لمقاومة نيران الشر واحمادها . لانه إذا لطمتك رجل بكفه ، فقابلته انت بلطمتين فلا يلبيث أن تتماسكا وتتلاكم ثم تستلان السيف ، وربما قد أحد كا حياته لاتفاقه الاسباب واذا هربت طاردك خصمك فإذا لحقك جرأه الاختبار ورفسك برجليه رفساً .

اما تحويل الخد الثاني فانما هو الح Howell دون الضربة الثانية ، بل هو قطع الحلقة الاولى من سلسلة الشرور التي لا مناص منها فان خصمك الذي كان متوقعاً منك مقاومة أو فراراً يتضاغر في عينيك وفي عيني نفسه لانه كان منتظراً كل شيء ما عدا هذا ! وإذا خجله أصبح عاراً في عينيه ! هدوئك يبرد حدة غضبه ويفسح له مجال التفكير ولا يستطيع أن يشكوا من اثارتك سخطه وانت لم تقاومه . ولا يستطيع أن ينسب اليك الجبارة لانك مستعد للضربة الثانية وأوريته بنفسك الموضع لكي يصفع عليه . كل انسان يحترم الجرأة في غيره ، ولا سيما الجرأة الادبية وهي اندر ضروب الشجاعة واصعبها فالرجل المهزان الذي لا يغضب ولا يهرب ، يظهر شجاعة نفس وقوية على ضبط أميال نفسه ، وصدق شجاعة ، ومضاء عزيمة أكثر من الرجل الذي يعميه غضبه فيهجم على المعتدي ليرد له الشر شرين وان الهدوء إذا لم يكن بلادة ، والدعة اذا لم تكن جينا فضيلتان عجيتان تدهشان النفوس الاعتيادية كما تدهشها سائر الغرائب . وتشعران

«البهيمة» ان هذا الرجل هو أكثر من رجل و «البهيمة» التي لا تستثيره المقاومة والفرار ، يظل راكدا ، باردا ، هائما ، خائفاً ، امام هذه القوة الجديدة التي كان يجهلها والتي تفت في روحه .

فضلاً عن أن الذي يضرب قد سبق وفكّر في غضب من اعتدى عليه وفي مقاومته ، وله في لذة هذا القتال الذي يولده الخصم منشط عظيم . فان الانسان حيوان محب للحروب والقتال ولكن لذته هنا قد زالت واضمحلت شهوته لم يبق امامه خصم بل رجل أعلى يقول بسکينة نفس «اما اكتفيت؟» هوذا خدي الآخر ، فاضرب ما شئت ! لانه احب الى أن يتالم وجهي ولا تتألم نفسي . انك قادر أن تعذبني لكن لا أن ترغمني على أن أصير جافيا غليظا غضو باً مثلك . لا تستطيع أن تضطرني البتة أن اصنع الشر معندرًا بهذا العذر : وهو أني انا الشر .

إلا أن العمل بحرفية وصية يسوع هذه إنما يتطلب قوة تتسلط على الاعصاب والغرائز في النفس الساقطة . اجل انه لواجب ثقيل اليم . ولكن متى قال لنا يسوع انه سهل فهو لم يقل قط ان في وسع بشر ان يتبع خطواته من غير أن يفكر في ذاته ويعلن في أعماقه حرباً سجالاً ضروباً وينخلع ادم العتيق ويولد بشراً جديداً . لكن ثمار عدم مقاومة الشر حتى ولو لم تتعقد دائمًا ، حتى ولو انتشرت بهبوب أول ريح — ، لأفضل كثيراً بما لا يقاس ، من ثمار المقاومة

والهرب . ان مثال هذه القوة الروحية النادرة ، التي تقصـر عقول عامة الناس عن ادراكـ كـنـها وـعـن تصـوـيرـها مـكـنةـ التـحـقـيقـ ، وهذا الدافـعـ فوقـ الطـبـيـعـيـ الذي يـحـركـ إـلـىـ أـعـمـالـ تـغـالـبـ اـمـيـالـاـ وـاهـوـاءـناـ وـتـنـاقـضـ عـادـاتـناـ ، هذاـ المـثـالـ ، هـذـاـ مـظـهـرـ القـوـةـ ، هـذـهـ الـاعـجـوبـةـ الـمـسـتـحـيـلـةـ ، غـيرـ الـمـنـتـطـرـةـ كـكـلـ اـعـجـوبـةـ ، الصـعـبـةـ الفـهـمـ كـكـلـ مـعـجـزـةـ هوـ مـثـالـ رـجـلـ قـدـيسـ نـشـيـطـ مـظـهـرـهـ مـظـهـرـ اـنـسـانـ ، لـكـنـ مـخـبـرـهـ يـشـبـهـ مـخـبـرـ الـهـ ، اوـ مـخـبـرـ اـمـرـىـءـ مـتـبـاـيـنـ مـتـسـامـ عـلـىـ سـائـرـ الـخـلـائقـ ، مـتـعـالـ عـنـ القـوـىـ الـتـيـ تـحـركـ أـمـالـهـ وـتـسـيـرـهـ ، — هـذـاـ المـثـالـ اـذـ تـكـرـرـ مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ ، وـلـمـ تـلـصـقـ بـهـ الـبـلـادـةـ ، وـصـحبـتـهـ مـظـاهـرـ الـجـرأـةـ الـطـبـيـعـيـةـ — مـتـىـ كـانـتـ هـذـهـ الـجـرأـةـ ضـرـورـيـةـ لـلـنـفـعـ لـاـ لـلـضـرـرـ . هـذـاـ المـثـالـ لـهـ نـفـوذـ فـعـالـ عـظـيمـ نـسـتـطـيـعـ تـصـورـهـ ، عـلـىـ الرـغـمـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ مـنـ الرـغـبةـ فـيـ الـأـنـتـقـامـ .

احـلـ اـنـاـ تـصـوـرـهـ بـعـدـ بـذـلـ الـجـهـدـ ، غـيرـ اـنـاـ لـاـ تـقـدـرـ أـنـ بـرـهـنـ عـلـيـهـ بـالـاخـتـبـارـ لـاـنـهـ لـيـسـ لـنـاـ شـواـهـدـ كـثـيـرـةـ لـنـتـمـكـنـ مـنـ ذـكـرـ اـخـتـبـارـ ، وـلـوـ بـسـبـيـطـاًـ ، لـتـأـيـدـ هـذـاـ التـصـوـرـ .

عـلـىـ أـنـ عـدـمـ طـاعـةـ وـصـيـةـ يـسـوـعـ هـذـهـ أـوـ نـدـورـةـ العـاـمـلـيـنـ بـهـاـ لـاـ يـدـلـانـ عـلـىـ أـنـ الـقـيـامـ بـهـاـ يـسـتـحـيلـ تـحـقـيقـهـ ، اوـ أـنـهـ يـحـبـ عـدـمـ التـقـيدـ بـهـاـ لـشـدـةـ صـعـوبـتـهـاـ فـهـيـ مـضـادـةـ الـطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ عـلـىـ خـطـ مـسـتـقـيمـ ، وـلـكـنـ جـمـيعـ اـنـتـصـارـاتـنـاـ الـادـبـيـةـ الـحـقـةـ يـحـبـ أـنـ تـضـادـ طـبـيـعـتـنـاـ . لـاـنـ

هذه الوصية هي المبضع الخلاصي لعمل كاد يودي بجزء من نفوسنا
— وربما كان هذا الجزء أشرف أجزاء النفس في الكثيرين منا —
ولذلك فلا غرو أن ترتعش قلوبنا عند رؤية مبضع الجراح .
ان وصية يسوع هي وحدها التي تحل مشكلة الشر والاذى :
هي المبدأ الوحيد الذي لا يضيف شرًا إلى شر ولا يضاعف الظلم إلى
مائة ضعف . المبدأ الذي يكسب على الجرح باسم الشفاء قبل أن يتصل
فيه الداء ، ويستأصل البثرة قبل ان تنمو .

ان مبادلة لطمة بلطمة ، واذى باذى هو قبول ورضى بمبدأ
الرجل الشرير واعتراف منك بانك مثيله . واما الفرار فهو تحقيير
نفسك امامه وتحريضه على مهاجمتك ، واما ان تجبيه بكلمات التعقل
على غضبه الشائر فهو نفح في رماد . ولكن ان تجبيه باشارة قبول
وتقدم صدرك لمن رام ان يضر بك على ظهرك وتعطي الفا الى من
يسرق منك مئة وتصبر ثلاثة أيام على من يريد أن يضايقك ساعة .
هذا هو عمل الشجاعة الباهر وان كان يظهر بمظاهر الجبانة وهو
العجب في انتصاره على وحشية المهاجم بعزم الاهلي التي لا تقاوم .
من قهر ذاته يستطيع أن يقهر عدوه . وانما القديسون وحدهم
يمحوّلون شراسة الذئاب . والذي جدد نفسه انما هو وحده يستطيع
أن يجدد نفس اخوانه ويعمل على ان تصير الحياة على الجميع اقل
شقاء وعناء .

ضد الطبيعة

ان عدم مقاومة الشر بالشر مخالف لطبيعتنا كل المخالفة، لكن يسوع هو في العالم حتى تتوصل طبيعتنا إلى مقت ما يشوقها اليوم والى محبة ما كان بالأمس يرعبها. كل كلمة نطق بها، تفرض هذا التجديد في النفس البشرية فهو ينافق ، بغير خوف ، أعمق غرائزنا وأعم اماليانا و يتدرج مما نتجنبه ويرذل ما يبحث عنه الجميع . انه ما يكتفي أن يكذب ما يعلمه الناس — وهم غالباً يخالفون ما يعتقدون ويعلمون — بل هو ينافق أفكارهم وأعمالهم اليومية .

ان يسوع لا يقول بكلال النفس الطبيعية ، النفس الاولى بل انما يعتقد بكلالها المزمع الم قبل الذي لا تبلغه الا بقلب الحالة الحاضرة رأساً على عقب ، وقد انحصرت رسالته باصلاح الانسان بل باكثر من الاصلاح : وهو صنعه من جديد . به قد بدأ النسل الجديد ، الذي هو نموذجه وكماله ومثاله الاعلى : آدم الانسانية المتجدد على صورة جديدة .

شاء سocrates أن يصلح العقل ، وموسى اصلاح الشريعة ، واكتفى غيرهما باصلاح طقس أو قانون أو نظام أو علم ولكن يسوع لا يريد أن يغير جزءاً من الانسان بل الانسان كله جائعاً : الانسان الداخلي المحرّك ، أصل كل كلمة وكل عمل . اذن لا شيء خارج عن

حد صلاحيته . فما له أن يتسامح بشيء ، ولو طفيفاً ، لأشعر ، ولا مجال للتوفيق بينه وبين الطبيعة الناقصة . فهو لا يتسع في تبريرها ، كما هو شأن الفلاسفة ان الانسان لا يستطيع أن يخدمها ويخدم يسوع معاً . من كان مع يسوع فهو على الطبيعة الحيوانية العتيبة ويسعى لانتصار الطبيعة الملائكية وما بقي فهو لغو هراء .

لا شيء اشيع عند الناس كحبة الغنى . وحسد المال ، بكل الوسائل ، حتى بافضحها واقبحها ، قد كان احب الاعمال واعذبها . لكن من أحب أن يتبع يسوع يجب أن يترك كل شيء له ويرضي ان يقايض الخيرات الحاضرة المنظورة بالخيرات المقبلة غير المنظورة . اذن لا بد من الفقر ليكون المرء من أبناء الملكوت .

كل امرىء يفكّر في الغد مغتماً . وهو ابداً خائف : أن تهبط الارض تحت قدميه ، وان لا يكون له من الخبز ما يكفيه الى حلول الحصاد الم قبل ، وان يضيق القماش عن ستره وستر اولاده . لكن يسوع قد قال : « لا تهتموا بالغد . يكفي كل يوم شره . » كل انسان يود ان يكون أول حتى بين قرنائه ، وان يتزعم بنوع من الانواع على من يحيطون به . وأن يتحكم ويسلط ، وان يظهر أعظم منهم وأغنى ، وأجمل ، وأحكم . ان تاريخ الانسان إنما هو تنازع رائع على من يكون اول ومن يكون ثانياً ، لكن يسوع قد علّم « من اراد ان يكون فيكم اول فليكن آخر الجميع وخداماً

والاَكْبَرُ هُوَ الْأَصْغَرُ . وَالْأَقْوَى فَلِيَخْدُمَ الْأَضْعَفَ وَإِنْ مَنْ اتَّضَعَ
اَرْتَقَعَ وَمَنْ ارْتَقَعَ اَتَضَعَ . »

وَالْعُجْبُ ، هُوَ بُرْصَ آخرَ لِلنَّاسِ يُسْمِيْ حَتَّى الْخَيْرَ لَأَنْ هَذَا
الْيَسِيرُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ إِنَّمَا يَعْمَلُونَهُ لِيَرَاهُمُ النَّاسُ . يَصْنَعُونَ
الْشَّرَ سَرًّا وَالْخَيْرَ فِي الْأَسْوَاقِ جَهْرًا . وَيَسْوِعُ يَأْمُرُ بِالْعَكْسِ :

لَا تَدْرِ شَمَالَكَ مَا صَنَعْتَ يَمِينَكَ وَمَتَى صَلَيْتَ فَادْخُلْ مَخْدَعَكَ
وَلَا تَقْرَعْ صَدْرَكَ عَلَى زَوَّاِيَا الشَّوَارِعِ بَيْنَ النَّاسِ . وَإِذَا صَمَتْ فَلَا
تَعْبَسْ وَجْهَكَ لِيَرُوكَ تَائِبًا . فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَابْتَسِمْ بِوَجْهِكَ كَسَائِرُ
الْأَيَّامِ ، لَا تَصْنَعْ الشَّرَ أَبْدًا لَا سَرًّا وَلَا جَهْرًا وَاخْتَبِئْ لَئِلَّا يَظْنَنَ
النَّاسُ أَنَّكَ تَصْنَعُهُ لِطَلْبِ الْمَدْحَةِ .

ان غريزة حب البقاء هي اقوى غرائز المسلمين علينا فاننا لا
تحجم عن الفحش والقهر والجباة متى كان في سبيل حفظ — هذا
اليسير — من التراب الحي . لكن يسوع يعلم : من أراد أن يحفظ
حياته يخسرها ومن يخسرها يحفظها . لأن ما يسميه العدد الاَكْبَرُ
حياة ليس هو حياة حقيقية . ومن يخسر النفس يخسر الجسد أيضاً .

كل انسان منا يريد أن يدين اخوانه ومتى جلس على كرسي
القضاء خيل اليينا انه أعلى منهم وأفضل وأعدل لكن من شكا نفسه
فقد تنقى وتبرر . وفي الواقع ان الاحدب انما يفضحه ظهره المخدوب .
لكن يسوع يقول : « لا تدينوا فلا تدانوا ، لأنكم بالدينونة التي

بها تدينون تدانون . . . اغفروا فيغفر لكم . . . »

كل رجل يفاخر انه هو الرجل الرجل : مترصن ، ناضج متفقه ،
معتدل محترم . يعرف كل شيء ويرهن على كل شيء ويقضي في كل
شيء ، اذا سمع خطاباً يفيض اخلاصاً قال انه صبياني واذا رأى رجلاً
ساذجاً قال مستهزئاً انه صبي . ولكن عندما سأله التلاميذ يسوع :
من هو الاعظم في ملکوت السماوات اجابهم يسوع : اذا لم « تتغيروا »
وتصيروا مثل هؤلاء الاطفال فلا تدخلون ملکوت السماوات .

ان الرجل المترصن ، التقى ، الفريسي ، يبتعد جهده
عن معاشرة الخطأة ، ولا يقبل على مائته الا الصديقين ، او على
الاقل الذين يظنهم كذلك . لكن يسوع يصرح ، ولا يمل ، انه انما
 جاء ليدعوا الخطأة لا الصديقين ، والاشرار لا الابرار ، ولا يستحيي
أن يؤكل العشارين ويدع الزواني التائبات يغسلن قدميه بالناردين .
من كان حقاً طاهراً نظيفاً ، فلا يدنسه اختلاطه بأي من كان ولا
ينبغي له أن يدع اخوانه يموتون في الفساد — خوفاً على نفسه من
أن تتوضأ .

بخل الناس عظيم ، وكل واحد يتتحقق ليأخذ كثيراً ويرد
قليلاً . الجميع يسعون ليأخذوا : ان المدح على الجود انما هو قناع
لطيف يغطي التكف . لكن يسوع يؤكد انه خير للرجل أن يعطي
من أن يأخذ .

نَحْنُ نُبَغْضُ أَكْثَرَ النَّاسِ الَّذِينَ نُعِيشُ مَعَهُمْ لِأَجْلِ مَا عِنْدَهُمْ ،
وَلِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَا يَعْطُونَا ، وَلِيُلْيِسِيرُ مِنَ الْعَنَاءِ الَّذِي يَأْخُذُونَهُ مِنَ الَّذِينَ
مُخْتَلِفُونَ عَنَا — لَا هُمْ يَحْيُونَ . وَلَقَدْ نَتَوَصَّلُ إِلَى بَغْضٍ اصْدِقَائِنَا
حَتَّى الَّذِينَ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا وَيُسَوِّعُ يَأْمُرُ بِحُبِّ النَّاسِ وَإِنْ نَحْبُهُمْ جَمِيعَهُمْ
حَتَّى الَّذِينَ يَبْغُضُونَا .

مِنْ لَا يَعْمَلُ بِهَذِهِ الْوِصِيَّةِ لَا يَكُنْهُ أَنْ يَقُولَ أَنَّهُ مُسِيْحِيٌّ . حَتَّى
وَلَوْ دَنَا مِنَ الْمَوْتِ وَلَمْ يَحْبُّ قَاتِلَهُ فَلَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَقُولَ أَنَّهُ مُسِيْحِيٌّ .
لَانْ حُبُّ ذُوَاتِنَا الَّذِي هُوَ الْمُبْدَأُ الْأُولُ وَالْآخِرُ لِبَغْضِنَا غَيْرَنَا ، هُوَ
مُوجِزُ أَمْيَالِنَا أَوْ أَهْوَانِنَا فَنَّ اتَّصَرَّ عَلَى حُبِّ دَاهِهِ وَبَعْضِ غَيْرِهِ فَقَدْ
تَحَوَّلَ ، وَالبَاقِي أَنَّهَا هُوَ تَرْتِيْجَةٌ وَتَحَوَّلَ طَبِيعِيًّا . فَإِنْ بَغْضُ الدَّارِ
وَحُبُّ الْأَعْدَاءِ هُمَا مِبْدَأُ الْمَسِيحِيَّةِ وَغَايَتِهَا وَأَعْظَمُ اتَّصَارَ عَلَى الْأَنْسَانِ
الْقَدِيمِ الْأَعْمَى الْضَّارِيِّ . فَالنَّاسُ لَا يَسْعَهُمْ أَنْ يَوْلِدُوا ثَانِيَةً فِي غَبْطَةِ
السَّلَامِ طَالِمًا لَا يَحْبُّونَ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْهِمْ . أَنْ حُبُّ الْأَعْدَاءِ هُوَ
الْوَسِيلَةُ الْوَحِيدَةُ حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ عَدُوٌّ .

قبل المحبة

أَنْ نَأْكُرَ يَسُوعَ — وَلَدِيهِمُ الْفَسَبِبُ ، لَانَ الاعْتِقَادُ بِالْمَسِيحِ
إِنَّمَا هُوَ نَكْرَانٌ لِذُوَاتِهِمْ ، وَهُمْ لَا يَرَوْنَ مَا يَرْجِحُونَ مِنْ هَذَا الْبَدْلِ ،

ثم هم شديدو الخوف من الخسران ، لأنهم متشبثون ايماً تشتت بهذه الكنسات التي هي لهم غنىًّا وفخار — ان ناكري المسيح قد مضوا يبحثون ، منذ بعيد ، لكي يحسنوا تبرير نقوتهم عن عدم اتباعه ، عن سبب آخر ، عن سبب « علمي » يظهرون به أنه لم يقل شيئاً جديداً . أن تعاليمه ، قد علّمها الشرق والغرب منذ قرون . فما هي من العظمة حيث ظنوا وما علينا الا أن نسمعها . فالاجهال أن يعجبوا به والسدّج أن يطيعوه .

هؤلاء الحكم المتجحون بعلم الانساب الوهميّة لا يقولون ما هي قيمة تعاليم يسوع ، عتيقة كانت أو غير عتيقة . وانهم لا يحروون يؤيدوا : ان تجديد حقيقة عظيمة متروكة منسيّة ! واثباتها بالموت ، هو شيء كلا شيء .

وهم لا ينظرون : هل بين تعليم يسوع والتعاليم السابقة جوهر الروح والمعنى حقيقة ، أو أن هناك ، بالاحرى ، جناساً وشبهها لفظياً بعيداً ، لكنهم — وهم في هذا الشك متربصون — يرفضون شريعة يسوع — أو شريعة معلّميه المohoمين — ويظلون يعيشون من تاحين ، عيشتهم : عيشة الخنازير كأن الانجيل لم يبعث اليهم هم أيضاً .

كان زمان ، بعد اذاعة الشريعة ، فيه كان ذوق الرحم لحّا يتحابون ، وفيه سكان المدينة الواحدة يتراهلون فيما بينهم ويتراعون ، والغرير — ان لم يكن ضيفاً — ما كان ليتوقع الا بفضل واستئصالاً .

في العائلة يسير من الحب ، وفي المدينة : عدل تقريري أما خارج
الأسوار والتخوم فبغض لا ينطفي .

إذ ذاك علت بعض أصوات ، في حقبات القرون من متقطعة ،
لتطلب شيئاً من الحب خارج العائلة ، بين رجال الأمة الواحدة ، وشيئاً
من العدل حتى للغريب ، وحتى ، للعدو ، وقد كان ذا تقدماً باهراً ،
لكن هذه الأصوات الضعيفة ، المتباudeة ، ما سمعت الا ندورا وما
اطيعت قط .

قبل المسيح باربعة قرون قام حكيم في الصين اسمه ماتي وكتب
كتاباً كاملاً : « كيا - سيان - غي » ليقول أن الناس ينبغي
أن يتحابوا . قال « إن الحكم الذي يود تحسين العالم لا يستطيعه
الإذا علم حق العلم ، أصل الاضطراب ... » لماذا تنشأ الاضطرابات ؟
لأننا نحن لا نحب بعضنا بعضاً . فان العباد والأولاد أقل احترامهم
الحكام والأباء . . . والأخوة الصغار يتحابون ولا يحبون اخوانهم
الكبار . . . والاب لا يرقى بابنته والشقيق الكبير بالشقيق الصغير ،
والامير بعباده . الاب يحب ذاته ولا يحب ابنه وهو يضر ابنه ان
كان فيضره . وهكذا قطاع الطرق ، تحت عين السماء ،
يحبون بيوتهم وينحربون بيوت غيرهم ليلاً وبيوتهم . واللصوص
يحبون أجسادهم ولا يحبون الناس ولذلك يسرقون اموال سواهم لخير
أجسادهم . فلو كانوا يراغعون أجساد غيرهم كما يراغعون أجسادهم فلن

كان يسرق؟ . . . فلو انتهى الناس الى الحب الشامل المتبادل لما
اقتلت المالك ولا اضطربت العائلات ولتوارى اللصوص واحترم
الامراء والعباد ، والآباء الابناء وتساهلوا ولاصطلح العالم باسره »
ان الحب ، بزعم ماتي — وبالاحرى هذا الشعور الممزوج
بالاحترام والتساهل هو الكلس الذي ينبغي ان يدعم الشعب
والحكومة ويربطها معاً : هو الدواء لكل شرور الحياة ، اجمالاً ، هو
« الترياق » الاجتماعي الشافي .

ولقَّن « لاوتسى » الغامض باستحياء ، ان : « قابل الاساءة
باللطافة ». لكن اللطافة عندها وفطانة لا محبة .
وفي ذلك العهد ذاته كان كنفوشيوس^(١) ينشر تعليماً يوجب

(١) كنفوشيوس أو كنفع - فو - تسا المعلم كنفع ، هو أحد حكماء الصين ولد نحو سنة ٥٥٠ قبل المسيح ، في ولاية شانتونغ التابعة اذ ذاك لمملكة لو . وقد مات ابوه بعد ولادته بثلاث سنوات فربته امه في حلة فقيرة جداً . ولكنه لم يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى انتظم في سلك الخدمة السياسية ولما بلغ الرابعة والعشرين استعنى من هذه الخدمة ليقوم بواجبات الحداد على امه المتوفاة مدة ثلاثة سنوات . وفي تلك المدة انصب كل الانصباب على درس التاليف القديمة فركح ما رأه من الاداب الى محاولة ترجيع العادات القديمة وتعاليم الحكماء والقدماء فشرع بالاستعداد للقيام بحق ذلك . ولما بلغ سن الثلاثين انخرط في سلك المعلمين ، فذاع صيته وكثُر عدد تلاميذه ومحبيه . ولذلك يوسع دائرة انتشار تعاليمه كان يذهب من مدينة الى مدينة واعظاً ومعالماً للاهلين . وفي سنة ٥٠٦ قبل المسيح رجع الى بلاده وتسلم وظيفة سياسية وتبؤاً مسند الصدارة العالي .

— على زعم تلميذه تسنع - تسي^(١) استقامة القلب ومحبة القرىب —

ولكنته أضطر أن يتركه بسبب حيل أحد أمراء البلاط عليه . ومن تلك الساعة هجر الخدمة العمومية وذهب مع بعض من تلاميذه إلى البلاد الاميروي وقضى بقية حياته في نشر تعاليمه وما نال سنة ٤٧٩ قبل المسيح وكان له من العمر ٧٢ سنة وذلك قبل ولادة الفيلسوف اليوناني سocrates بأحدى عشرة سنة ولكنه نال حظاً أوفى من حظ سocrates إذ أنه اشتهر جداً في مدة حياته وقدمن له الأمة اعتباراً يكاد يكون كاعتبار الآلهة . ولا يزال نسمته حتى اليوم محفوظاً في رتبة مفرزة عن باقي الأهلين . وإن عبادة هذا الفيلسوف هي الان الديانة الغالبة في الصين ، ففي البلاد ما ينفي على الفي هيكل على اسمه ، وجميع المعلمين والعلماء يحترمون اسمه ، ويجب على كل ولد أن يركع أمام صورته المعلقة في جميع المدارس . أما تعاليم هذا المعلم فمحصورة في كتابهخمسة ، وفي الكتاب الأول أوضحت علاقة الملك بالرعية وفي الثاني علاقة الوالدين بالأولاد ، وفي الثالث علاقة الرجل بالمرأة ، وفي الرابع علاقة الأخوة بعضهم مع بعض وفي الخامس علاقة الأصدقاء ييد أن هذا الفيلسوف العظيم لم يذكر بين العلاقات المهمة ، العلاقة أو النسبة الأولى التي هي بين الإنسان وخالقه . أما الفضائل التي كتب عنها فحصرها في خمسة أنواع ، الحب ، والبر . والاحتشام . والمعرفة . والإيمان . وقيل هي السخاء . والعدل . والمطاف ، والحكمة والبساطة - ولم يقدم فيها رأياً أو امراً بخصوص واجبات الإنسان نحو الله . بل قال في مقدمة وصياغة « احترم جميع الآلهة ولكن بعدهم عنك » . وقال أيضاً « ملعون هو أول من صنع صننا » . وعندما أشرف على الموت ، زاره صديق له اسمه « صي لو » . وطلب منه أن يصليه . فاجابه الحكم . « وهل يليق بي أن أصلي ؟ قال . نعم ، فقد قيل . صلوا للآلهة السمائية والارضية . فقال كنفوشيوس « انني قد صليت منذ زمان طويل » .

(١) تسنع تسي : فيلسوف صيني مشهور . ولد في سنة ٤٠٠ ق . م . وتوفي نحو سنة ٣١٤ ق . م . وهو تلميذ كنفوشيوس وعلى مذهبة . وقد

كمحبة النفس : انظروا : محبة «القريب» لا «البعيد» ، الغريب ، العدو . و «كمحبة نفسه» لا «اكثر من نفسه» قال كنفوشيوس بالمحبة البنوية والرفق الضروري لازدهار المالك ولكن لم يحتمم قط بالقضاء على البعض وفي «لوُن - يو» حيث تقرأ أمثلة تسنفع - تسي ، تجد هذه الكلمات منقوولة عن أقدم نسخة كنفوشيوسية : «الرجل البار» ، الانساني ، هو وحده ، قادر ان يحب الناس وينبغضهم ، كما يليق ».

ومعاصره غوتاما^(١) اوجب محبة جميع الناس ، حتى ابأس البائسين ، واحقر المحتقرين لكنه أيضاً اوجب هذه المحبة ذاتها لاصغر الحيوانات ولجميع الكائنات الحية .

في «البوذية» ليست محبة الناس الا تمريناً نافعاً بقصد استئصال محبة الذات التي هي دعامة الحياة المادية ، يريد بوذا ازالة الالم ولازالت الالم لا يرى من وسيلة الا ان يغرق النفس العمومية في «نرفانا»^(٢) : في العدم . فالبوذى لا يحب اخاه حباً باخيه بل حباً بنفسه :

انزل منزلة استاذه من الاكرام . قال بعض المؤلفين ان لهذا الرجل واستاذه تصانيف كثيرة في الفلسفة العقلية وهي غاية في الاعتبار عند اهل الصين الى يؤمنوا بهذا .

(١) غوتاما : هو غوتاما بوذا مؤسس الديانة البوذية

(٢) كلية صينية معناتها الراحة المطلقة من الوجود ، وهي في الديانة البوذية منتهى الصلاح .

ليتجنب الالم ، ويسلط على الانانية ، وينخطو خطوة نحو « الفناء ». وحبه العمومي ، بارد ، نفعي ، ااني هو ضرب من « اللافريقيّة » الرواقية ، سواء عنده الالم والفرح .

في مصر كان الجثمان يحمل معه الى القبر نسخة من « كتاب الاموات » درأة للنفس امام محكمة او زيريس^(١) فكان الميت يتبااهي قائلاً : لم اجوع احداً ! ولم ابك احداً ! ولم اقتل ! ولم امر بقتل احد ظلماً ! ولم اسلب شيئاً من احد ! اعطيت الجوان خبراً والعطشان ماء والعريان كساء ، والمسافر الموقوف مرکباً ، وقربت للالهة ذبائح ، واقت للاموات ولائم » نجد هنا البر وأعمال الرحمة . — ولكن هل اتهموها حقاً ؟ — لكننا لا نجد ابداً الحب ، واقل من ذلك ايضاً ، حب الاعداء القدماء وهذه هي اعمال الرحمة في شريعتهم .

ولكي نعرف كيف كان المصريون يعاملون اعدائهم فلنقرأ هذه

(١) او زيريس : أحد الاله المصريين القدماء . ويزعمون انه ابن جويتر وينوبا . تزوج بامرأة تسمى ايوبين فهاجرت به الى مصر خوفاً من يونيون امرأة جويتر . واسمها هذا الكلمة عبرانية معناها روح الدنيا او مدير جميع الكائنات والظاهر انهم كانوا يعنون به الشمس . وفي الخرافات ان تيفوت الاله الشر انتصر على او زيريس الاله الخير وقتلها . ولكن او زيريس عاش ثانية وتغلب على تيفون الاله الشر . وقد تزوج او زيريس امرأة أخرى اسمها ايزيس ولا تزال تمايلها وتعاثيلها حتى اليوم

الكتابة من الملك العظيم فيو بس ميريري الاول : ذهب هذا الجيش
بسالم ، فدخل بلاد « هيروشایتو » كما شاء ذهب هذا الجيش
بسالم : فاضرم النار في كل منازلهم . ذهب هذا الجيش بسلام :
فذهب جنودهم ربوات وربوات ، ذهب هذا الجيش بسلام : فساق
عدهاً عدیداً من الرجال والنساء والأولاد . وبهذا اکثر ما بغيره
تسر قداسته وتفرح »

وترك ايضاً زاراسوسترا (١) للايرانيين شريعة . تأس هذه
الشريعة عباد « اهوراما زدا » ان يرتفعوا باخواهم في الایمان فيكسوا
ال العراة ويطعموا الجياع من العمال فهي ابداً مقصورة على المحبة المادية
لمن يلوذون بنا ويخدموننا ، وينتبون علينا — اما الحب فلا —

قالوا ان يسوع لم يكن لديه ما يزيد على الشريعة الموسوية
ولم يعمل الا ان ردّد الوصايا القديمة متخفحاً فيها . قال موسى في سفر
الخروج « لا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ،
يد بيد ، رجل ب الرجل ، حرق بحرق ، جرح بجرح قض بقض »
· واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك رب الاه نصيبياً فلا تستبق
منها نسمة ما ، بل تحرمها تحرماً ، ولا تشفق عينك » . خطوة
واحدة وتنتهي الى الحب : « لا تضطهد الغريب ولا تضايقه ، فقد
كنتم أنتم ايضاً غرباء في ارض مصر ، » هذا بدأة . لكن

(١) زار سوسترا : هو المشترع والنبي الفارسي القديم وقد ورد ذكره

الغريب الذي يعيش بيننا ليس هو « العدو » و « لا تسيء اليه »
لا يعني : اصنع له الخير . يأمر سفر الخروج : أن لا تضايقه . لكن
سفر الثانية أكرم يدًا فهو يقول : « اذا نزل غريب في أرضكم فلا
تظلموه . كلوطني منكم يقول لكم الغريب النازل عندكم ، وتحبونه
كذواتكم لأنكم كنتم غرباء في ارض مصر » إذن هو الغريب النازل
بينكم ، الغريب الذي صار وطنيا لكم ، فاصبح كاحدمكم صديقاً لكم .

في هذا السفر ذاته تقرأ : « لا تنتقم من أبناء شعبك ولا يحمل
قلبك حقدا عليهم ». خطوة ثانية الى الامام : لا تقابل من يسيء
اليك بالاساءة بشرط أن يكون من شعبك فنحن اذن الان ليس
امام « الغفران » بل امام « نسيان » كريم مقصور ابدا على ذوينا
الادنين وحدهم .

« احباب قربك كنفسك . وقربك هو وطنيك وأخوك
جنسا ، الذي قد يكون لك نافعا اما العدو ؟ فهذه الكلمة في العدو ! :
« اذا صادفت ثور عدوك او حماره شارداً فاردده اليه . اذا رأيت
حمار مبغضك واقعاً تحت حمله وعدلت عن حله فلا بد أن تحل معه »
اعظم بكارم اخلاق اليهود الاقدمين ! انه لجميل طرد الحمار بعيدا
فيتكلف صاحبه العذاب شديداً ليجده !! ومتى سقط الحمار من ثقل
الحمل على الارض فجميل بالذي يراه أن يضحك منه ويحتازه ولا
ينهضه ! ولكن قلب اليهودي القديم لم يكن متحجرا الى هذه الدرجة .

فإن الحمار كان ثميناً جداً في ذلك الزمان وذلك المكان . ولم يكن أحد يقدر أن يعيش بدون أتان ، على الأقل ، في مراحه . فلكل إنسان اتاته ، الصديق والعدوّ فإن شرد حمارك اليوم فقد يشد حماري غداً . فلا تنتقم من الحيوانات ولو كان صاحبها حيواناً . لأنني إن كنت عدوّ فهو عدوّي فلنعطيه مثلاً - مثلاً نافعاً - على ما زر جو بزدّ إليه حماره ونمدّ إليه يداً ليعدّل الجلال والقتب على ظهر الحمار . فيجب والحقيقة هذه أن أنهض حماره الواقع تحت حمله واساعده على ارجاع الحمل على ظهره ، لنفعل بالناس ما نود أن يفعله الناس بنا .

وفي هذه اللحظة ، فلنلق على أذني الآتان وكفله ، ونحن رحماء - كل فكر سيء - هذا قليل ! واليهودي القديم قد أخذ على عاتقه العناية بمحار عدوّه أما المزامير ففي كل شعر منها رنة تضج باللعنة على الاعداء وتهزّ عرش الرب تستنزل السخط ليضطهد هم ويستأصل من الارض ذكرهم . . . « ليسقط عليهم جمر ، ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا . رجل ذو لسانين لا يثبت على الارض . رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه ، وإلى الهالك مصيره ، أما نفسي فتبήج بالرب . »

ولذلك فانت لا نعجب اذا رأينا شاول مندهلا في ذلك العهد لأن عدوّه داود لم يقتله ، وأيوب يفاخر لأنّه لم يشمّت بعار عدوّه

وشقاءه . الا اننا نجد في سفر الامثال فقط بعض مواعيد لكلام المسيح اذ يقول : « لا تقل سأجاري شرا بشر ! ، بل ثق بالرب وهو يخلصك » فان العدو يجب ان يعاقب ولكن يعاقبه من هو أشد منك قوة ومع ذلك فان معلم الاداب المستتر الاسم قد ارتفع حتى الى الرحمة قائلاً : « اذا جاء عدوك فاعطه خبزاً ليأكُل ، واذا عطش فاعطه ماء ليشرب » انه لتقديم ! فالرحمة تتبسّط من الحمار الى صاحبه ولكن أتعجب المحبة المتفجرة من عظة الجبل لا يمكن بتة أن تكون قد صدرت من هذه الحكم والامثال الضئيلة ، المتغلغلة في زوايا التوراة .

لکنهم يشيرون الى هلال (١) هلال الكبير ، الرباني ، معلم غملائيل ، هلال البابلي ، هذا الفريسي المشهور عاش قبل المسيح بزمن قليل وعلم ، كما يدعون ، ما علمه يسوع فيما بعد . قد كان يهوديا ابا حيما وفريسيا متعلقاً ، وربانيا ذكياً ، لكنه كان مسيحياناً ! ولماذا ؟ صحيح انه قال هذه الكلمات : « لا تفعوا بالناس ما لا تريدون أن يفعله الناس بكم » هذه هي الشريعة كلها وما زاد فهو فضول » جميلة هذه الكلمات من أحد معلمي الشريعة القديمه لكن ما أبعدها عن

(١) هلال : معلم اسرائيلي ، ولد في بابل نحو سنة ١١٢ قبل الميلاد . ويقال انه جاء الى اورشليم وهو ابن اربعين سنة ، وانه صار رئيساً للسنهرديم « المجلس الاعلى لليهود » واسس مدرسة هلال . فقام ضدّه معلم اسرائيلي اخر اسمه شاهي ، وأسس مدرسة غير مدرسته . ولكن حزب هلال كان اقرب الى الحرية وكانت له السيادة .

كلام ناقض الشريعة القديمه ! هذه الوصية سلبية « لا تفعلوا » ولم يقل « احسنوا الى الذين يسيئون اليكم » بل قال « لا تفعلوا بالناس (وهؤلاء الناس هم ولا شك اصدقاء ووطنيون وأقرباء) « ما تحسبونه شرّاً » فهو نهي عن الشر لا امر جازم بالحبّ . وخلفاء هلال كانوا تابع التلمود الذين أوحوا الشريعة في مستنقع التفاسير المبهمة العقيمة ، واما خلفاء يسوع فصاروا الشهداء الذين باركوا جلادיהם .

فليون^(١) يهودي من الاسكندرية ، من اتباع فلسفة افلاطون ، وهو يكبر يسوع نحوً من عشرين سنة قد ترك أيضاً بحثاً عن « محبة الناس » لكنه فليون ، بكل توق قد قريحته وبكل نظراته التصوفية والموسوية هو مثل هلال ، رجل نظريات ، رجل قلم ودواة ، رجل درس في الكتب ، والمكاتب والمذاهب والنظريات والتصورات وال مجرّدات والتقييمات . ان منهاجه المنطقي يجيش الوفا

(١) فليون الاسكندرى من مشاهير علماء اليهود في الاسكندرية . عاش في القرن الاول المسيحي . وكل ما نعرفه عنه انه كان من عائلة غنية ، وانه حصل على جميع معارف زمانه . وفي سنة ٤٠ بعد المسيح زار رومية كرئيس للوفد الذى سافر لسؤال الامبراطور كالىغولا ان يعدل الامر القاضي على اليهود ان يعبدوا تمثاله . وله مؤلفات عديدة باللغة اليونانية اهمها « خلاصة حوادث الخليقة كا وردت في اسفار موسى » « و دروس في كتاب التكوين » و « تاريخ حياة ابرهيم » « ويوفس » و « موسى » ومقالات مختلفة في « الحitan » و « الملائكة » و « والذبائح » وغيرها .

من الالفاظ المصففة لكنه لا يجد الكلمة التي تحرق الماضي بلحظة ،
وتجمع القلوب . انه تكلم عن الحب أكثر من يسوع لكنه لم يعرف
ان يقول وما كان ليتفهم ما كان المسيح يقوله لاصدقائه الجهلة على
الجبل .

اخيل و فريام ^(١)

ولكن في اليونان الا نرى الحب للاعداء ؟ في اليونان كل شيء ! اليونات ، هذه الصين الغربية ، ام كل اختراع في عالم الاشياء التي توحى لها الفِكر . هكذا يقول دعاة الوثنية أعداء «خرافات فلسطين »

(١) فريام : هو اخر ملوك طرواده ، وكان ابن لاوميندون من ستريمو بصراته . ويدعوها بعض الـكتاب بالاسيا . تزوج اريسبا . ثم طلقها ليتزوج بها كوبا ، التي ولده منها اولاد عديدون ، اهمهم هكتاور ، وفاريس ، وذفو بوس وهلانوس ، ولاديقي وكاسنдра ، وبعد ان حكم فريام مدة في طروادة خطر له ان يستعيد اخته ايسيوني ، التي حملها هرقل الى اليونان ، ولاجل البلوغ الى هذه الامنية بنى اسطولا بحرياً واقام على قيادته ابنه فاريس . ولكن فاريس عوضنا عن ان يطيع اوامر ابيه ذهب فسي هيلانة امرأة منيلاوس ملك سبارطة وكانت هذه الحادثة سبباً للحرب الطرودية التي دامت عشر سنوات . وفي نهاية الحرب قتل فريام يد نيو بتولماوس ابن اخيل .

في كتاب صوفقل^(١) عن «ايات»^(٢) ان عوليس اهتزّ اشفاقاً
على العدوّ الذي أصبح في حالة من الذل ذليلة . وعثا حاولت اثينا^(٣)

(١) صوفقل : هو الثاني بين الشعراء الروائيين الذين ابغتهم اثينا . ولد سنة ٤٩٥ قبل الميلاد ، ولا نعرف شيئاً عن عائلته ، ولكنّه نال افضل ما يمكن من التهذيب في ذلك العصر . وقد خرجت شهرته للمرة الاولى في الشعر الروائي في سنة ٤٦٨ ق. م. عندما نال الجائزة الاولى في سباقه مع اسخولوس . وقد سافر اسخولوس اذ ذاك الى صقلية ولم يرجع الى أن جاء دور المزاحمة الشعيرية لالمرة الثانية ففاز عليه صوفقل هذه المرة ايضاً وظلّ الفائز عليه حتى عام ٤٤١ ق. م. عندما سبقه يوربيديس ولكنّ صوفقل سبق مزاجيه في نيل الجوائز الشعيرية ، فقد نال الجائزة الاولى نيفا واربع عشر مرّة ، والثانية أكثر من ذلك كثيراً ، اما الثالثة فلم ينلها قط . وفي سنة ٤٠٤ انتخب ليكون واحداً من القواد في الحرب ضدّ الحزب الارستقراطي في ساموس . وقد مات ابن تسعين سنة بعد ان ترجم مؤلفات عديدة بقى منها حتى اليوم ماية وثلاثون رواية من نوع الدراما وربما كان في نسبة الى كلها بعض المبالغة . واهمها «انتيغوني» و«ايلا كترا» و«طراخينيا» «واديبوس تيرانوس» و«ايات» التي يشير اليها المؤلف هنا وغيرها كثير .

(٢) ايات هو ابن تalamon وباريبيا . او ايربيبا . من افرس ابطاله الاغريق في حرب طروادة . وبعد موته اخيل تخاصم ايات واوليسيس على سلاح الميت الجبار ، ولكن اوليسيس فاز بها . ومن المؤرخين من يقول انه قتل بطعنة من فاريس ابن فريام وآخرين يقولون ان اوليسيس هو الذي قتله . والكلمة هنا يقصد بها المؤلف رواية متأليف صوفقل وهي من أشهر رواياته .
(٣) اثينا ويسماها الرومان مينارفا ، من اعظم الهة اليونان . وقد خرجت الى الحياة كاملة التكوين من رأس جوبيتر . وهي الاهة الحكمة والقوة ، وحامية الزراعة والمحصاد .

نفسها ، البومة المفدى ، ممثلة المحكمة الاغريقية ، أن تذكره :
« ان ارق الضحك واحلاه أن يضحك المرء من خصمه » لكن عوليس
لم يقتنع بل قال : « ابني اشفع عليه ولو انه عدو . لاني اراه شقي
الحظ ، سيء الطالع واذا نظر اليه افکر في نفسي ... لاني ارى انما
نحن اشباع ذاهبة وخیالات زائلة ، نحن كلنا الذين نحیا .. فليس
من العدل ان تسيء الى رجل يموت ولو كنت تبغضه . »

نحن من الغایة بمكان قصي ! ... فان عوليس النکر ما كان
ليخفى علينا دواعي اشفاقه اليسير الطبيعي . هو يرثي لعدوه لأنه
يفکر في ذاته ويصفح عنه لانه يراه مبكرا محترضا .

على أن هنالك رجالا حكم من عوليس ^(١) وهو ابن صوفر
نيسكونس النحات فقد سأله هذا الرجل نفسه في جملة اسئلة كثيرة ،
كيف يجب أن يعامل الرجل البار اعداءه . ولكننا لدى مطالعتنا
للمتن الاصلی نرى امامنا سقراطین لكل منها رأيه الخاص الذي

(١) عوليس او اوذیسيوس او اوذیس . هو ملك جزر ايشاكة وداهية
الاغريق وهو ابن انتیكلية ولا تریس تزوج بانالوبة ابنة ایفاریوس ، فتتخلى له
ابوها عن ملك جزر ايشاكة . وقد اشتراك في حرب طرواده وذاعت شهرته
بما اظهره من الدهاء والمکر وعند رجوعه من الحرب عرج على بلاد اليونان
خصادف في سفرته من الاھوال والاخطر العديدة ما يضيق بنا المقام عن سردہ
الان ، ويكفي أن نقول ان سفرته استغرقت عشرين سنة . والمعامرات التي قام
بها في رجوعه من حرب طرواده تؤلف كل الموضوع الذي بني عليه هومیروس
اوذیسته .

يختلف عن الآخر . فالأول وهو سocrates (١) كزينوفون يوافق على

(١) سocrates : هو أشهر فلاسفة القدماء . ولد قرب اثينا سنة ٤٦٩ قبل المسيح وقد اشتغل في حرفة ابيه مدة ثم تركها . وخدم كجندي عادي في حملة بوتیدية (٣٤٢ - ٤٢٩ قبل المسيح) وحارب في معركة ديليون (٤٢٤) وفي سنة ٤٢٢ هجم مع كليون على امفيبوليس . وقد ظهرت شجاعته وحكمته في هذه الحروب ، وقد كان الواسطة لخلاص حياة الكيبياذيس وكسينوفون . وقد وعى في رأسه جميع معارف العالم القديم وكان جريئاً في القول متعشقاً للحقيقة لا يهاب في سبيل التصریح بها لومة لائم . ولكن هذه الروح اكثerta اعداءه فاتهموه بالكفر والمرroc من الدين ، وهي وسيلة لا يزال الناس يلجأون إليها كما ارادوا التنقص من كرامة ذوي الكرامة . وقد حكم وقضى عليه بملوت من اجل بدنه في الديانة اليونانية . فشرب السم ومات ابن سبعين سنة وذلك سنة ٤٠٠ قبل المسيح . ودفاعه امام قضاته من أشهر الخطاب القدیمة ، وهو مترجم الى جميع اللغات الحية . وكل ما يعرفه التاريخ عن امرأته كسا نثیبه انها ولدت له ثلاثة بنين وانها كانت ضربة ثقيلة على حياته احتملها كمالاً العمر بكامل الصبر . لم يكتب سocrates شيئاً . ولم ينشأ ان يوجد لنفسه مدرسة او طريقة خاصة به . وكانت له عادة ان يخالط الناس في جميع ادوار حياتهم ومصالحهم ويجادلهم وباحثهم في سبيل الحصول على المعرفة الحقيقة . وكان يحبه اخصامه وفي مقدمتهم ارسطوفانيوس سفسطائياً يتاجر بالكلام ، وعدوا لدواداً للدين ، وفاسقاً يفسد ادب الاحداث . ولعل المؤلف بايدني من رأى ارسطوفانيوس من هذا القبيل . ولكن هذا لم يؤثر في ان يكون له أصدقاء عديدون واصحهم افلاطون وكسانوفون واقيليديس وغيرهم من مشاهير حكماء اليونان وقد اتفق افلاطون وكسانوفون ، وهو خير من يعتمد عليه في معرفة سocrates وحياته ، غير أن غايتها الوحيدة من الحياة كانت تتحصر في ان يقنع الناس بجهالتهم لاجل خيرهم ، وان حياته كانت بركة للاثنين ، وانه لم يعبأ بالموت فقط .

الرأي الغالب بأن الأصدقاء يجب أن يعاملوا بالحسنى والاعداء يجب ان يعاملوا بالرديء ، وانه لا فضل للإنسان ان يسبق اعداءه الى الشر قبل ان يبادئوه هم بشرهم . وما قاله خاروكراتوس ما يأتي : « ان اجدر الناس بالثناء ذلك الذي يسبق اعداءه الى الاساءة واصدقاءه الى المساعدة » ولكن سقراط افلاطون لم يوافق على هذا الرأي الملتوي . فقد قال لكراتوس « لا تقابل ظلما بظلم ولا شرا بشر مهما أصابك من الاذية » وقد أيد هذا المبدأ في كتابه « الجمهورية » وثبت ان الشرير لا يصيّر الانتقام افضل مما هو ولكن القائم في رأس سقراط انما كان عاطفة العدالة لا عاطفة الحبة . وفي كل حال لا ينبغي للبار ان يعمل الشر وذلك صونا لكرامته هو - تنبهوا ! - لا رأفة بعده . والشرير يجب ان يقتصر من نفسه او ان يناله بعد موته عقاب قضاة الجحيم . ولكن تلميذ اريسطو ^(١) يريد مررتاحا الى

(١) اريسطو هو الفيلسوف والطبيعي اليوناني الشهير . ومؤسس المدرسة الفلسفية الذائعة الشهرة ولد سنة ٣٨٤ قبل المسيح في ستاغيرا بمقدونية ومات في خالسيس سنة ٣٢٢ قبل المسيح وكان والده نيكوماخوس طبيبا رسميا للملك المقدوني اميانتاس الثاني . ولكن اريسطو خسر والديه وهو لم يبلغ السابعة عشرة بعد ، فجاء اثيناليدرس في مدرسة افلاطون ، وقد عاش مع هذا الفيلسوف مدة عشرين سنة كان في اثنائها متفردا بمحة الذهن وثاقب الرأي وعندما مات افلاطون ، في سنة ٣٤٨ قبل المسيح جاء اريسطو وسكن في مدينة اتارنيوس في ميسيا وذلك بدعوة من تلميذه القديم هرمياس حاكم تلك المدينة ، ولكنه لم يلبث ان هرب مع امرأته فيثا ، ابنة اخت هرمياس عندما قتل الفرس حاكم

رأى القديم اذ قال في كتابه « الفلسفة الادبية » لنيكوما خوس «أن

المدينة ، فجاء وسكن في ميتيليني . وفي اثناء اقامته هناك اقتبل دعوة من فيليب ملك مقدونيا لكي يذهب الى بلاطه ويتولى تهذيب ابنه الاسكندر الذى كان اذ ذاك في الرابعة عشرة من العمر . فاقام اريسطو في بلاط فيليب يعلم الاسكندر مدة خمس سنوات درس الامير الفتى في اثنائها الصرف والنحو والخطابة والشعر والمنطق ، والفلسفة الادبية ، والسياسة ، وما كان معروفا في ذلك العهد من التاريخ والطبيعيات . وعندما ارتقى الاسكندر عرش ابيه اخذ اريسطو مستشارا وصديقا له الى ان عزم على القيام بحملته الاسيوية سنة ٣٣٤ قبل المسيح فرجع الفيلسوف الى اثينا واعاد تأسيس مدرسته . وكان يلقي خطبه في دار هيكل افولون « ابو لو » وهو يسير مع تلاميذه ذهابا وايابا . ومن هذه الحركة ، او من اسم الماشي في الدار « باريباتي » دعيت مدرسته مدرسة المشاة . وقد خرجت شهرة مدرسته فتقاطر اليها الطلبة من جميع أنحاء اليونان وصارت أشهر مدارس اثينا . وفي اثناء اقامته في اثينا كتب كتبه العظيمة وبعد موت الاسكندر ثار الاينويون على المقدونيين واصدقائهم فاضطر اريسطو ان يهرب الى خالسيس ولم يقم هنالك طويلا حتى عاجلهته المنيه . ومن رأى سترابون ان اريسطو ترك مؤلفاته كلها لتميذه ثيوفراستوس الذي نظمها واقتلمها بمساعدة غيره من التلاميذ وقد ظلت كتبه تنتقل من يد الى يد الى سنة ٥٠ قبل المسيح حينما نظمها اندرونيکوس ورتبها على ما هي اليوم . و اكثر الكتب التي ينسبونها اليه مزورة ويرى جهور المؤرخين ان كتبه الاصادية تنقسم الى منطقية ونظرية وعملية . فالمنطقية تدخل كلها تحت عنوان « اورغانون » او الفياس . والنظرية تنقسم ، الى الطبيعيات ، والرياضيات وعلوم ما وراء الطبيعة . فالمؤلفات الطبيعية تبحث (١) مبادئ عامة في العلم الطبيعي (٢) السماوات (٣) الولادة والموت (٤) علم حوادث الجو وعلماته (ماتاوروولوجي) (٥) تاريخ الحيوانات الطبيعي (٦) انواع الحيوانات (٧) ولادة الحيوانات (٨) حركة الحيوانات (٩) النفس والذاكرة والنوم

القعود عن مقاومة التعدي إنما هو برهان العبودية والخنوع »
إذن فالمُنقّبون عن سلف الناصري في اليونان قد باوا بالخيبة
والخذلان .

غير أن أعداء يسوع لكي يجعلونا نعتقد بان المسيحية وجدت
قبل يسوع قد اخترعوا نذًا ليسوع في رومية ذاتها ، في قصر القياصرة
الرومانيين أنفسهم فادعوا بان سنكا (١) مهذب ضمائر الاحداث ،

والقيقة والاحلام والوحي اما كتبه الرياضية فتنقسم الى بحثين اولا في الخطوط
المنقسمة ، والثاني في المسائل الميكانيكية . وفي ما وراء الطبيعة كتب اربعة عشر
كتابا . اما مؤلفاته العملية فتشمل . الفلسفة الادبية ، وعلم السياسة ، والاقتصاد
والفنون ، (وتدعى النيكوماخيات لانه اهداها الى ابنه نيكوماخوس) والشعر
والخطابة . وقد طبعت مؤلفاته بجموعة كاملة باللغة اللاتينية مع مقدمة بلغة بقلم
الفيلسوف الاندلسي العربي ابن رشد في مدينة فنسيس سنة ١٤٨٩ وذلك للمرة
الاولى اما النسخة اليونانية الاولى فلم تطبع حتى سنة ١٤٩٥ - ٩٨ ومن احب
الاطلاع على فلسفته فعليه بالموسوعات الكبيرة والكتب الخاصة بذلك .

(١) هو لوسيوس انطونيوس سنكا ، المسمى بالفينيسوف سنكا . ولد في
كوردويا من اعمال اسبانيا سنة ٣ بعد المسيح وقد جاء الى رومية مع والده
الخطيب المشهور ودرس عليه العلم واظهر تقدما سريعا في تفهم اسراره . ولم
يغض عليه مدة طويلة حتى اعتنق المذهب الرواقي وافضل ما كتبه رسالة تعزية
وجهها الى امه ورسالة اخرى عزى بها يواينيروس على فقد أخيه . وقد كتب
هاتين الرسائلتين من منفاه في كورسقا لان الامبراطور كلوديوس نفاه بسبب
تهمة وجهها اليه اعداؤه حسدا منه سنة ٤١ بعد المسيح ولكن
دعى سنة ٤٩ فرجع الى رومية وعيّن وصيا على الفتى الذي صار فيما بعد امبراطورا
باسم نيرون . وقد كانت ايام حكومة نيرون العادلة الاولى مدينة لـ كـ هـ سنـ كـ .

زعم مذهب الرواقين الطقسي الظاهري ، سنكا الارستوغرطي .
عدو العواطف الذي لم يتحرك قلبه قط بالشفقة على الفقراء ، صاحب
الاملاك الواسعة الذي كان يتظاهر بأنه يحتقر الغنى ولكنه كان ينظر
إلى أمواله بعين جشعة ويحرض عليها ، سنكا الذي كان يعلم
بتحرير العبيد وبالمساواة بين العبد والحرّ وفي الوقت ذاته كان
يشتري العبيد ويدفع لهم ، ذلك الشرح اللوذعي للوسواس والشرور
والرذائل العاملة والفضائل الفريضية الظاهرة ، الذي مسخ عقيدة
كريسيبيوس (١) السائرة بجلاء إلى حيث الكرامة والكمال ، —
قام أولئك الأعداء يدعون أن سنكا هذا كان مسيحيًا من غير أن
يعرف شيئاً عن المسيحية في زمن يسوع نفسه . فتراهم يشيرون إلى

ولكنه ما لبث أن خسر نفوذه لدى نيرون ، وعندما اتهم بالاشتراك بمؤامرة بيزو
اضطر أن ينتحر سنة ٦٦ بعد المسيح أما مؤلفاته فهي عبارة عن مقالات مختلفة
في «الغضب والبصرة» . وسلامة الفكر . وثبات الرجل الحكيم . وخطاب في الرأفة
وجهه إلى نيرون . وسبعة كتب في «المنافع» . وسبعة أخرى في «درس الطبيعة»
وعشرين رسالة في الأدب . أما الروايات المنسوبة إلى سنكا فان لغتها تختلف كثيراً
عن لغته ، ولذلك يرى المؤرخون أنها منسوبة إليه زوراً ولعلها من وضع أخيه
واسميه أيضاً سنكا .

(١) كريسيبيوس : فيلسوف يوناني قديم من كيليكيا . عاش ما بين ٤٨٢
و ٣٠٩ قبل المسيح وقد كان من الداعاء الإيقوريين . ويقال انه كتب
نحو ٧٠٠ كتاب اكثراها في الجدل والمنطق . ولكن لم يبق منها إلى أيامنا
الا قطع متفرقة .

كتبه باصاً بعهم مفاحرين بما جاء فيها (وَكَثِيرٌ مِّنْ كُتُبِهِ أَنَّمَا كَتَبَ بَعْدَ مَوْتِ الْمَسِيحِ، لَأَنْ سَنَّكَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالسِّتِينَ لِلْمَسِيحِ)! وفي مقدمة ما جاء به من آياته ما يأتي : الرجل الحكيم لا يثار لنفسه بل إنما ينسى الإساءة الموجهة ضده » و « إننا لا نستطيع أن نقتفي أثار الآلة ما لم نحسن إلى غير الشكورين ، لأن الشمس تشرق على الأشرار كما تشرق على الآخيار والبحار تحمل مراكب الآسياد كما تحمل مراكب العبيد ، » وآخرًا قوله : « يجب أن نغضّ أعداءنا بيد صدوق » ولكن تناسي الفيلسوف ليس بالصفح الذي تحتاج إليه الإنسانية ، ومعاضدته تستطيع أن تكون مظهراً من مظاهر الغيرة البشرية ولكنها ليست بالمحبة . فان الفريسي المرائي الخامل ، والفيلسوف العجب بفلسفته ، والرجل البار المفاخر ببره ، إنما يستطيعون أن يحتقرّوا إساءة الصغير الحقير وينسوا نخزات الأعداء الضعفاء ، بل يجوز أن تستفزهم النحوة ومحبة الشهرة إلى أن يعطوا رغيفاً من الخبز إلى عدو جائع طمعاً في الحط من كبرائهم وإنزاله من قنة عنفوانه وكاله . ولكن ذلك الخبز قد خبز بخمير الزهو والغرور ، وتلك اليد المدعية الصداقة والأخلاق أعجز من أن تتشف دمعة من الدموع أو تضمد جرحاً من الجراح .

أجل ، ان العالم القديم لا يعرف المحبة . وإنما يعرف الشهوة للمرأة والصداقة للصديق ، والعدالة للوطني الذي يتمنى عدلاً ،

أو الضيافة للغريب ولكن أبناءه لم يذوقوا طعم المحبة الكاملة . فقد كان الله رفس حاميًّا للغرباء والحجاج وكل من طرق باباً من أبواب اليونانيين كان يعطى ما يشاء من ما كل أو مشرب أو منام ، وكانت الشريعة تقضي بمؤاواة القراء ، وكسوة العراة ، ومساعدة الضعفاء وتعزية الحزانى بالكلمات الطيبة ، ولكن أبناء الأجيال الخواли لم يذوقوا طعم المحبة ، المحبة التي تتألم وتتسى ذاتها ، المحبة لجميع الحزانى والمنسيين . المحبة للفقراء والوداعاء ، المحبة للمطرودين والمدوسين بالاقدام والخذولين والمهملين ، المحبة للجميع ، المحبة التي لا تميز الوطني من الغريب ، والجرم من الفيلسوف ، والآخر من العدو والقبيح من المليح

في التشيد الاخير من الايات شيخ طاعن في السن نراه حزينا جائيا على ركبتيه أعدائه الذي قتل أبناءه يقبل يده بعد أن قتل له اخر أبناءه وأعزهم على قلبه . نرى الملك فريام الشيخ ، رئيس الامراء والاغنياء في المدينة الخربة ، أبا الحسين ابناً يركع على قدمي اخيه البطل المغوار ، أشد اليونانيين تعasse وشقاء ، ابن الاهة البحر ، المنتقم لفطرقل وقاتل هكطور ، نرى رأس ذلك الملك الشيخ الجليل بالبياض منحنياً امام الشباب الزاهي الفخور بانتصاره ، حزيناً يبكي على قتل اخر أبناءه الحسين وأجملهم وأشدتهم باساً وأحفهم على روحه ، نرى ذلك الشيخ يبكي وهو يقبل يد قاتل ابنه ويقول له

« اذْ كَرِيَا صَاحِنَ لَكَ أَبَا شِيخاً ضَعِيفاً بَعِيداً عَنْكَ وَلَا مَعِينَ لَهُ .
فَاسْتَحْلِفْكَ بِحُبِّ أَبِيكَ الْعَزِيزَ ، أَنْ تَرُدَّ إِلَى عَلَى الْأَقْلَ ، جَثَةَ ابْنِي
الَّذِي قُتِلَتْهُ »

هناك نرى أخيل الوحوش الضاري والبربري الجزار يضم
عربيضة الملك فريام إلى جانبه وي بكى بكلاء مرا ، هناك نرى الاثنين
معا ، العدوين ، الغالب والمغلوب ، الاب الذي تكل ابنه والابن
الذي لن يرى وجه أبيه ، الشيخ الاييض الشعرا والشاب الذهبي
الشعر يبكيان معاً وقد ربط الحزن قلبيهما للمرة الاولى ، والناس
يتفرسون فيها بدھة وسکون . ولا غرو ، فنحن انفسنا بعد مرور
ثلاثين قرنا تتفتر أفئتنا لحزنها .

ولكن إذا أمعنا النظر في هذه الفاجعة نرى أن قبلة فريام لم
يكن فيها شبه للصفح أو رسم للمحبة . فان هذا الملك انما اذل نفسه
امام عدوه رجاء أن ينال منه معروفا صعبا لم يكن واثقا بنيله عن
غير طريق تلك القبلة ، واخيل لم يبك على هكذا طور الميت ، كلا ،
ولا على فريام المتباكي ، ولا على الرجل المتجرّب الذي جاء إليه صاغراً ،
ولا على العدو الذي جاء ليقبل يد ذايم أولاده ، كلا ! بل
انما بكى على خسارة صديقه ، على فطرقل العزيز الذي كان يحبه
أكثر من كل أبناء الأرض ، بكى على فيلا المتروك في افينا ، بكى
على أبيه الذي كان واثقاً بأنه لن يعاقبه أبداً لأنه عرف أن أيام شبابه

معدودة . وان كان اعطى الوالد الشیخ جثة ابنه المیت — الجثة التي
جرّها على التراب أياماً — فقد فعل ذلك اكراماً لارادة زفس لا
اظهاراً لصفحه عن عدوه . لقد بكى كل من الرجلين على نفسه ، اما
قبلة فریام فكانت ابنة الفسورة القاهره ، واما اجابة اخيه فلم تكن
سوی طاعة عمیاء للله الصماء ولذلك فاننا لا نرى من اثر للمحبة
حتى في أشرف عهد من عهود البطولة القدیمة ، لا نرى اثراً للمحبة
التي تقضي على البعض قضاء مبرماً وتحل محله في القلوب ، لا نرى
أبداً اثراً للمحبة التي هي أقوى من القوة والبغض وأشد منها توقداً
وضراماً واحلاماً ، الحبة التي لا تأمر بنسیان الاساءة بل بمحبة
الاساءة ، لأن الاساءة انما هي تعس وشقاء لصاحبها الذي يرتكبها
أكثر ما هو للذى يتأنم منها .

أجل ، ان العالم القديم لم يحمل بمحبة الاعداء . فان يسوع هو
أول من علم بهذه الحبة في العالم بل هو أول من فكر فيها في
ذهنه . ولم يعرف العالم شيئاً عن هذه الحبة الى عهد العظة على الجبل .
 فهي أعظم وأصل المباديء التي تركها يسوع لبناء الانسان . فقد
كانت أغرب تعلم من تعاليمه ولا تزال الى اليوم أংجوبة اكتشافاته
المديدة والمحددة . بلى ، انها جديدة علينا الى هذه الساعة ،
جديدة لأننا لا نفهمها ، ولا نطيعها ولا نعمل بها ، وستظل خالدة
خلود الحق الى الابد .

أحبوا

« سمعت انه قيل ، أحبب قريباً وابغض عدوك . أما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعداءكم ، باركوا الأعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات : فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين ، فانكم ان أحبتم من يحبكم فأی أجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوانكم فقط فأی فضل عملتم ؟ أليس الوثنيون يفعلون ذلك ؟ فكونوا اذن كاملين كما أن أباكم السماوي كامل هو ! »

كلمات قليلة ، عارية ، بسيطة ، لا تفلسف فيها : لكنها هي الدستور الاعظم للذرية الجديدة ، الذرية الثالثة ، الذرية التي لم تولد بعد . أما الذرية الاولى فكانت ذرية البهائم التي لا شرائع لها وكان اسمها « الحرب » والذرية الثانية ذرية البربرة ، التي هدبتها الشريعة وكان اسمى أغراضها « العدل » وهذه هي الذرية الباقية الى الان فان العدل لم يقهر الحرب والشريعة لم تحل محل « الحيوانية » بعد . أما الثالثة فينبغي أن تكون ذرية الرجال الحقيقيين ، لا الرجال الابرار فقط بل القديسين ، لا أشباه البهائم بل أشباه الله . فكرة يسوع وحيدة واحدة : وهي أن يحول الناس من بهائم

الى قديسين بواسطة الحبّة ، كانت الساحرة سيرسي (١) الزوجة الشيطانية في الميثولوجيات الجميلة تحول الابطال الى بئائم بواسطة الشهوات . أما يسوع عدو الشيطان وعدو سيرسي فيخلص البهيمية بقوة أقوى من الشهوة .

وسعياً وراء هذا العمل الذي يبدو مستحيلاً لنا — نحن البشر الفطريين — مالنا الا أن نهرب الى الاقتداء بالله . اذ لا بد من يقترب الى القدس ، ان يضع نصب عينيه الالوهية . « كونوا قديسين لأن الله قدوس . كونوا كاملين لأن الله كامل . »

هذه الدعوة تشير صدى تذكارات في قلب الانسان . قد قال الشيطان : « وتكونان مثل الله » وقد قال يهوه لقضاته ، « كونوا آلة ، كونوا ابراراً كما أن الله بار » ، « اما الان فلا يكفيانا أن نكون علماء مثل الله ، ولا أن نكون أبراراً على مثال الله ، فلم يبق الله علما وعدلا فقط بل قد صار الله ، يسوع أبانا ، قد صار محبة فان أرضه تعطي قتلة الناس خبزاً وأزهاراً ومن يجده فعليه يرى ، حيث

(١) سيرسي : هي ابنة سول (الشمس) وباريسيس هي مشهورة بالسحر واللعب على القيثارة السامة . وقد جملها ابوها الى جزيرة تدعى آيايا . وعندما رجع اوديسيوس « او ليسيس من حرب طرواده زار شواطئ هذه الجزيرة فولت سيرسي رفقاءه بطرائتها السحرية الى خنازير . ولما كان اوديسيوس عارفاً باسرار السحر بقوة نالها من ماركورى رسول الآلهة ، امرها ان ترجع وجاله كما كانوا فارجعتهم . ويقال انه تزوجها بعد ذلك وولدت له ابنيين .

ستيقظه ، تلك الشمس التي تدفء الابيدي المضمومة لالصلاة ، ان الاب يحب ، حبا متساويا من يتركه ومن يطلبه ، ومن يطيعه ، في يبيته ومن يتقياه مع خمره . ان الاب قد يحزن ، وقد يبكي ويتألم — لكن ما من شرير يستطيع أن يصيده مثله شريراً فيغريه بالانتقام .

ونحن الذين أدنى كثيراً من الله ، نحن المخلوقات المحكوم علينا بالزوال الذين لا نكاد نذكر أمس الدابر ونجهل الغد الآتي نحن المخلوقات الحقيرة ، الشقية ، أما يحمل بنا كثيراً أن تكون لأخواننا في الضراء مثلما الله لنا ؟

الله هو المحجة العليا لفرضنا الاسمي ورغبتنا في الخلود . فان تركناه وابتعدنا عنه ولم نكن ، كما نسألة في الصلاة ، أن يكون معنا افلانكون نحن قد خرجنا عن مجتنا الوحيدة ، وقضينا قضاء مبرما على هذه السعادة التي خلقنا لأجلها ؟ ولاجلها نحيا والتي هي سعادتنا والتي قد حلمنا بها ، وأردناها ، التمسناها ، ودعوناها وسعينا ببحث عنها عبثاً بين كل السعادات الخادعة التي ليست من الله : قد قال بوسويه « لنكن آلة ، فهو يسمح لنا بذلك : أن نقتفي قداسته »

فمن منا يرفض أن يكون مثل الله ؟ ان الالوهية فيها ! البهيمية تضمّها وهي قشرة قاسية تعوق نمونا . من يأبى أن يكون لها ؟ بربكم أيها الناس ، هل أنت بالحقيقة راضون على أن تكونوا كما أنتم نصف

بشر — ونصف بـهم — «قناطرة»^(١) بلا بأس ، «وخيالين»
بغير حلاوة ، وعفاريت لها قدما عنز^ا ؟ هل أنت راض يلشريتك
النَّفْلَة ، وحيواناتك المكبوبة نوعاً — وقداستك التي إنما هي
رغبة^ا ؟ والحياة البشرية ، كما كانت ، وكما لا تزال حتى اليوم ، اترتها
سعيدة بحيث لم يبق من حاجة للسعي إلى قلبها وجعلها غير ما كانت
وغير ما هي اليوم ، وعلى عكس ما تبدولنا ، مع بذل الجهد لأن
تكون على مثال تلك الحياة التي تخيلها منذ قرون أن تكون في
المستقبل وفي السماء ؟ أليس في الامكان أن يجعل حياة ثانية جديدة
من حياتك هذه ، وأن تغير هذا العالم إلى عالم أكثر الوهية وتهبط
أخيراً إلى الأرض ، السماء وشريعة السماء ؟

هذه الحياة الجديدة ، هذا العالم الارضي بل السماوي هو

(١) قنطروس او قنطير ، جمعه قناطرة ، وهو مخلوق خرافي كان يأوى
لى أكم تساليا واجها . زعموا انه له شطر انسان قائما على شطر حصان . والاصل
في هذه الحرافة ان القوم كانوا فرسانا محنكين ، فما زال اصحابهم يبالغون في
اطرائهم حتى الصقوا الفارس بالفرس وهم إنما كانوا في بدء امرهم كبني عمران
يقول المتنبي *

الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها والطعن في لباتها
فكانها نتاجت قياما تحتهم وكانتهم ولدوا على صهواتها
والقطورس ايضا احد الابراج الثمانية والاربعين التي رسماها بطليموس وتقلدتها
عنه العرب فغيروا رسمه ومثلوه بهيئة دب منتظر حصانا . ولا ريب ان لفظة القنطير
عند العرب يعني الداهية مأخذة من هذه المادة (البستانى في الالياذة)

ملکوت السماوات — ولکی یأقی هذا الملکوت یجب أن نسمو
على هذا البشري ونعمل من أنفسنا الهة ، ونصير أشباهها الله ،
ونقتدي بالله .

ان سر هذا الاقداء هو الحب ، والطريق الامين الذي يؤدي
الى ما فوق البشري هو الحب حب الانسان ، صديقاً او
عدواً ، واذا كان هذا الحب مستحيلا خلاصنا مستحيل ، وان
نفرنا منه فلان المنه ينفر منا ، وان كان باطلاماً آمالنا بالفداء
يطلان . ان محية الاعداء تبدو لرأي العامّة جهالة : أجل ان في الحماقة
خلاصنا . ان حب الاعداء يعاتل بعض الذات : ولأن بعض الذات
اما هو الطريق الوحيد الى الغبطة .

لا يتسلط علينا الخوف مما نحن فيه . فقد امتحنت الامور
وتمت التجارب . ولا تقولن ان الزمان قد ضيع علينا مساعينا . نحن
في هذا العالم منذ الاوانيين ، نجتمع الاختبارات ونكدر سها . قد
اخترنا « الفراء » واذا الدم ينادي الدم ! وجر بنا الدعاارة . فإذا
الدعاارة أبقيت لنا في أفواهنا مذاق العفن والنتانة وتحرقا احر وامض .
قسرنا اجسادنا الى آنق المللذات تنوقا وأملحها والي أحسن الخلاعة
وأقبحها ، واستفقنا فإذا نحن على فراش من الزبل ، متخنن جراحًا ،
وجربنا الشريعة ، وهذه الشريعة قد تعذيناها وعدّلناها ، ثم
تعذيناها و « العدل » لم يشع قلوبنا . واخترنا « العقل » : أحصينا

الخلوقات . وعَدَّنا النجوم ، ووصفنا النباتات ، والأشياء الحية والملائكة ، وربطناها معاً بخيوط مشدودة إلى «التصورات» وغيرها مظاهرها في سحائب علوم وراء الطبيعة وظلت الأشياء في آخر الأمر على حالها ثابتة فما هي الان لتكتفينا وما نحن نستطيع أن نجد دهـا .
فالأسماء والأعداد ما كانت لتسد جوعنا وانتهى الحكماء بأن اقرّوا بالجهل متشارقين . وجرّبنا «الفن» وإذا عجزنا قد أیأسـ الاقوياء فيما . لأن «المطلق» لا يتقييد بالأشكال و«المتنوع» يفيض على «المتوحد» «والمادة المصنوعة» لا تصنون الهيولي .
وجرّبنا الغنى وإذا نحن أفقرـ ما كنا ، ولم تطمئن نفسنا في شيء .
وجسمـنا المحدود لم يذق راحة في ظلـ من الضلال محاـود ، وإذا
قلـبـنا الدائب سعيـا قد أصبحـ أعجزـ وأتعبـ ، وأفرغـ لأنـه لم يجدـ
«راحـته» في خـيرـ من الخـيـورـ ولم يـجدـ «فرـحـه» في لـذـةـ من اللـذـاتـ ،
ولـمـ يـجدـ «سعـادـتـه» في فـتحـ من الفتـوحـ .

الامتحان الاخير

يسـوعـ يـعرضـ علينا اـمـتـحـانـهـ الاـخـيرـ ، اـمـتـحـانـ الحـبـ الذـيـ
يـقـدمـ عـلـيـهـ أحـدـ قـطـ ، وـحاـولـهـ الـأـقـلـونـ فيـ قـتـرـةـ منـ حـيـاتـهـ نـادـرـةـ ،
هـذـاـ اـمـتـحـانـ الاـشـقـ طـرـيقـاـ وـالـأـشـدـ مـقاـوـمـةـ لـغـرـيـزـتـنـاـ ، وـلـكـنـهـ

الوحيد الواحد الذي يفي بما يعد .

فالانسان ، على ما يخرج من الطبيعة ، لا يفكّر الا في ذاته .
ولا يحب الا نفسه ، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً بشمن جهود لا توصف
إلى حب امرأته وحب أولاده والصبر على شركائه في الصيد والقتل
والحرب ، وقد يمكنه أن يحب صديقاً له ، ندوراً ، وعفواً يبغض
الذين يحبونه ، ولا يريد أن يحب من يبغضه .

هذا هو الذي يأمر به يسوع : حب الاعداء ، ولكن يخلق
الانسان الجديد يجب استئصال أمنن الاصول في الانسان العتيق .
فأصل الشرور والمذايحة والبلايا ، كلها جمعاً : هو حب الذات .
ولقمع آدم القديم يجب نزع هذا الحب منه واستبداله بالحب المنافي
كل المنافاة ، لطبيعته الحالية ، أن تغير الانسان تغيراً كلياً له شذوذ
سام لا ينتهي اليه الا في طريق شاذ ، هو مسعى خارق غير طبيعي ،
أحمق ، لا يحقق الا بحمق ضد الطبيعة وضد النظام .

حتى الآن ، يجب المرء نفسه ويبغض من يبغضه . أما رجل
المملكت الم قبل فيجب أن يبغض نفسه ويحب من يبغضه . أما أن
يحب القريب كنفسه فهو صورة ناقصة واستسلام الى الانانية الشائعة
لان من يجب نفسه لا يستطيع أن يجب غيره جماً كاماً ، ويرى
ذاته على اختلاف أراء مع غيره ، اضطراراً ، وبغض أنفسنا انما هو
الدواء القاطع الناجع . انا نغالي في حب ذواتنا، وفي العجب بذواتنا ،

وفي تعلق ذاتنا . وانتصاراً على هذا الحب الاعمى يحمل بنا أن نرى صغارتنا وعدمنا . ان بعض الذات توافع : اذن ، مبدأ التوبة والكمال . والتواضعون وحدهم يذكرون طول الطريق الذي يبعدهم عنه نحن نتعيّظ على الغير لأننا نحكم انهم أسوأوا الى «انا» المحبوبة وانهم لم يخدموها . تقتل أخانا لانه يلوح لنا انه عقبة في سبيل خيرنا «نحن» وسرق جماً بجسدنَا «نحن» . وارضاء بجسدنَا نحن فساق الحسد ، «أبو الفتن» هو الغم من أن أحدا غيرنا يملك أكثر منا . والكبرياء هي الاختخار بثقتنا اننا أكثر من الغير واننا نعلوهم بمال والعلم ، فكل ما تسميه الاديان والاداب والشرع : خطيئة ، أو رذيلة ، أو جريمة ، ينشأ من هذا الحب : حب أنفسنا وبعض الغير الذي يولده هذا الشعور المشوش ، هذا الحب الاوحد المنزوي في الصدور .

أي حق لنا بان نبغض اعداءنا إذا كنا نحن قد سقطنا في هذا الخطأ : هذا البعض ، الذي يبدو لنا انه يبرر بغضنا .

أي حق لنا أن نبغضهم ، حتى ولو انهم ارتكبوا بعض الشر ، حتى ولو حسبناهم اشراراً ، متى كنا نحن انفسنا نرتكب ، مثل شرهم في معظم الحين وننغمس في المساوىء عينها .

أي حق لنا أن نبغضهم إذ نحن كلنا تقريباً ، نحمل تبعية بغضهم واذ نحن نضطرهم ، باغلاقنا الكثيرة الصادرة من حب ذاتنا المسيح ،

الى أن يبغضونا؟

شيء هو الذي يبغض ! فهو أول من يتآلم ! فما ينبغي لنا —
ولو استعاضة من هذا الالم ، الذي نكون نحن ، غالباً ، سبباً له ،
قريباً أو بعيداً — ان تقابل بالحب هذا البغض ، وبالعدوبة هذه
التساوية ؟

عدونا هو أيضاً منقذنا . ويجب أن نشكّره كل يوم فهو وحده
يرى ويقول غير متملق ما فينا من شنيع وخسيس .

هو يستعيدنا الى طبيعتنا الحقة ، ويوقظ ضمير عوزنا الادبي ،
الذي هو المبدأ الجوهري للحياة الجديدة . فنحن يجب له علينا الحب
— ولو من قبيل عرفان الجميل .

أجل ان عدونا محتاج الى حب ولا سيما الى حبنا . من يحبنا
قد استوفى ، في ذاته ، فرحة واجرها ، فهو غير محتاج الى مبادرتنا ،
لكن من يبغضنا فهو انما ينفتح مرارة الماء . هو يبغض لأنها متألم
ونحن ملومون ، بوجه ، على هذا الالم . حتى لو اننا نحسبنا براء —
عن عجب في النفس — فواجينا ان نلطف ، بالحب ، ألم عدونا ،
ونخفف شره ، ونهديه روعه ، ونصيره فضلا ، ونرده أيضاً الى
غبطة الحب . فتى أجبناه عرفناه أحسن ، ومتى عرفناه أحسن أجبناه
أكثر . اذا أجبناه تراءى لنا نفسه أصنف وأشف ، وكلما اخترقناه ،
اكتشفنا أن له حقاً في اشفاقنا وحبنا . لأن كل عدو آخر نكره .

نبعض عفواً أولئك الذين نشأبهم . ورب شيء فينا — وقد نجهله
فينا — هو في عدونا ، ويسبب ، أحياناً عداوتنا . فإذا أحبينا
عدونا تقينا روحنا بالمعرفة ورفعنا في روحنا روحه . ورب بعض مفرق ،
يخرج منه نور يحرر . كما يستخرج من شر الشرور خير الخيور .

من هنا ، يأتي هذا الانقلاب الذي يأمر به يسوع ! حين يحب
المرء غداً ما يبغض اليوم ، تصبح حياته تقىض هذه الحياة وإذا كانت
حياة اليوم حياة شر وروقتوط فلا تكون الحياة الجديدة إلا حياة
صلاح وعزاء . لأول مرة تصبح الغبطة حظاً لنا ، وملكت
السماءات يلتدىء على الأرض ، ونجد من جديد الفردوس مدى
الابد . قد ضاع لأن الرجلين الأولين أراداً معرفة الخير من الشرِّ
لكن ، بفضل الحب المطلق المساوي لحبَّ الآب ، لم يبق خيرٌ
وشرٌ . فقد غالب الشر وقد استعلى عليه الخير . كان الفردوس
«الحب» — الحب بين الله و «الرجل» بين الرجل والمرأة . وهو
ذا حب كل رجل لكل الناس يصبح الفردوس الارضي الجديد ،
الفردوس المستعاد . وبهذا المعنى فالمسيح هو الذي يقود آدم إلى عتبة
عدن ، ويعلّمه كيف يستطيع أن يدخله ويعيش فيه إلى الأبد .

أبناء آدم لم يؤمنوا به قط . رددوا كلماته ولم يتبعوها . والناس
بضم قلوبهم ، ما يزالون يُلُّون في جحيم أرضي ينتقل من عصر إلى
عصر وهو يتزايد لهبا . إلى اليوم الذي تستند فيه الآلام في صدور

الهالكين حتى لا يطيقونه يتولد بفترة ، بغض البغض . الى اليوم الذي يتوصل فيه المحتضرون النايرون ، في ثوران يأسهم ، أن يحبوا جلادיהם ، حينئذ ينبعق ، أخيراً ، من ظلمات الآلام الحالكة ، النساء النقّي الوضاء ، سناه ربيع عجيب .

أبانا

طلب التلاميذ من يسوع صلاة .

كان قد علمهم أن يصلوا صلوات قصيرة ، سرية . لكنهم لم يرتابوا قط الى الصلوات التي كان كرهان الهيكل الفارون ، المتسبدون بالكتب ، يأمر ونهم بها . قد أرادوا صلاة لهم وقد أصبحت ، كأنها رابطة ، لا ولئك الذين تبعوا يسوع .

يسوع على الجبل ، علم لأول مرة «أبانا» وهي الصلاة الوحيدة التي أشار بها . وهي أبسط صلاة عرفت . صلاة لا فصاحة فيها ، ولا لاهوت ، ولا جسارة ، ولا خصاصة . أجمل جميع الصلوات . لكن ان كانت «أبانا» ساذجة فالجميع لا يفهمونها . فات ترديدها على اللسان والشفتين ترديداً آلياً على ممر الاجيال ، ترديداً صوريآً طقسيآً ، على غفول وذهول قد جعل منها قرداً مقاطع ضاع بغیرها المعنى الاصلي المألوف فلو أعيدت تلاوتها ، كلة ، كلة كأنها نص

جديد وقع أمام عيوننا أول مرة ، اليوم ، اذن لا ضاعت صفة
الابتدال المطروق واستعادت في معناها الاول ، جدّتها النقيّة .
«أبانا» اذن نحن منك قد صدرنا وأنت تحبنا كأبناء ومنك
لن ننال شرًا .

«الذي في السماوات» — في ذلك الموضع المناقض للارض ،
وفي الدائرة المصادمة للمادة — في الروح ، الجزء الصغير — ولكنه
السرمدي — الذي هو نفسها .

«ليتقدس اسمك» — اذن لا يكفي أن نعبدك بالفم فقط بل
أن نكون مستأهلين لك ونقترب منك بحب أقوى . حتى لأن تكون
بعد الآن ، رب الثار ، رب الحروب ، لكن الآب الذي يعلم
الغبطة في السلام .

«ليأت ملكتك» — مملكت السماوات ، مملكت
الروح والمحبة ، والأنجيل (البشرية بالفرح) .

«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» —
لتسد شريعتك شريعة الصلاح والكمال في الروح والمادة ، في العالم
المنظور والعالم غير المنظور .

«خبرنا الجوهرى أعطانا اليوم» — لأن مادة جسدنَا ، القوام
الضروري للروح ، يحتاج ، كل يوم إلى شيء من المادة لقيامه . نحن
نطلب الغنى ، العائق الموقب بل هذا اليسير الذي يهيء لنا هو أن

نعيش فنصلح أكثر استئهاً للحياة التي تعد بها ، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، لكن لو لا لقمة الخبز هذه ، لما استطاعت النفس ، ساكنة هذا الجسد ، أن تتغذى بما كل أئمن من غير الخبز .

«أترك لنا ديوننا كما نحن ترکها لمديونينا» — اغفر لنا كما نحن نغفر لغيرنا . لن نستطيع أن نصير في حل منها أمامك . لكن أنظر أنه لا سهل عليك أن تتناسى ذكر كل ديوننا من أن ترك طبيعتنا الشريرة دينًا واحدًا لمدون واحد من مديونينا .

«ولا تدخلنا في تجربة» — نحن ضعفاء ، ونحن أيضا عرضة للّهم في هذا العالم الذي يظهر ، في بعض الأحيان جيلاً بديع الجمال فيغيرينا بكل رخوات الخيانة . فساعدنا حتى لا يكون رجوعنا ضعيفاً معموزاً فيتأخر دخولنا إلى الملائكة .

«لكن نجنا من الشرير» — أنت الساكن في السماوات ، أنت الروح ، أنت المتسلط على الشر ، على المادة المعادية القاسية . أنت ، يا عدو الشيطان وتقىض المادة ، ساعدنا في هذا الانتصار على الشر الذي ينمو دائمًا ويتکاثر ، اذ انه لا يقهرون حقًا الا متى قوهه الجميع » — في هذا الانتصار النهائي تقوم عظمتنا ، غير أنها لا تدنو من هذا النصر إلا بعون ميثاقك .

بهذا الدعاء تنتهي «أبانا» انه لا يرى فيها ما في الصلوات الشرقية من المجاملة الممالة : مسامح طويلة من المدائم غلبت فيها

المغارة كأنما قد اخترعها كلب يُسجد ، في نفسه المستكبة ، لصاحبه الذي يعده بان يعيش ويطعم . ولا يرى فيها من اثر للتسلات « صاحب المزامير » الدامع ، يلتمس من الله كل عون ، والزمي أكثـر من الروحـي ، وينتـحب اذا محل الحصاد او اساء اليه ذووه ويـستـنزل الجـراحـ والـسـهامـ على اعدـائـهـ الذين لا يـسـتطـيعـ ان يـقـهرـهمـ وـحـدهـ . هنا المـدـيـحـ الـوحـيدـ هوـ كـلـةـ «ـ اـبـاـنـاـ »ـ حـمـدـ هـوـ وـاجـبـ وـدـلـيلـ حـبـ .

من هذا الآب لا تلتـمسـ الاـشـيـئـاـ وـمـنـ خـبـزـ — وـنـحـنـ عـلـىـ اـسـتـعـدـادـ لـكـسـبـهـ ، لـانـ بـشـارـةـ الـمـلـكـوتـ اـنـماـ هيـ شـغـلـ لـازـمـ — ثـمـ حـمـاـيةـ وـاقـيـةـ لـحـارـبـةـ الشـرـ ، الـذـيـ اـنـماـ هـوـ عـدـوـ النـاسـ كـلـهـمـ ، وـالـحـيـطـ الغـلـظـ المـانـعـ عـلـيـنـاـ دـخـولـ الـمـلـكـوتـ .

لـكـنـ الـذـيـ يـقـولـ «ـ اـبـاـنـاـ »ـ مـاـهـوـ مـتـكـبـرـ ، وـلـامـتـذـلـلـ . اـنـهـ يـخـاطـبـ اـبـاهـ كـأـنـماـ يـخـاطـبـ نـظـيرـاـ لـهـ ، بـلـهـجـةـ الـوـاـقـيـقـ الـقـرـيـبـ الـقـرـاءـةـ ، وـلـمـاـ كـانـ مـتـيـنـ الثـقـةـ بـاـنـهـ يـكـبـهـ يـعـرـفـ انـ اـبـاهـ يـعـرـفـ رـغـبـاتـهـ ، وـلـاـ حـاجـةـ إـلـىـ اـخـطـبـ الطـوـيـلـةـ وـيـسـوـعـ يـنـبـيـهـ «ـ اـنـ اـبـاـكـمـ عـالـمـ مـاـ تـحـتـاجـونـ اـلـيـهـ قـبـلـ اـنـ تـسـأـلـهـ »ـ اـنـ اـجـمـلـ الصـلـوـاتـ هـيـ اـيـضـاـ اـنـ تـنـذـرـ كـلـ يـوـمـ كـلـ مـاـنـنـ فيـ حـاجـةـ اـلـيـهـ لـنـكـوـنـ اـمـتـالـ اللهـ .

آيات عظيمة

بعد ما اذاع يسوع شريعة الاقتداء بالله الجديدة نزل من الجبل .
ان الانسان لا يستطيع ان يعيش عمره كله على اعلى الجبال
لاننا في الدقيقة التي نصل فيها الى قمة الجبل انما تكون قد هيأنا
ذواتنا لدقيقة أخرى نهبط فيها عن قمة ذلك الجبل . وما الصعود
بالحقيقة سوى التعهد بالنزول ووعد بالهبوط أيضاً وكل من أعطي ان
يؤدي رسالة عامة الى العالم يجب عليه ان يسعى الى حيث يسمعه العالم ،
لانه إذا عاش عمره على قم الجبال فقليلون هم الذين يقدرون على السكنى
معه ، لأن قم الجبال باردة على ذلك الذي لم تحرق نيران المحبة
المقدسة كيانه القديم وتدفع به الى سمو الحياة العلوية الجديدة ، وقليلون
هم الذين يسمعون صوته في الجبال . لأن الذي جاء لكى يعطي من
خزائنه الروحية التي لا تفرغ لا يستطيع ان يسأل الناس المصايبين
بالتدرن الرئوي ، والسماء بقلوبهم ، والمرتхиين بعفاصلهم وأعصابهم ،
ان يتبعوه الى الجبال وهم يتعرجون ويتوتون . بل انما الاجدر به ان
يتبعهم بنفسه الى السهل ، الى اكواخهم وحقولهم ، يجب عليه ان
ينحدر هابطا اليهم لكى يرفعهم الى رفعة علائه .

وقد عرف يسوع ان التعاليم الفخورة في اعلى الجبال لا تكفي
وحدها لنشر البشارة الطيبة للجميع . وادرك ان الناس في حاجة

إلى كلام الحقائق بامثال وبشكل بسيطة لكي تكون واضحة وضوح الحق لكل ذي عينين . غير انه كان يعرف ايضا ان كل هذا مع كفايته لن يأتي بالنتيجة المرغوب فيها .

واما الشعب الذي تبع يسوع ، وتبعه يسوع ، فكان شعبا فظا ، خشننا ، جاهلا حقيرا ، وقف حياته على المادة ولم يكن قادرا على فهم الحقائق الروحية الا تدريجيا وبحبود عظيمة ، وبراهم حسية ، وايات ورموز مادية . ولم يكونوا قادرين ان يفهموا حقيقة واحدة من الحقائق الروحية مالم تجسدها لهم بمثل مادي او حكاية تنطبق على عقولهم ، وتنقصها عليهم بلغتهم والفاظهم واصطلاحاتهم . وكثيراً ما تقود الحكاية الرمزية الى وهي طهور قلما يتأنى للناس عن طريق التعليم الجافة المجردة ، بل كثيراً ما تكون العجيبة في نظرهم تأييداً لحقيقة جديدة او تبييتاً لرسالة مشكوك في صحتها . ولم يكن أولئك الشرقيون ليكتفوا بالوعظ المقتصر على سرد الحقائق المجردة والمبادئ المقررة النافضة ولذلك رحبوا بامثال يسوع بأجمعهم . أما يسوع فقد عمد في تعليمه الى العجائب والشعر ، فاجترح المعجزات وعلم بالامثال وهنالك كثيرون من العلماء المحدثين كانت العجائب الواردة في الانجيل الاربعة في مقدمة الاسباب التي أبعدتهم عن يسوع وعن كتابه . لأن أدمعتهم المتقلصة لا تستطيع أن تسع الامور الغريبة . ولذلك يقولون أن الانجيل يكذب في روايته للحوادث كثيرة ، وبما أنه

يُكذب في مواضع متعددة لا يمكن أن تصدقه في أي أمر من الأمور التي رواها لنا . لأنه يستحيل أن يكون يسوع قد أقام الاموات بعد أن ماتوا وقبروا : ولذلك فلا قيمة لتعاليمه في نظرنا .

هذه هي حجة هؤلاء الأغرار ، وهذا منطقهم الفاسد وما أسخفها حجة وأفسده منطقاً . فانهم يأخذون للعجبات أهمية ومعانٍ لم يقصدوها يسوع قط وهم لو أعملوا الفكر في درس البشائر الأربع وعرفوا أن يسوع كان يمتنع دائمًا عن صنع العجائب — لرأوا أن يسوع نفسه لم يكن يشعر بأهمية فائقة لهذه القوة الروحية العليا التي كان يجترح العجزات بها . فكان يرفض اجترار العجيبة كما ستحت له الفرصة ، ولم يعمل عجيبة قط إلا تلبية لنداء امرأة أو رجل مؤمنين يأتيان إليه متسلين أن يزيل عنهم تعصّمـاً وأن المتأمل البصير يرى بملء الوضوح في الاناجيل الطاهره أن يسوع لم يصنع عجزة ما أكراماً لذاته أو سعيـاً وراء حماية نفسه وخلاصـه مما ألمـ به من الضيق والحزن . فلم يصنع عجيبة في البرية عند ما كان مع الشيطان ، ولا في الناصرة عند ما قبضوا عليه ليقتلوه ، ولا في بستان الجھانمية عند ما جاءوا لكي يقودوه إلى الموت ، عند ما عيروه وسألوه أن يخلص نفسه ، لأن قوته كانت لغيره ، لمنفعة أخوانه بالجسد القاطنين على الأرض .

وقد جاء إليه كثيرون يسألونه أن يصنع آية أو عجيبة أمام الناس

حتى أن غير المؤمنين به يؤمنون بأن رسالته هذه هي الرسالة الحق ، فأجابهم قائلاً : «أن الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ، فلا يعطي الآية يونان النبي » ولكن ما هي هذه الآية ، يرى الكتبة الانجليزيون الذين كتبوا بعد القيامة أن يونان كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم خرج حيًّا كذلك أقام يسوع في قلب الأرض ثلاثة أيام ثم قام ناهضًا ، ولكن تتمة حديث يسوع في هذا الموضوع تظهر أنه إنما يعني أمر آخر ، قال : «رجال نينوي سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويحكمون عليه ، لأنهم تابوا بكرز يونان ، وهما أعظم من يونان» ان نينوى لم تطلب آية من يونان أو معجزة بل تابت ب مجرد الكرز والبشاره ، ولذلك فان الناس الذين لا يهتدون بكلام يسوع وحده — الذي يبشر بحقائق اسمى — هم أحط من رجال نينوى ، هم عبَّاد وثن ، هم برابرة .

لان الايمان يجب ألا يتوقف على العجائب وحدها ، بل يحدركم أن نعلم ان الايمان — وهو أسمى اذا جاء عن غير طريق الآيات والمعجزات — يستطيع أيضًا صنع المعجزات . وأما ذرو القلوب القاسية المظلمة الذين أقاموا حاجزًا بينهم وبين الحق ، فانهم لا يهتدون عن ضلالهم ولو عاينوا أعظم المعجزات . «ان لم يسمعوا من موسى والأنبياء فانهم ولا أن قام واحد من الاموات يصدقون» وفوق ذلك فان المدينتين اللتين كانتا قاعدتين عظيمتين لاعظم المعجزات قد

رفضتا يسوع واحتقرتاه ولذلك وبخها قائلاً: «ويل لك يا كورزين! ويل لك يا بيت صيدا! لانه لو صنع في صور وصياداء ما صنع فيكما من القوات لتابتنا قد ياما جالستين في المسوح والرماد».

ولم يكن يسوع يعتقد بان صنع العجائب من ميزاته الخاصة . ولذلك عندما أخبروه ان رجلاً يخرج الشياطين باسمه اجا بهم قائلاً « لا تمنعوه » وقد منح قوة صنع العجائب لتلاميذه بقوله « اشفوا المرضى ، طهروا البرص ، اقيموا الموتى ، اخرجوا الشياطين ، مجاناً اخذتم ومجاناً اعطوا ».

وقد كان الدجالون والمشعوذون في ذلك العهد يجتربون الآيات والغرائب التي كانت تبدو للناس كأنما هي عجائب ومعجزات . ومن أولئك الاغرار سمعان الساحر الذي كان يعمل العجائب في السامرية، حتى أن تلميذ الفريسيين انفسهم كانوا يعملون عجائب ، ولكن العجائب وحدها لا تكفي للدخول الى الملائكة . « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم ، يارب ، يارب ، الم تتنبأ باسمك ، وباسمك المخرج الشياطين ولم نصنع باسمك آيات عظيمة ؟ وحينئذ ساقول لهم « اني لم اعرفكم ، ابعدوا عني ياصنعي الاثم ! » لانه لا يكفي ان تخرجوا الشياطين من غيركم ان لم تخرجوا الشياطين من قلوبكم ، شياطين الكبراء وشياطين الطمع .

وبعد موته س يأتي اناس ويصنعون عجائب كثيرة أيضاً . فسيقوم

مسحاء كذبة ، وابنياء كذبة ، ويعطون علامات عظيمة وعجائب حتى انهم يضللون المختارين لو امكن » قد سبقت فاخبرتم . فلا تصدقوا هذه الايات ولا تؤمنوا بهذه العجائب حتى تنظروا ابن البشر .

لان عجائب الانبياء الكذبة لا تثبت صحة ما يدعون . »

لاجل هذا جمیعه كان یسوع یتجنب اجترار العجزات جهده ولكنه لم یکن یتمكن دائمًا من صم أذنيه عن استماع توسّلات المبتلين بالامراض والاحزان ، وكثيراً ما كانت شفقته تسقى تضرعاتهم الى صنع الاعجوبة التي هم في حاجة اليها . لان العجيبة ليست سوى ثمرة من ثمار الایمان ، وقد كان ایمان یسوع متناهيا في الكمال ، وكان ایمان الذين برأوا بواسطته عظيما جدا . ولكنه كان في الغالب بعد ان یشفی المريض الذي يأتي اليه یوصيه ان یبقي امر شفائه مكتوما قائلاً له « انظر الا تقول لاحد شيئاً بل اذهب في طريقك » وما اجر الدين لا یصغون الى الحقيقة الازلية التي جاء بها یسوع ، بحجة أن العجائب تزعزع ایمانهم ، ما اجردهم أن يتذکروا الاية التي قالها یسوع لтомا ، « طوبي للذين لم یروني ویؤمنون » .

العمیان یتصرون

ثلاثة لا يستطيع الانسان ان یعيش بدونها : الخبز والصحة

والامل ، ولو حبس عنه كل ما في العالم وترك له المتع بهذه الثلاثة فانه يعيش — ولكن ثائرا لا عنا ، غير انه اذا لم يكن له على الاقل واسطة للحصول على هذه الثلاثة فانه يتمنى الموت في كل لحظة لأن الحيات بدون هذه الحاجات الفضورية موت زواء ، موت شنيع يسمم الحياة ويظلم النفس . فالجوع يضي الجسد ، والامراض تجعل الانسان عدو نفسه واليأس — وهو ان لا يتوقع الانسان حالة افضل من الحالة التي هو فيها ، ولا يرجو وقاية من أذى او خلاصا من ضرر — يستولي على القلب فيفقده اماله ويصبح الانسان معه لا يميز بين أمر وأمر ولا يجد لوجوده او لاعماله غاية او قيمة . وما اكثـر الذين لا ينتحرـون لأنـهم يجدـون في الانتحـار جـريمة لا تـغـفر .

ولذلك وجب على من يود أن يجذب الناس الى محنته ان يعطيهم خبرا وصحتا وأملا . يجب ان يطعمهم ويشفي امراضهم ويحدد في نفوسهم الإيمان بحياة اسعد وأجمل من حياتهم .

وقد جاء يسوع الى العالم لكي يعطي العالم هذا اليمان الحي فكان يوزع الخبز المادي والخبز الروحاني على جميع الذين تبعوه الى الجبال والى البرية . فرفض ان يحول الحجارة الجامدة الى ارغفة من الخبز عندما سأله الشيطان ان يفعل ذلك ولكنه جعل الارغفة الحقيقة تشبـع المئـات والآلـوف . ولم يكتـف بذلك بل حول الحجارة التي يحملـها الناس في صدورـهم الى قلوب انسانية لا تحتاج الا

بالمحبة والرحمة .

لم يرفض يسوع مريضا تقدم اليه . ولم يحتقر جسده بالجلد والضرب . لانه لم يكن يعتقد بان الالم الجسدية ضرورية للسيادة على الشرّ فان الشرّ شرّ ويجب ان يطرح خارجا . والالم شكل من اشكال الشرّ فان حزن النفس وحده كاف للخلاص ، ولذلك فاية حاجة الى تعذيب الجسد عبشا ؟ كان اليهود القدماء يعتقدون ان المرض عقاب من الله على الخطيئة ، ولكن المسيحيين يعتقدون بان المرض عون على التوبة .

ان يسوع لم يعتقد بان الخلاص الحقيقي هو في الالم والقروح والمسوح بل ان : اعطوا ما للجسد للجسد وما للنفس للنفس . فكان يحب الجلوس الى موائد الاصدقاء ، ولم يكن يرفض كأسا من الخمرة المعتقة ، وقد قبل المرأة التي سكبت الطيب على رأسه وقدميه ولم يردّها خائبة . وكان يستطيع ان يصوم اياما عديدة من غير ان يتناول طعاما ، كما انه كان قادرا ان يقتصر في معيشته على قطعة من الخبز وجزء صغير من السمك المشوي ، وكان يستطيع ان يفترش الغبراء ويتوسد الحجارة الصماء ، ولكنه لم يبحث قط عن الالم والجوع والحزن قبل ان يأتي الزمن . وكان يقدس الصحة ويلذ له الجلوس الى الطعام مع نخبة من الاصدقاء ، وكان يستطيع ان يتناول كأسا من الخمر مع جماعة من المحبين الصدوقين ، ولم يكن يرفض ان يتمتع

برأحة الطيب الغالي الثن في حينها اذا لم يكن من جميع ذلك ضرر
ل احد من الناس .

وعندما كان يأتي اليه المرضى ملتمسين منه شفاء كان يشفىهم
الحال من امراضهم . لانه لم يأت الى العالم لكي يحبس الحياة عن
العالم بل انما جاء لكي يمنح الحياة للجميع ، ولكي يضع اساسات
راسخة لحياة اكمل واسعد من هذه الحياة . ولم تتحصر مهمته في شفاء
المرضى ، لأن رسالته كانت تقضي باستئصال الالم الروحية من العالم
وتؤيد الفرح الروحي والسعادة السماوية في الارض . ولكنه لم يرفض
قط ما كان يعرض له ، وهو في جهاده ضد الالم الروحية ، من
الالام الجسدية ، بل كان يبرئها بقوته الالهية غالبا الراحة والصحة
الجسد والنفس معا . غير انه كان يرفض أن يحصر اعماله في الجسد
لان غايتها كانت اسمى من الجسد ، لانه لم يشأقط ان يخيل الى الناس
انه ساحر دجال يطوف في البلاد ، أو انه مسيئا الارضي الذي كان
اكثر الناس يتوقعون قدموه ، وبما أنه جاء لكي يقهر الشر وبما ان
بعض الناس كانوا يعرفون بما اعطيه من القوة لاخضاع جميع الشرور
تحت قدميه ، لاجل ذلك كانت محبتة تدفعه الى تخفيف الشرور
الجسدية .

وعندما كان يتقي على الطريق المطروقة بابناه الصحة بجماعة
من البرص الماهمين على وجوههم المشوہين الخفيفين ، وينظر الى

زرقهم وانتفاخ أجسادهم ، وبشرتهم ذات القشور البدية من تحت ثيابهم الرثة البالية عندما كان ينظر إلى تلك البشرة المقصّرة ، المبرقعة . البشرة المفلّعة ، البشرة اليابسة المتبعدة ، التي تشوّه الفم ، وتغمض العينين ، وتيسّي السنان ، عندما كان ينظر إلى أولئك الأشباح التعساء الحزانى ، المهجورين من الجميع ، والمفروزين عن الناس ، والمحتقرين . من كل إنسان ، المقتنيين بقليل من الخبر ، والشاكرين إذا حصلوا على قدر صغير لكي يشربوا به ، أو خربة قديمة يتوارون في ظلها لكي يتناولوا طعامهم الحقير ، عندما كان يلتقي بأولئك البرص فينادونه باعلى أصواتهم وكلمات الاتهام تخرج من شفاههم المقرحة المنتفخة ملتمسين منه ، وهو القدير بالقول والفعل ، ملتمسين تحقيق أملهم الوحيد في حياتهم الشقية المؤدية إلى اليأس ، ملتمسين الصحة والشفاء باعجوبة من يسوع ، فكيف كان يقدر وهو أبو الرحمة والله كل تعزية أن يزجرهم عنه ، كما كان يفعل بهم غيره من الناس ، ويتجاهض عن احابة صلواتهم ؟

وعندما كان يرى المصريين يتربعون في التراب ، ووجوههم تتلوى متسلحة متعلونة بالوان مختلفة ، والزبد يرغي من اشداقهم ، والمصابين بالأرواح النجسة يصرخون مولولين في القبور الخربة ، وهم يعانون مثل كلاب الليل الشريرة ، حزينين مغمومين ، والملوugin الذين لم يبق لهم من احساسهم سوى القليل الذي يجعلهم يشعرون

بمرارة الامهم ، وقد باتوا كأنما هم اجساد هامدة تقطن فيها نفوس سجينية ضارعة ملتمسة خلاصا ، والعميان ، العميان الراعين ، المسجونين في ظلمات الليل منذ مولدهم - الذين تذوقوا مرارة ظلمة القبر قبل ان واراهم الثرى - الذين يتغشرون في مشيمهم ملتمسين طريقهم بين السعادة الذاهبين والقادمين بحرية وطمأنينة أولئك العميان المساكين الذين كانوا يسيرون رافعين رؤوسهم ، ومحملين بعيونهم ، كأنما هم يتلمسون النور من أعماق اللازهاية ، أولئك العميان الذين لم يكن العالم في عرفهم ، سوى سطوح خشنة يتلمسون طرقهم في منعرجاتها ، العميان العائشين وحدهم ابدا في ظلمة العالم ، الذين لم يعرفوا الشمس الا بحرارتها وما تبعث من الدفء لا جسادهم ! - عندما كان يرى يسوع جميع هؤلاء التعباء المضروبين بالشقاء فكيف كان يمكن ان يغلق ابواب رحمته عن اغاثتهم وابراهيم من امراضهم ؟

وحبه الذي يتسامى عن الشفقة المعتادة كما تتسامى طبيعته عن الطبيعة البشرية لا يسعه ان يتغاضى عن توسلات تستطيع ان تناول من قلب وثني . هذه التضرعات التي تلمس حبات النفوس - حتى في صمتها .

جواب ليو حنا

كان يسوع يشفى المرضى ولكنّه لم يكن ساحراً مشعوذًا . ولم يلجأ قط في حياته إلى السحر والتعازيم والتعاويذ والدخان والستائر والالغاز . ولم يلتّمس مساعدة قط لا من قوّة السماء ولا من قوّات الأرض والجحيم فقد كان يكتفي بكلمة واحدة ، او صوت قوي ، او كلمة لطيفة ، او اشارات محبة وملائفة . فكانت ارادته وایمان المستدعي الشفاء كافيين لابراء المريض . ولكنّه كان يسأل كل من جاء يستشفي منه قائلاً ، « هل تؤمن باني استطيع ان افعل هذا ؟ » وكان يقول له بعد الشفاء « اذهب . ایمانك قد جعلك صحيحًا » وكان يعتقد ان العجيبة هي اتحاد ارادتين للخير والصلاح وملامسة حية بين ایمان الشافي وایمان الذي يلتّمس الشفاء « الحق اقول لكم لو كان لكم ایمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من ههنا الى هناك فينتقل ، ولا يستحيل عليكم شيء ولو كان لكم ایمان مثل حبة الحنطة لكنتم تقولون لهذه التينة انقلعي من جذورك وانظرحي في البحر فتتطيعونكم » اما الذين ليس لهم ایمان بجزء من الف من حبة الخردل فقد اقسموا بان مثل هذه القوة وهم باطل ، وان يسوع لم يكن الا دجالاً محتالاً .

قد اطلق الانجليزيون على العجائب ثلاثة اسماء ، وهي كما وردت

باليونانية هكذا « ديناميس » ومعناها قوات و (تيراتا) ومعناها معجزات و (سيمایس) ومعناها علامات او آيات . فكانت العجائب علامات للذين حفظوا النبوة عن مسيّا في قلوبهم ، وكانت معجزات لاولئك الذين كانوا يتوقعون ادلة ان المسيح هو مسيّا المنتظر ، غير انها لم تكن عند يسوع وفي يسوع سوى قوات واعمال قديرة ، وأنوار برق منبعثة من قوة فائقة للبشر .

كان شفاء يسوع ذات صفتين ، فلم يكن يشفى الجسد فقط ، بل كان يشفى الجسد والنفس معا ، وهو انما جاء خصيصاً لشفاء امراض النفس واستئصال اوجاع العالم الروحي حتى أن مملكت السموات تثبت اساساته على الارض .

على ان اكثرا امراض في العالم ذات صفتين أيضا : جسدية وعقلية ، تصح فيها الاستعارات والرموز . فقد شفى يسوع المجمع ، والعرج ، والممُعدين ، والمصابين بأنواع الحميات المختلفة : والمستيقن من الرجال ونمازفات الدم من النساء ، وشفى جراح السيوف - فاعاد اذن ملحوس التي قطعها بطرس في ليلة الحمامة الى موضعها - وكل ذلك لكي يكون الباديء في تنفيذ شريعته القائلة . احسنوا الى الذين يسيئون اليكم » تنفيذا كاما ولتكنه كان في الغالب يشفى المصابين بالارواح الشريرة : فابرأ الممُعدين ، والبرص ، والعميان ، والخرس ، والصم ، لأن الامراض العقلية كانت تعرف في القديم بالاصابة من

الارواح الشريرة حتى ان الاستاذ اريسطوا نفسه كان يعتقد بالاصابة من الارواح الشريرة. وكان الناس يعتقدون في ذلك العهد بان المجنين والمصروعين والمصابين بالأمراض العصبية على اختلافها ، اما قد غزتهم الارواح الخبيثة . على ان ايضاحات العلماء الحديشين واكتشافاتهم التي هي في الغالب سطحية ظاهرية لا تنقض الحقيقة الواقعية بان من سكنته الشياطين يكون دائما على النحو المرقوم اعلاه . وان هذا الايصال العام الوافي قد جاء موافقا بذلك التعليم الرزمي المجازي الذي وقف له يسوع حياته الجسدية كلها . فانه كان يطمح الى تأسيس ملکوت الله على الارض وهدم ملکوت الشيطان ، ولذلك كان من واجبات رسالته ان يخرج الشياطين . لا فرق البة بين تشویش في الجسم عن ذنب معقول وبين تشویش شيطاني لأن بين الاسقام الجسدية والاسقام الروحية تشابها وضعيها مبنيا على اساس القرابة والنسب لأن الغضبان كالمرسوع والمفلوج كالكسلان المترادي ، والدفي الخسيس كالابرص ، والاعمى كالجاهل الذي لا ينظر الحقيقة ، والاصم كالمتعصب الذي لا يصغي الى صوت الحق ، والتعاقفين من امراضهم كالذين يعيشون من قبورهم .

وعندما أرسل يوحنا، وهو في غيابة السجن، تلميذين من تلاميذه ليسألا يسوع هل كان هو النبي المنتظر او انهم ينتظرون آخر سواه ، اجاب يسوع وقال لها « اذهبا واعلما يوحنا بما سمعتـا ورأيـا : العميـان

يصرؤن ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ،
والموتى يقومون ، والمساكين يبشرؤن بالأنجيل » لأن يسوع لا يفرق
الأنجيل عن الأسفية العجائبية فان البشارة للنفوس كالاسفية للجساد ،
وانما عنى بحوابه انه قد شفى الاجساد حتى ان النفوس تصير اكثراً
استعداداً لقبول البشارة بالأنجيل .

أن أولئك الذين لم يكونوا رأوا نور الشمس في حياتهم قد ابصروا
الآن نور الحق الساطع الضيء ، والذين لم يستطيعوا ان يسمعوا كلامات
الناس الحقيقة قد تمعوا بسماع كلامات الله الخالدة ، والذين حلت فيهم
الشياطين واستعبدت نفوسهم قد تحرروا من شرور الشيطان وعبوديته ،
والذين كانوا من جسين ومضرور بين بالقروح قد ظهروا وصاروا اتقياء
كالاولاد ، والذين كانوا مقعدين ولا يستطيعون ان يتحركوا بعد
ان اضاعوا قوتهم وتقلصت بشرتهم يتبعون خطواتي اليوم وهم يقفزون
كالغزلان ، والذين كانت نفوسهم راسفة في اغلال العبودية وسجون
الموت قد هضوا بكلمة واحدة مني . . وقد صار القراء بعد سماع
صوت البشارة المفرحة اغنى من ذوي الاملاك والاموال . هذه هي
شهادتي الرسمية التي تظهر حقيقة دعوتي .

ان يسوع المحرر الفادي والطيب الشافي ليس كما يتصوره بطل
ایمان اعدائه المحدثين الذين ، لكي يطروا شركهم والحادهم بطلاء من
ذهب ويحصنوه ضد التقشف والزهد في الحياة ، ينبرون قائلين

« ان يسوع الله المرضى والضعفاء ، والمنجسين والفقراء ، والعجزة والأجراء ، » ولكن كل ما فعله يسوع إنما فعله لكي يمنح الناس جمالاً وقوه وتطهيرها وغنى وحرية لكنه كان يخالط المرضى ويعيش معهم لكي يقصي عنهم امراضهم ، ويعاشر الضعفاء لكي يرفعهم من ضعفهم الى قوته ، والمنجسين لكي يظهرهم والفقراء لكي يغنيهم ، وبالعيid لكي يحررهم من عبوديتهم . ولكن لم يحب المرضى لمجرد انهم مرضى ، بل كان يحب الصحة شأن سائر رجال الاجيال الغابرة وكان حبه للصحة عظيماً جداً ، حتى انه كان يتوقع اعادتها للذين اضاعوها .
اجل ، كان يسوع نبي السعادة وقد جاء الى الارض لكي يعلّم العالم الحياة الحديقة بان نحياناً لا جلها . ولم تكن العجائب سوى كفالات على صحة وعده .

يا طاليتا قومي

« المؤتى يقومون ! » هذه واحدة من العلامات التي بعث بها يسوع الى يوحنا مع تلميذه ليؤكده له وهو في السجن انه هو النبي وقال يسوع مرة لاخت لعاذر الصالحة والعاملة النشيطة مرتا « أنا القيامة والحياة . من آمن بي وان مات فسيحيياً » وكل من كان حياً وآمن بي فانه لن يموت الى الابد » وما القيامة سوى الولادة الثانية

باليان ، وليس الخلود سوى البرهان الدائم على صحة هذا اليمان .
اما القيامات من الاموات وهي حوادث تاريخية ثابتة فهي
ثلاث كما اوردها لنا الانجليزون الاطهار . والثلاثة الذين اقامهم يسوع
من بين الاموات هم : فتى في مقبل العمر ، وصبية صغيرة ، وصديق
عزيز .

فقد حدث مرّة انه بينما كان يسوع داخلا الى مدينة « نائم »
وهي مدينة جميلة كانت مبنية على تلة صغيرة تبعد عن الناصرة بضعة
اميال ، التقى موكب جنازة . فإذا بالناس يحملون فتى في مقبل العمر
إلى القبر . وكان الفتى ابنًا وحيدًا لامه الارملة التي كانت قد ترملت قبل
ذلك بوقت قصير ، ولم يبق لها بعد زوجها من تتعزى به سوى
ابنها الوحيد الذي كانوا يحملونه في تلك الساعة إلى ظلمة القبر . فنظر
يسوع إلى تلك الارملة وهي ماشية مع النساء تنوح وت بكى والنساء
يبكين من حوها ويولون مما يتفترط له القلب حزنا ، فقد كان هذه
المرأة رجلان يحبانها من بين سائر رجال العالم : الاول زوجها والثاني
ابنها ، فمات الاول وقبر ثم مات الثاني في حينه وكانوا يحملونه إلى
الدفن ، وهكذا خسرتها كلّيهما الواحد بعد الآخر . فظلت وحدها
في العالم ، زوجة من غير زوج ووالدة لا ولد لها ، وأرملة وليس لها من
يعينها ولا من يعدها أو يعزّيها في كأبهما وحزنها . وهكذا قضت
المحبة الأولى التي كانت تعيد إلى ذهنها تذكريات الشباب الغابرة ،

و فقدت المحبة الثانية التي كانت تجده في قلبه الامال الكبار في السنين
المقبلة . هكذا قضت هاتان المحبتان النقيتان الساذجتان . فان الزوج
يعزى امرأته على فقد ابنها اذا كان الزوجان حيين يرزقان ، والابن
يُحبر قلب امه لو انه مات أبوه وظل هو في قيد الحياة ! ولكن
مات الاثنان ولم يبق للارملة المسكينة سوى الحسرات والتهجدات .
او اهلو ظل واحد منها حيا ! او اه ان شفتيها لن تعرفا لذة القبلة المقدسة
فيما بعد !

نظر يسوع الى تلك المرأة فشفق عليها لان حزنها كان يتصاعد
كأنما هو شكلاية من حظها . فالتفت اليها وقال لها ، « لا تبكي »
ثم دنا من النعش ومسه بيده ، وكان الفتى متمددا عليه ملفوفا
بالا كفان لكن وجهه كان مكسوفا تعشاه صفرة الموت . فوقف
حاملا النعش للحال ، وسكت الجميع منذهلين ، والارملة ايضا
هدأت وتقدمت .

اما يسوع فنظر الى الفتى الميت وقال له « ايها الشاب ، لك
اقول ، قم ! » فهمض الميت في الحال وبدأ يتكلم ، فرده يسوع لامه .
وانما « رده » لامه لانه صار له بعد ان اقامه من بين الاموات . فقد
اختطفه يسوع من ارض الموت لكي يعيده الى امه التي لا تستطيع
ان تعيش بدونه ، ولكي يمسح دموع والدته مسكينة على الارض .

وفي يوم آخر كان يسوع عائدًا من غدارة^(١) فجاء إليه أبوخر عند قدميه لأن ابنته الصغيرة كانت مشرفة على الموت . وكان اسم الرجل يائيروس ، ومع أنه كان رئيسا من رؤساء المجمع اليهودي فإنه كان يؤمن بيسوع . فذهب يسوع معه إلى بيته . وبينما كانوا في وسط الطريق جاء أحد الخدام وقال ليايروس «إن ابنتك قد ماتت ، فلا تتعب العلم » ولكن يسوع لا يؤمن بالموت فقال للاب «لاتخف ، آمن فقط ، فتخلص »

ولما جاء إلى البيت لم يدخل أحدا معه إلا بطرس ويعقوب ويونا وأبا الصبية وأمها . وكانوا جميعهم يبكون وينوحون . فقال لهم يسوع «لا تبكوا ، إنها لم تمت ولكنها نائمة » فضحكوا منه لعلهم باهتم قد ماتت ، فاخرج الجميع خارجا وامسك بيدها ونادى قائلا : « يا طاليتا قومي ! » اي « يا صبية قومي ! »

فرجعت روحها إليها وقامت في الحال تمشي لأنها كانت «ابنة اثنى عشرة سنة » فامر بان تُعطى طعاما لأنها لم تكن روحًا منظورة أو شبحا أو خيالا ؛ بل كانت جداً حيا قد استيقظ ضعيفا متأهبا ليومه الجديد بعد أن مررت به احلام الحمى .

(١) هي احدى مدن سوريا القديمة - راجع الماشية الأولى من الفصل « كفر ناحوم »

يقطة لعازر

كان يسوع ولعازر صديقين صدوقين احدهما للآخر . وطالما اكل يسوع في بيت لعازر مع صديقه وشقيقته . وجدت مرة ان لعازر مرض واشتد به المرض فارسلتا واخبرتا يسوع عن المرض الذي اصابه فاجاب يسوع «ان هذا المرض ليس للموت» وانقضى على ذلك يومان . وفي اليوم الثالث قال لتلاميذه «ان لعازر حبيبنا قد رقد ، ولكنني ماض لاوظه من رقادته» وكان قريبا من بيت عانيا فجاءت مرتا ل تستقبله وكانت هي جاءت تعاتبه على ابطائه في القدوم اليهم . وعندما نظرته قالت له «يا رب ، لو كنت انت ههنا لم يمت اخي» وبعد قليل جاءت اختها مریم وقالت له أيضا : «يا رب ، لو كنت انت ههنا لم يمت اخي» فتألم يسوع لهذا العتاب المتكرر من الشقيقتين وحزن في قلبه ليس لانه جاء متأخرا بل لانه كان يكتئب دائما على ما كان يراه من شديد الحاجة الى الایمان حتى في قلوب أعز اصدقائه المقربين اليه .

«قال اين وضعتموه ؟ فقالوا له ، يا رب ، تعال وانظر فبكى يسوع» — وهي أول مرة رأوه يبكي — ومضى الى القبر فقال يسوع : «ارفعوا الحجر»

اما مرتا مدبرة البيت النشيطة الراسخة الخلق فقاطعته قائلة ،

« يارب ، انه قد اتن في هذا الوقت : لانه له أربعة أيام في القبر »
ولكن يسوع لم يعبأ بما قالته بل قال ثانية ، « ارفعوا الحجر » فدحرجو
الحجر عن باب القبر للحال . فصلّى يسوع صلاة وجيزة رافعاً رأسه
إلى السماء ثم اقترب من مدخل القبر وصرخ بصوت عظيم « يالعاذر ،
هلم خارجا »

فخرج لعاذر وهو يتعرّب بأذيه لأن يديه ورجليه كانت مربوطة
بلفائف ووجهه كان مبرقاً بمنديل .

فقال لهم يسوع « حلوه ودعوه يمشي . »
فعاد الاربعة : يسوع ولعاذر واختا لعاذر ، يتبعهم الاشنا عشر
واليهود المصعوقون اندهالاً ورجعوا جميعاً إلى البيت . فاقفتحت عينا
لعاذر ثانية لنور الحياة ، ومشى على قدميه ، وعادت القوة ثانية إلى
اعصابه ويديه . اما مرتا فنهضت مسرعة واعدّت افضل الطعام الذي
استطاعت أن تهيئه في تلك الساعة والجموع تزدحم في دارها وهي
منهوكه القوى بعد احزان أربعة أيام متواصلة - فاكمل لعاذر المنبعث
من بين الاموات حيا مع شقيقتيه وأصدقائه هنئاً وشربوا مريئاً . ولكن
صريم لم تستطع ان تأكل لقمة واحدة لانها لم تقدر أن تحول عينيها
عن وجه يسوع غالب الموت الذي بعد ان مسح الدموع من عينيه
أخذ الخبز وكسره واكل ثم اخذ الكأس وباركها وشرب منها كأنما
كان ذلك اليوم مثل سائر الأيام .

هذه عجائب القيامت الثلاث التي صنعتها يسوع وروى لنا خبرها الانجليزيون الابرار ، ولنا في روایتهم بعض ملاحظات ربما اغتننا عن تفاسير المفسرين القاصرة عن ملء فراغ نقوسنا .

ان يسوع بعث في كل حياته ثلاثة اموات ، لا رغبة منه في اظهار قوته واسترقاء الجمهور الى معجزاته بل انما فعل هذه العجائب متحركا بحزن الاحياء على امواتهم وتعزية لقلب أم ارملة وأب تاусن وشقيقتين يتيمتين . اما عجيبة نائم وبيت عنينا فقد اجراهما امام الشعب بكامله ، وأما عجيبة ابنة يائيروس فانما صنعتها امام بضعة اشخاص وسألهم ان لا يقولوا شيئاً عنها تجنبا للشهرة .

وأهم ما نستخلصه من هذه القيامت الثلاث أن يسوع كان يتحدث عن الاموات في كل حادثة من هذه الحوادث ليس كأنهم اموات بل كأنما هم نائمون . وعندما أقام ابن الارملة في ناين لم يكن له متسع من الوقت ليقول كلة في حالة موته لانه صنع المعجزة بسرعة . ولكن خاطبه كأنما هو حي غارق في نومه فقال له « أيها الصبي ، لك اقول قم » وعندما قالوا له ان ابنته يائيروس قد ماتت ، اجابهم قائلاً ، « لا تبكوا ، فانها لم تمت ، ولكنها نائمة » ولم يدع يسوع قط انه يقيم من الاموات بل انما قال انه يوقظ الرقاد من رقدته . لانه كان يعتقد ان الموت رقاد اعمق من الرقاد العادي الذي نلجم اليه في كل ليلة ، ولكن الحبة الالمية تجعل حدا لهذا الرقاد محدودا في لحظة

واحدة وقد كانت هذه الحبة للحياة أكثر منها للاموات ، لأنها
كانت تختلي في قلب ذلك الذي ما كان يرى دموع الحزانى حتى
تسيل دموعه اشترا كا معهم في احزانهم ولكي تضع دمعته حدا
لدموعهم .

عرس قانا

كان يسوع يحب أن يذهب إلى الاعراس . لأن رجل الشعب العادى قلما يجد سبيلا إلى البذل والاسراف والافراح ، ويندر أن يأكل أو يشرب ما يود ويستهوى ، ولذلك فان يوم عرسه هو أسعد أيام حياته ، بل هو اليوم الوحيد الذى تفيض فيه الافراح وتتوفر أسباب المذاقات والسرور ، بل هو اليوم الذى قلما يحظى بالكثير من مثله في حياته الطويلة الممتلئة من التعب والشقاء . اما الأغنياء الذين يستطيعون أن يقيموا الحفلات ويعدوا الولائم في كل ليلة ، اغنياء اليوم الذين يتلعون في اكلة واحدة ما كان يكفي لحياة فقير في الأيام الخالية أسبوعا كاملا . مثل هؤلاء لا يشعرون بما في يوم العرس من السعادة العظيمة . وأما أبناء الأيام القديمة من العمال الفقراء وأبناء المزارع والحقول ، وأكثر أبناء الشرق فكانوا يعيشون السنة بكمالها على خبر الشعير والتين اليابس والقليل من السمك والبيض ، وقلما يذوقون

اللحم في غير الأعياد والمواسم الكبيرة ، فكانوا يذبحون فيها حملأ أو جديا صغيرا يأكلونه مع عائلاتهم مثل هؤلاء الذين تعودوا أن يقهرروا ذواتهم ويعتبرون على نقوسهم ما استطاعوا ، ويستغنووا عن كل ما يقدرون أن يعيشوا بدونه ، ويكتفوا باحقر ضروريات الحياة ، مثل هؤلاء كانوا يرون في الاعراس اعظم وأبهج الأعياد التي تمر بهم في حياتهم على الأرض . وأما الأعياد والمواسم الأخرى التي كانت تعيد لها الكنائس ويحتفل بها الشعب فانما كانت عمومية لجميع الشعب تتكرر في كل عام ، ولكن العرس كان العيد الوحيد للإنسان يراه مرة واحدة في كل ادوار حياته .

في ذلك العهد كان كل ما في العالم من بهجة وجلال يحيطان بالعروسين فيجعلان عرسها خالدا بتذكرة الجميلة . فكان المغنون والراقصون يذهبون في الليل مع المطلبين والمزمرين تتقدمهم المباخر والشمع لاستقبال العروس وكان بيت العروس ممتلئا من الخيرات ، من جميع اللحوم اللذيذة وسائر أصناف الأطعمة ، وكانت الانوار تسطع فيه كل الليل والموسيقى تصدح في أنحاء والطيوبي فوح عبيرها فتعطر النفوس برائحتها المنعشة . وجميع الحضور يرقصون ويتعبدون ، وبكلمة وجيبة ، ان جميع اسباب الافراح كانت تجتمع في بيت العروسين بحيث لا يعوزها شيء .

وقد كان يسوع يحب هذا الفرح البريء من التصنع . وتتأثر

روحه عندما كان ينظر الى تلك النفوس البسيطة ترتفع بالفرح من حياة الفقر والشح والشقاء لكي تتمتع بالسعادة ولو بضع ساعات قصيرة، ولم يكن العرس في نظره عيداً بسيطاً كسائر الأعياد بل كان ينظر اليه نظرة ارفع وأسمى . فكان يعتقد بأن الزواج إنما هو جهاد الشباب المتواصل للتسلط على القدار بقوة المحبة ، لاتحاد عاطفيين تقييتين تختليحان في قلبين فتقرنها الواحد بالآخر قراناً روحياً خالداً ، بل هو تحقيق للإيمان المزدوج بالحياة ، و بتناوبها و تسلسلها . لأن الرجل الذي يتزوج إنما هو أسير في قبضة المجتمع الإنساني . ولكن بزواجه يحرر نفسه اذ يصير رئيساً لمجتمعه الصغير ، وأباً لنسل جديد ، يحرر نفسه وهو يعترف بأنه يقييد نفسه . بلى ، ان الزواج وعد بالسعادة وتعهد بالتضحيه والألام . فالامانة والخيانة بـطـلان يتحاربان فيه . أما عظمة الزواج الجباره المقدسة فلا تتجلـى بوضوح الا بين سطور الروايات الفاجعة التي تثير المستقبل المظلم باشعـة ضئـلة من الامل بالسعادة ، العظمة التي لا غنى للحياة عنها ، ومع ذلك فان العقل الاناني الجبـول بمحبة الذات ومحبة المادة يرفضـها رفضـاً . ومن رأىـ قـط في حياته عقابـا صارـما يـتوـقـ اليـه صـاحـبـه كـما هو الحالـ فيـ مثلـ هـذهـ الفـاجـعـاتـ ؟

وقد كان للزواج في رأي يسوع غاية أسمى من كل ما ذكرنا وهي انه مبدأ للخلود ودوم الوجود . لأن ما ازوجه الله لا يفرقـهـ اـنسـانـ .

ومتى أخذت القلوب وازدوجت الأجسام ، فلا شريعة ولا سيف .
يستطيعان أن يفرقا بينها . ولا شيء اجدر بالبقاء في الحياة البشرية
المتقلقة ، الفانية ، الكاذبة المتلونة ، الضعيفة – من الزواج الذي هو الحلقة
الوحيدة الخالدة منظومة في قلادة متحلة زائلة .

ولذلك أكثر يسوع من ذكر الاعراس والولائم في أمثاله .
ومن أجمل أمثاله مثل ذلك الملك الذي صنع عرسا لابنه ودعا إليه
الاصدقاء والمحبين ومثل العذارى اللواتى خرجن في الليل لاستقبال
صديق العروس ، ومثل السيد الذى اعد وليمة كبيرة . وقد شبه يسوع
ذاته بعروس يحتفي به اصدقاؤه عندما جاب أولئك المشككين بحججه أن
تلاميه كانوا يأكلون ويشربون .

ولم يكن يحقر الحمر كمن يمتنع عنها رباء وحيثما يشرب تلاميذه
الاثنا عشر تلك الحمر التي هي دمه يفكرون في الخمرة الجديدة في
ملكت السماوات .

فلا عجب أذن ، اذا رأيناهم يلبى الدعوة الى عرس قانا الجليل .
وكأننا ولا شك نعرف العجيبة التي اجترحها هنالك في ذلك اليوم .
فقد حول ستة أجاجين من الماء الى حمر أفضل كثيراً من الحمر التي
شربها المدعوون في بيت العرس . وقد زعم أعداء الوحي القدماء .
القائلون بكفاءة العقل على تفهم أسرار الوجود أن الحمر كانت هدية
محبوبة في بيت العروس الى وقت العجيبة لكي يدهش بها يسوع

المدعون احتراماً للعروسين . ويزيدون على ذلك قولهم « ان سبعة
اجاجين من الخمر » نحو قنطارين ونصف » كانت هدية ثمينة من
المعلم يسوع لكي تظهر اريحيته ومكارم اخلاقه . »

ولكن فات هؤلاء الحشرات الفولتارية ان يلاحظوا أن يوحنا
الأنجيلي السامي الخيال والناطق بالفلسفة الالهية قد روى اعجوبة قانا
دون سواه من الأنجليليين . فان العجيبة لم تكن حيلة ناتجة عن خفة
اليد بل كانت معجزة فائقة تحول بها الماء بالفعل الى خمر جيدة بطريقة
عجبية ، بقوة الروح على المادة ، فكان ذلك مثلاً من الامثال العملية
المعبر عنها بالاعمال عوضاً عن الاقوال التي تعبّر عن الامثال المعنوية
الرمزية .

على ان كل من لا تتفق روحه مع امثال القصة ومعناها الحرفى
يرى أن الماء المتحول خمراً إنما هو رمز إلى الأنجليل الذي هو بدأءة
العهد الجديد السعيد . فقد كان الماء كافياً للتنقية قبل أن صام يسوع
في البرية وقبل أن بدأ بشارته ، حينئذ كان العالم يئن متوجعاً من
الآمه ، أما الان فقد وردت البشائر بالفرح ، وجاء الملوك ، وحلت
السعادة . وهذا ان الناس على اهبة الاجتياز من عهد الحزن والشقاء
إلى عهد الغبطة والهناء ، من ترمل الشريعة القديمة إلى الزواج الجديد
السعيد في ظل الشريعة الجديدة . ان العروس معنا فلا مجال للحزن
الآن بل إنما الوقت وقت بهجة وغبطة . قد اقضى الصيام وحلت

الافراح ، قد زال عهد الماء وجاء عهد الحمر .

وعندما تقرأ الكلمات التي قالها رئيس المتكاً للعروس ، « كل انسان انما يأتي بالحمر الجيدة أولاً فإذا سكروا فعند ذلك يأتي بالدون ، أما أنت فقد ابقيت الحمر الجيدة إلى الان » نرى عادة اليهود في اعراسهم في ذلك العهد القديم وعادات الوثنين . ولكن يسوع أراد أن ينقض تلك العادة القبيحة البالية . فان أبناء العهد القديم كانوا يقدمون الجيد أولاً ثم يأتون بالدون ، وأما يسوع فقد اعطى بعد الحمر الجيدة حمراً اطيب وأجود أما الحمرة الخامضة اللاذعة ، الحمرة الدون التي شربوها أولاً هي حمرة الشريعة القديمة ، الحمرة الرديئة التي لا يشر بها أحد . وأما حمرة الملوك الجديدة ، الحمرة المعدة لاعراس النساء والارض ، الحمرة التي يمثل شاربها بذلك السكر الذي دعاه الرسول « جهالة الصليب » .

اجل ، أن عرس قانا الجليل الذي حسبه يوحنا العجيبة الأولى ، هو رمز الثورة الانجيلية .

التينية الملعونة

ومن الامثال الواردة في الانجيل بصورة أujeوبة هو مثل التينية اليابسة ، كان يسوع راجعاً في أحد الايام من بيت عنيا إلى اورشليم

نَجَاعٌ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ . نَجَاءَ إِلَى تِينَةٍ رَأَاهَا فِي طَرِيقِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا سُوتِيَّا
الْأُوراقَ . لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَوَانَ التَّينِ فِي ذَلِكَ الْحَينِ . وَلَكِنْ يَسْوِعُ ،
كَمَا رَوَى لَنَا مُتَّى وَمَرْقُصُ ، غَضَبَ عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْمُسْكِيَّةِ وَلَعَنَهَا .
إِمَامُتِي فَقَدْ رَوَى الْأَيَّةُ الَّتِي لَعَنْ يَسْوِعَ التِّينَ بِهَا هَكُذَا « لَا
يَكُنْ فِيْكَ ثَمَرٌ إِلَى الْأَبْدِ فَيُبَيِّسَ التِّينَ فِي الْحَالِ » ءَ وَمَا مَرْقُصُ
فَقَدْ رَوَاهَا كَمَا يَأْتِي : « لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ ثَمَرَةً مِنْكَ إِلَى الْأَبْدِ »
ثُمَّ يَقُولُ ، وَفِي الْغَدَةِ اجْتَازُوا فَرَأُوا التِّينَ قَدْ يُبَيِّسَ مِنْ أَصْلِهَا .

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَعُودُ كُلُّ مَنْ إِنْجِيلِيَّنَ إِلَى الْوَصِيَّةِ الَّتِي طَالَمَارِدَدَهَا
يَسْوِعُ لِتَلَامِيذهِ إِنْ كُلُّ شَيْءٍ مُمْسِطَاعٌ إِذَا طَلَبَ بِإِيمَانٍ قَوِيٍّ ، فَأَوْضَحَهَا
بِذَلِكَ رَأِيهِمَا فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمُشَكُّ بِهِ الْحَضُورِ عَلَى الْإِيمَانِ الْقَوِيِّ .

وَيَرَى غَيْرُهُمَا فِي الْمُشَكُّ بِهِ نَوَاحِي رَمْزِيَا طَالَمَارِدَهَا يَسْوِعُ عَلَى أَبْنَاءِ
قَوْمِهِ فَيَعْتَقِدونَ بِإِنَّ شَجَرَةَ التِّينِ هِيَ الشَّعْبُ الْإِسْرَائِيلِيُّ وَالْدِيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ
الْقَدِيمَةُ الَّتِي لَمْ يَبْقِيَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْحَينِ سُوتِيَّا أُوراقُ التَّقَالِيدِ وَالْطَّقوسِ
الْعَقِيمَةِ . الْأُوراقُ الَّتِي مَا وَجَدَتِ الْأَلْتَرْتَعَشُ أَمَامَ نَسِيمِ الْحَقِّ وَلَيْسَ
مِنْهَا مَنْفَعَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فَقَدْ جَاءَ يَسْوِعُ جَائِعًا لِلْحَقِّ ، جَائِعًا
لِلْمَحْبَةِ . يَطْلُبُ بَيْنَ هَذِهِ الْأُوراقِ أَثْمَارَ نَاضِجَةٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْقَدَاسَةِ ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ ثَمَرَةً مَا يَبْنِيهِمْ ، لَأَنَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَشْبَعْ جَوْعَهُ الْأَلْهَى
وَلَمْ يَحْقِقْ أَمَالَهُ السَّمَاوِيَّةَ . وَلَذِكَ لَمْ تَعُدْ لَهُ آمَالُ الْبَتَّةِ فِي ذَلِكَ الْأَصْلِ
الْعَقِيمِ الرَّدِيءِ وَالْعَدِيمِ الثَّرَفِ لَعْنَهُ وَقَضَى بِأَنَّ لَا يَكُونُ فِيهِ ثَمَرٌ إِلَى الْأَبْدِ !

لأن الأنوار اللاحقة بعائد المَلَكُوت الجديد ستخرج من غيره
من الشعوب .

على أن عجيبة التينة اليابسة الملعونة الواردة في بشارتي متى
وهرقش ما هي بالحقيقة سوى تفسير واضح لمثل التينة غير المثمرة ،
الوارد في بشرارة لوقا : « كان لرجل تينة معروسة في كرمه . فجاء
يطلب فيها ثمرًا فلم يجد . فقال لـالكرام ، ها ان لي ثلات سنين
آتني وأطلب ثمرًا في هذه التينة فلا أجده . فأقطعها : فلماذا تعطل
الارض ؟ »

فأجابه الكرام قائلاً : « يا سيد ، دعها هذه السنة أيضًا حتى
أعزق حوالها وألقي دملاً : فان أثمرت ثمرًا فيه والا فنقطعها فيما بعد »
فإن الشجرة لم تقطع أولاً ولكن بعد ثلات سنوات كانت فيها
عقيمة . ثم أمهلها الكرام سنة رابعة بواسطة الكرام الذي اعنى بها
في تلك السنة عنایة فائقة رجاء أن تأتي بشمرة تشفع بها فلا تقطع .
وقد كانت تلك المدة الحد الفاصل بين حياتها وموتها فان ذهبت
العنایة بها عبثًا استحصلت من جذورها وأحرقت .

وقد علم يسوع ثلات سنوات بين اليهود ، وعندما لم تأت
تعاليمه بشمرة في أشجار قلوبهم همّ بأن يتحول عنهم ويحمل بسائل
المَلَكُوت الجديد إلى غيرهم من الشعوب . ولكن واحداً من تلاميذه
كان شديد الشغف بشعبه اليهودي سأله رحمة بهم ، واستعمله فرصة

لعلهم يأتون بالثار المنتظرة . ولكننا سنرى في ما يلي اذا كانت المحبة مع عظمتها تستطيع أن ترد هذا الشعب الفاسق الذي من عقمه المقوت إلى الأئم المرغوب . وعند ما كان يسوع في طريقه من أو رشليم إلى بيت عنينا وضعت اليهودية في البوقة الأخيرة ولم يعد ليسوع ما ينتظره سوى الصلب . ولذلك استحقت تينية اليهودية الشريرة أن تقطع وتحرق في النار ومن ذلك الحين لم يأكل أحد ثمرة قط من ثمارها اليابسة المتأخرة عن أوانها .

الخبز والسمك

ان أعجبية تكثير الخبز والسمك واردة في موضعين من الانجيل ، وهي واحدة في الحادفين بتفاصيلهما ولا فرق الا بالكمية والمقدار — وهذا الفرق انما هو بالحقيقة ما يظهر روحانية العجزتين وما ترميان اليه من الغاية البعيدة السامية .

فان ألوفا من القراء تبعوا يسوع مشاة من المدن الى البرية ، التي موضع بعيد عن العمran . وقد مررت عليهم ثلاثة أيام وهم معه يغدون جوعهم الروحي بكلامه الحي ومواعظه الخالدة من غير أن يذوقوا طعاماً . ولكن يسوع أشفق عليهم في اليوم الثالث — وكان معهم بعض النساء والأولاد — فأمر تلاميذه بأن يطعموا

المجموع . غير أن التلاميذ لم يكن عندهم سوى رغيف صغير من الخبز وبضع سكاكات والمجموع كانوا يعدون بالآلاف والمئات . فأجلس يسوع المجموع كلها على الأرض حلقة فوق الأعشاب الخضراء ، فاتكأ الجمع زمرة زمرة ، مئة مئة وخمسين خمسين ، ثم بارك الطعام القليل الذي كان لدى التلاميذ : فأكل الجميع وشبعوا وملا وأسلاماً كثيرة من الكسر والفضلات .

ان الخبر الحقيقى ، خبر الحق الخالد ، وان كان قليلاً فانه يشبع المئات والألف . وأما الشريعة القديمه فكانت غزيرة المواد كثيرة الأبواب والفصول ، فهناك مئات الوصايا المدونة في الكتب ، وألوف الألوان والفرائض التي كان يضعها الكتبة والفريسيون . فكان الناظر إليها لأول مرة يعتقد بأنها مائدة أنيقة عليها من الماء كل الشهية ما يكفي أمة كبيرة بكاملها . غير أن تلك الوصايا والقوانين والنظم والفرائض لم تكن سوى أوراق يابسة ونفايات قدرة وقصاصات متبعثرة لا تشبع جائعاً لأنها كلها كثرت وتعددت قلت قيمتها وضعف تأثيرها في النفوس ولم تنفع أحداً . فان المساكين بالروح والجيع والعطاش للبر لا يستطيعون أن يشعروا جوعهم للحق بهذه الاطعمة المتنوعة غير الصالحة للتغذية . فان كلية واحدة تعبر في كثير من الأحيان عن كلمات عديدة وتس矛 في بساطتها على ذلك التعصب الطقسي المقوت الذي يتعلق باهدابه المحاملون والمدعون بما ليس

فيهم والدجالون ، أجل ان الكلمة الواحدة التي تملاً فراغ النفس ، وتعزي شقاء القلب ، وتهدي المجموع للبر والحق ، من مثل هذه الكلمة يستطيع الجموع أن يأكلوا ويسبعوا ويفضل عنهم ما يسبع جميع الذين تغيبوا عن الحضور إلى وليمة الكلمة في وقتها المضروب لأن الخبر الروحي عجائب بفعله وتأثيره . فان رغيفاً واحداً من خبز الحنطة ربما يسبع جائعاً واحداً وإذا اكله لا يبقى منه شيء يسبع سواه من الناس ! ولكن خبز الحق ، ذلك الخبر السري ، خبز الغبطة والسرور لا ينقض ولن ينقض إلى الأبد . توزعه على الآلوف فيسدون جوعهم وهنالك يبقى نامياً في قلوبهم ، وتقدمه للملائين فيظل حياً فعالاً فيهم إلى الأبد الأبدين . وقد أخذ كل منا نصيه من هذا الخبر كما أخذ منه الرجال والنساء في البرية نصيبهم ، ومع كل ما وزع صاحبه منه في ذلك اليوم فما أكثر ما فضل منه للذين قدر لهم أن يحضروا متأخرین .

وفي مرة أخرى نرى يسوع ، عندما رأى تلاميذه ولا خبز لهم ، يحدرون من خمير الفريسيين والصدوقين . ونرى في الوقت ذاته أولئك التلاميذ الذين كانوا بطبيئي الافهام في كثير من الاحيان يفكرون في نفوسهم قائلاً « اننا لم نأخذ خبزاً » فعلم يسوع وقال لهم « لماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي الايمان ، انكم لم تأخذوا خبزاً ؟ أما تفهمون حتى الان ولا تذكرون الخمسة أرغفة ، وكم ققة أخذتم ؟

والسبعة أرغفة للاربعة الاف ، وكم سلة أخذتم ؟ كيف تفهمون أنني
لا من أجل الخبر قلت لكم اخذروا من خمير الفريسيين والصدوقين ؟
بل انما قلت لكم أن تحذروا من حماة الشريعة الدينية لأنهم قادة
عميان .

فلا أنا عشر تلميذاً ، وهم المنتجبون للتمتع بالملائكة والمؤمنون
المباركون لم يفهموا في الحال ما عندهم يسوع بخمير الفريسيين ولم
يؤمنوا حين كان يحب الإيمان .

وعندما كان يسوع في السفينة في ليلة العاصفة الشديدة وبحضور
ضعف ايمانهم أيضاً . فكان هو في مؤخر السفينة نائماً على وسادة أحد
النوتية . فحدثت فجأة عاصفة شديدة وكانت تتدفق الأمواج على
السفينة حتى كادت السفينة تمتليء ماء وباتوا يتربصون غرقها في كل
لحظة . فاضطراب التلاميذ وذهبوا فايقظوا يسوع وقالوا له « يا معلم ،
اما تبالي انا نغرق ؟ » فاستيقظ . وانته الريح وقال للبحر ، اسكت !
ابكم » فسكت الريح وحدث هدوء عظيم . ثم قال لهم « ما بالكم
خائفين بهذا المقدار ؟ اليك ايمان لكم بعد ؟ فخافوا خوفاً شديداً وقالوا
بعضهم البعض « من ترى هذا ؟ فان الريح والبحر يطيعانه ! »
على ان واحداً منهم لم يخف وهو سمعان بطرس ، فان طبيعته
كانت تفوق طبائع البشر ، لتفرده بقوة الإيمان وعظمته المحبة وقوته
الراددة ، ولا شيء في العالم ، سواء كان حياً أم لم يكن حياً ، يستطيع

أن يقف في وجه هذه القوات الثلاث الفائقة . لأن من يسعد بها إنما ينال من القوة ما يجعله يحتقر جميع الزائلاط وينتصر على الزمان وكل ما في الزمان . فيرفض تنعمات الجسد وبذلك يخلص الجسد . ويرفض المادة ومحبتها وبذلك فهو يتسلط على المادة ويسود عليها ، وكل انسان يستطيع أن ينال قسطه من هذه القوة فان الإيمان كاف بشرط أن لا يكون فقط إيماناً بذاته هو .

كان في رومية ، قبل المسيح ببعض سنوات ، ربانٌ إيطالي عظيم خاض معاً مع الحرب في معارك عديدة ، وكان بالرغم من فجوره وفسقه قائداً محظياً مدرباً على تسميم دماء الامبراطورية . وحدث حربة أنه ركب سفينته وخر عباب البحر الكبير مع بعض من رفقائه يفتشون عن عمارة بحرية أبطأ في القدوم إليهم لنجدتهم فيربح المعركة على أعدائه . فعصفت الرياح وهبت فجأة عاصفة هوجاء كانت تندف الأمواج إلى السفينة فخاف الربان وهم بالرجوع إلى الميناء . فامسك القيصر بيده وقال له « سر إلى الأمام ، سر ولا تخف ، فإن القيصر معك ، وسعده يرافقك » فانعشت هذه الكلمات الجريئة قلب الربان وجميع رجاله ، وهبوا جميعهم إلى العمل كأنما قد سرى قسم من قوة القيصر إلى نفس كل واحد منهم ، وشرعوا يحاربون العاصفة وينبذلون جهودهم للتغلب على البحر ، ولكن جهودهم ذهبت ضياءاً لأن الأمواج تعالت على السفينة حتى اوشكت أن تغرق فاضطروا

إلى التقهر راجعين إلى الشاطئ . أجل ، كان إيمان القيصر عتواً وطمهاً ، إيماناً بذاته ولذاته ومحبة بذاته ، وأما إيمان المسيح فقد كان كله محبة ، محبة للأب ، ومحبة للناس أجمعين .

بفضل هذا الإيمان استطاع أن يمشي على البحر لكي ينقذ تلاميذه الذين كانوا في السفينة والأمواج تصدّمها ، بهذا الإيمان إستطاع أن يمشي على مياه البحر كأنما هو يمشي على العشب الندي الأخضر ، وعندما رأه التلاميذ ماشيا على البحر ، اضطربوا وقالوا أنه خيال ، ولذلك اضطر أن يثبت إيمانهم أيضاً فصرخ بهم قائلاً ، « ثقوا : أنا هو ، لا تخافوا » وعندما ركب السفينة سكنت الريح في الحال فساروا حتى بلغوا إلى الشاطئ . « فزاد الدهش في نفوسهم إلى الغاية » كما روى مرقص الصادق ، « لأنهم لم يفهموا أعجبوبة الخبز ، إذ كانت قلوبهم صماء . »

وربما كان في هذا التشبيه بعض الاجتهاد ، ولكنه يكشف القناع عن حقائق مهمة ، لأن عجيبة الأرغفة هي أساس جميع العجائب الأخرى . فان كل مثل من أمثال يسوع سواء أورد بكلمات وعبارات مجازية شعرية أم أوضح بعجائب منظورة ، إنما كان عبارة عن خبز روحي مخبوز بطرائق متنوعة ، ليأكُل منه الذين يتبعون يسوع ، أو على الأقل تلاميذه الأخصاء ، ويفهموا الحقيقة الواحدة التي كانوا في شديد الحاجة إليها ، فان الروح هي

الطعام الوحيد الجدير بالانسان أن يأكله ، وأن الانسان الذي يتخذ لنفسه هذا الطعام غذاء يغذى به حياته إنما هو دون غيره السيد السعيد في العالم .

يسوع الشاعر

ان يسوع يظهر لأول وهلة متكتماً في أعماله وفي أقواله ، فكان يأمر الذين كان يشفىهم بالعجبائب أن لا يخبروا أحداً عمن هو الذي أبرأهم ، وقد فرض أن تصير الصلاة ويتم الاحسان سراً من غير أن يعلم بها أحد ، وعندما عرف التلاميذ أنه هو المسيح سألهم أن لا يقولوا ذلك لأحد من الناس وبعد أن تجلى على الجبل أمر الثلاثة الذين إنتدبهم ليراقوه أن يكتمو الامر عن الجميع وعندما كان يعلم الناس كان يلحاً إلى الامثال التي لم يكن كل الناس ليفهموها . غير أنها إذا أمعنا النظر ودققنا جيداً في درس يسوع وتعاليمه نرى بوضوح أن يسوع لم يكن على شيء من التكتم والتنسق قط . نرى أنه لم تكن له أقل عقيدة سرية ليفاوض بها خدامه سراً ، لأن أقواله كانت جهرية وتعاليمه علنية امام الجميع . فكان يتكلم أبداً في ساحات المدن وعلى شواطئ البحيرات ، وفي الهياكل ، وفي مجمعات الناس . وقد منع التحدث بعجبائه لكي لا ينزل إلى

مصنف المنجمين والعرافين وأمر بصنع الصدقة سرًا لكي لا يضيع أجر الحسينين بالغورو والكيرباء ، ولم يشأ أن يعلن إلا ثنا عشر أنه المسيح قبل دخوله إلى أورشليم ، الدخول الاحتفالي لملكه كمسينا المنتظر قدومه ، وكان يتكلم بالامثال رحمة بالبساطاء لكي يفهموا تعاليمه ، لأن الناس يصغون إلى المثل أو القصة بأكثر ارتياح مما يصغون إلى العضة أو الخطاب ، ويتنذكرون الحكايات أكثر مما يتذكرون ما سمعوه من المناقشات والباحثات الغويصة .

وقد روى ثلاثة من الأنجليليين الاطهار خطبة ليسوع يبدو ظاهرها مناقضاً لهذا الرأي . فان يسوع قال مخاطباً تلاميذه عندما سأله ، لماذا تخاطب الجموع بامثال ، فاجابهم « أتُم أعطيتكم معرفة أسرار ملکوت السماوات وأما أولئك فلم يعطوا ، فلهذا أكلهم بامثال ، لأنهم يبصرون ولا يبصرون ، ويسمعون ولا يفهمون . »

ولكن يسوع إنما عنى بهذا الجواب أن يقول لتلاميذه ما يأتي : « يا تلاميذي ، أتُم تفهمون هذه الأسرار ، ولكن هنالك كثيرين غيركم لا يفهمونها مع أن لهم آذاناً نظيركم ، ولكي يفهموا أقوالي أخاطبهم بامثال ، — أي بلغة مجازية تعبّر عن الحقائق بأكثر بساطة فتجعلها أسهل تناولاً عليهم لأنهم تعودواها . أتُم تعلمون الأولاد بالحكايات ، والبساطاء بالقصص والروايات ، أما أنا فأقول لكم ان أكثر الناس أولاد وبساطاء ، ولذلك فاني استخدم الالفاظ

والعبارات التي تعودت اذا هم سمعها لكي اغلب على حمول عقوتهم
وبطء افهمهم ، كلهم خاملو الخيال والتصور أكثر من القوة العاقلة .
ولذلك فاني لا اريد أن أخفي الحق عن الناس ، بل بالاولى أن اعلنه
حتى للذين لا يفهمونه بمساقه الفكري بالطريقة التي يفهمون فاذا لم
يفهموا فحينئذ يكون الذنب ذنب عنادهم ومكابرهم التي كثيراً ما
تعلق عيني النفس وتصنم اذنيها . »

أجل ، لم يكن ليسوع أسرار قط فيكتتمها ، بل كانت كل
رغبتة أن يفهمه جميع العالم من أكبر العلماء والعظاء إلى أحقر الجهلاء
والضعفاء ولم يلحا إلى الامثال لكي يخفى تعاليه عن الخطأ والمجحدين
بل بالأحرى ليجعلها أسهل تناولاً للجميع ، وأما ان أشد التلاميذ
فطنة واوفرهم ذكاءً كان يعجز عن ادراك مرمى الكثير من هذه
الامثال السامية فذلك امر ليس غريباً علينا فقط بل كان غريباً على
يسوع نفسه ايضاً ومسئلاً له الحزن والكآبة سحابة حياته بالجسد على
هذه الأرض .

اما ما جاءت به رسالته من التعاليم العجيبة المدهشة فقد دلنا
على شاعريته الفطرية التي لا تقل عن رسالته غرابة وعجبنا . فان
يسوع لم يكتب بيده قط ، عدا مرة كتب فيها على الرمال بفجاءت
الريح ومحى اثار خطه إلى الابد ، ولكنها عاش في امة ذات ثروة
شعرية بالغة ، الامة التي سطرت المزامير وسفر راعوث ، وكتاب

ایوب ، ونشيد الانشيد ، — ولذلك قد كان يكُون من اعظم
شعراء العالم في كل زمان .

فإن روحه الفتية المنتصرة ، والبلاد التي نشأ فيها ، والكتب
القليلة التي قرأها وعشّقه الخالص لحياة الحقول ومشاركة الحيوان في
معيشته الطبيعية ، وأعظم من كل هذا حنينه الاهلي وهيامه السماوي
ورغبته في أن يعطي نوراً للمتأملين في الظلمة ، ويخلص الذين ضلوا
عن السعادة ، ويبشر التعبس وأبناء الكآبة الخرساء بالسعادة العليا
الهابطة من السماء (لان الشعر الحق لا يستمد نور وحيه من شعلة
المصباح الضئيل بل من أنوار الشمس اللامعة ، كلا ، ولا نستطيع أن
نجد الشعر في الاوراق والدفاتر التي ورثناها عن الآباء والاجداد بل
اما نجده في الحبّة ، في الحزن ، في النفس المتاللة لعاطفة عميقة سامية)
كل هذه العوامل الفعالة قد تجمعت معاً وعملت على جعل يسوع
شاعراً خالداً بل مخترعاً للصور الحية الباقية الى الابد التي بها دون
غيرها استطاع أن يجترب اعجوبة العجائب التي لم يدوّنها أحد من
الانجليز ، الاعجوبة التي أوضحت بها الحقيقة العليا بواسطة حكايات
بساطة مألوفة ممتلئة من النعمة حتى انها بعد مرور نحو عشرين قرناً
عليها لا تزال تشع بتلك الفتولة الفريدة التي هي الخلود . على أن
بعضًا من هذه الحكايات انما كان تكراراً لحقائق وردت في موضع
آخر بشكل تعليمي مجرد ، ولكن الكثير منها يوضح اموراً جديدة

وحقائق جديدة لم تذكر قط في تعلم من تعاليم يسوع . اما الامثال فكانت ايضاحات شعرية للعظة على الجبل وثمرة خالدة لقريبة الشاعر الذي يليق بنا أن نلقبه بالالهي عن جدارة واستحقاق أكثر من كل شاعر غيره في الوجود .

الخمرة

ان سيدات المدن لا يخزنن خبزهن بآيديهن ، ولكن نساء القرى والمزارع وزوجات البيوت يعرفن ما هي الخمرة ، فان حفنة صغيرة من العجين المأخذوذ من العجنة السابقة اذا وضعت في الدقيق مع قليل من الماء الحار تستطيع ان تخمر ثلاثة اكياس من الدقيق . ومن اصغر الحبوب على هذه الارض حبة الخردل فانها تكاد لا ترى لصغرها ، ولكن هذه الحبة الصغيرة اذا زرعت في ارض جيدة فانها تنمو وتصير شجرة كبيرة حتى ان طيور السماء تأتي وتستظل في اغصانها . وحبة الحنطة صغيرة ايضا ، ياخذها الفلاح فيذرها في الارض ، ثم يرجع الى اعماله الاخرى ، فينام ويقوم ويسافر من بيته ثم يعود اليه ، وهكذا تمر الايام والليالي من غير ان يفكر فيها ، ولكن الحبة تفرخ من بين التلاع الرطبة نبتة خضراء صغيرة ، ثم تنمو رويداً حتى تصير اذنة زرقاء وعلى رأسها سنبلة خضراء

رشيقة القوام تتحول في ايام قليلة الى حبوب ذهبية جميلة . وما هي الا فترة من الزمان حتى يدنو الحصاد فيأتي الفلاح الى حقوله ويسرع في جمع غالاته .

وهكذا الحال في ملکوت السماوات وبشائره الاولى ، فان الكلمة تظهر لاول وهلة كأنها لا شيء . اذ ما هي الكلمة ؟ هي مقاطع واصوات تتضاعف من بين الشفتين ، وتدخل بصعوبة الى الاذان ولا تجد قلوبا مستعدة لقبوتها ما لم تكن خارجة من القلوب ، هي صوت صغير ، وتنفسة صغيرة ، وتنهدة عميقه ، صوت يروح ويحيي ، محمولا بتوجات الهواء ، ومع كل ذلك فان الكلمة ، كلمة الملکوت هي كالخمرة . فاذا وضعتها في دقيق جيد ، لم يدخله دقيق فاسد ، حمره وجعلته اكبر مما هو ، بل هي كالحبة المزروعة في الحقول التي تفرخ من تحت تراب الارض وهي صبور كالارض التي تخفيها ، وعندما يأتي الربيع تنمو خضراء قوية ، وعندما تبدو طلائع الصيف يصير الحصاد على الابواب ! واننا نستطيع ان نعبر عن الانجيل كله بهذه الكلمات القليلة « قد اقرب الملکوت ، فجددوا نفوسكم ! » فاذا وقعت هذه الكلمات في قلوب واعية مستعدة لها ، في القلوب البسيطة الشيقة الى الحق والعظمة ، في قلوب الابرار الذين يودون ان يصيروا قديسين ، في قلوب الاشرار الذين ينشدون السعادة في الخير بعد ان نشدوها عيشا في الشر والضلال .

فَيَنْتَدِنُ تَتَخَذُ هَذِهِ الْكَلَمَاتُ لَهَا اصْرَالًا فِي أَعْمَاقِ تِلْكَ الْقُلُوبِ ،
فَتَخْرُجُ الْبَرَاعِمُ وَالْأَغْصَانُ ، وَتَشْمَرُ بِالْعَنَاقِيدِ وَالسَّنَابِلِ ، وَتَوْنَعُ فِي
صِيفٍ خَالِدٍ لَا يَعْقِبُهُ خَرِيفٌ لِّبَتَةٍ .

قَلِيلُونُ هُمُ الَّذِينَ عَاشُوا مَعَ يَسُوعَ وَسَمِعُوا أَقْوَالَهُ فَكَانُوا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَلَكُوتِ فَاعْدُوا بِذَلِكَ ذُوَاتِهِمْ لِتَمْتَعُ بِالْيَوْمِ الْعَظِيمِ . قَلِيلُونُ
هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا — قَلِيلُونُ وَحْقِيرُونُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا كَدَقَائِقِ
الْحَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ فِي وَسْطِ الْأَمْمِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَالْمَالِكِ الشَّاسِعَةِ ، وَلَكِنْ أَوْلَئِكَ
الْأَشْخَاصِ الْقَلَّالِ الْفَقَرَاءِ الْمُضْطَهَدِينَ الْمُتَفَرِّقِينَ بَيْنَ سَائِرِ الْأَمْمِ
وَالشَّعُوبِ قَدْ تَزَادُوا إِلَى الْوَفِ الْأَلَوْفِ بِوَاسْطَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ
وَالسَّائِرِينَ عَلَى خَطُواتِهِمْ ، وَلَمْ تَمْرُ عَلَى مَوْتِهِمْ ثَلَاثَمَةِ سَنَةٍ حَتَّى جَلَسُ
عَلَى كَرْسِيِ طَبِيَّارِ يُوسُقِيرِ رَجُلِ حَنِيِّ رَكْبَتِيهِ اِمَامُ الرَّسُولِ .

عَلَى أَنَّ الرَّاغِبِينَ فِي التَّمَتُّعِ بِالْمَلَكُوتِ الْمُوَعَودِ بِهِ يَجِبُ عَلَيْهِمْ
أَنْ يَرْفَضُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا سُوَاهَ ، كَمَا يَفْعُلُ ذُووُ الْعُقُولِ الْعَالَمِيَّةِ فِي
أَعْمَالِهِمِ الْوَقِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ . لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ رَجُلٌ يَشْتَغِلُ فِي حَقْلٍ
جَارِهِ ، وَفِي أَنْتَهِيَّ شَغْلِهِ وَجَدَ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ كَنْزًا ثَمِينًاً أَفَلَا يَخْفِيَهُ
وَيَذْهَبُ عَلَى الْفَورِ فَيَبْيَعُ كُلَّ مَالِهِ وَيَأْتِي فِيَشْتَري ذَلِكَ الْحَقْلَ ؟ وَإِذَا
عَثَرَ تَاجِرٌ يَتَعَاطِي شَرَاءَ الْمَجْوَهَرَاتِ الْمُتَمِيَّةِ الْجَدِيرَةَ بِأَنْ تَحْفَظَ فِي قَصْوَرِ
الْمُلُوكِ ، عَلَى لَوْلَوَةٍ كَبِيرَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ رَأَى مِثْلَهَا أَفَلَا يَسْرِعُ فَيَبْيَعُ
كُلَّ اِمْوَالِهِ وَكُلَّ مَا لَدِيهِ مِنَ الْلَّالِيَّ الصَّغِيرَةِ لَكِي يَشْتَري ذَلِكَ

المؤلولة الفريدة؟

فإذا كان العامل والتاجر وهم يستغلان بالمادة وللمادة ، ويقنعان بالكنوز الفانية دون الباقيه ، يبيعان كل ما يملكون للحصول على كنز حسبيه أئمن من كل مقتنياتها ، في حين أن ذلك الكنز عينه زائل فان ، فكم بالحربي يجدر بنا أن نرفض كل عنز لدinya لكي نحظى بملكوت الله . وإذا كان العامل والتاجر قد أظهرا استعدادهما لبذل كل ما يملكون في سبيل الحصول على ربح مالي معرض للسرقة والضياع ، وربما كان لهم ربح مائة في المائة من مبادلتهم ، أفاليس الاجدر بنا أن نطرح أئمن ما عندنا ، ولو كان يظهر لنا حتى الان أنه لا يشمن بشمن أو يقدر بقيمة ، ونسعى وراء منفعة أسمى وأرفع من منفعة التاجر والعامل بما لا يحدد بقياس ؟

ولكن قبل أن نقدم على هذه التضحية يجب ان تتخذ لها عدتها وتفكر اذا كان الذي يتبقى لنا يكفي لأن يبلغ بنا الى الغاية المنشودة من عملنا . يجب أن نقيس ما في نفوسنا من القوة قبل أن نشرع في عملنا لئلا يصيغنا ما أصاب ذلك الرجل الذي أراد أن يبني برجا جميلا ينطاح السحاب بعلوه ، كما هو برج أورشليم . فلم يفكر أولا في كمية النفقه الضروريه لأنجاز عمله ، بل دعا الحفارين وحفر الاساسات في الحال ، ثم دعا البنائين وياشر البناء ، ولكن عندما ارتفع البرج قليلا عن الأرض ، ولم يكن قد بلغ بعد الى علو البيت

العادي ، اضطر صاحب البرج أن يتوقف عن البناء لأنه لم يبق معه مال ليدفع ثمن الحجارة والكلس والقرميد ، ويؤدي للعمال أجورهم في أوقاتها ، فظل البرج جدراناً عارية لا ينظر إليها أحد من المارين بها إلا ويدرك ادعاء صاحبها الفارغ ، ويهز برأسه هازئاً به .

وإذا أراد ملك أن يعلن حرباً على ملك آخر فإنه يجلس أولاً ويحصي جنوده ، فإذا رأى أنه لا يستطيع أن يخندك أكثر من عشرة آلاف وإن لدى عدوه عشرين ألفاً من الجنود ، فإنه يتحول عن فكرة الحرب ويرسل سفاراة من قبله لتفاوض عدوه في عقد صلح بين الفريقين قبل نشوب نيران الحرب ، وهكذا فإن الرجل الذي لا يشق نفسه ، ولا يعتقد بـ كفاءته لأن يجاهد ويحارب إلى أن يظفر بالغلبة في نهاية الجهاد يتراجع إلى الوراء ولا يتبع المسيح ، لأن تأسيس المملكة أصعب كثيراً من بناء البرج ، ودون تجديد خلية الإنسان حرب عوان هي أشد وطأة من الحروب الخارجية ولو كانت داخلية هادئة .

الوليمة

ان ملَكوت السماوات لا يدخله الا اتقياء القلوب ، لأن الملائكة وليمة أبدية خالدة ، ولا يستطيع ان يتمتع بها الا من كان مرتديا

بثياب الولأم الخالدة ، وقد حدث مرة ان احد الملوك احتفل بعرس ابنه فدعا الاصدقاء والجيران الى ولية العرس ، وفي الوقت المعين لم يحضر احد من المدعون ، فدعا الملك عامة الشعب ، من عابري السبيل والقراء الى كل من وجده في ساحات المدينة ومفارق طرقها ، وعندما جاء الى قاعة الوليمة رأى رجلا من الضيوف رث الملابس قدر الجسد فامر بان يطرح خارجا ليصرف باسناته في الظلمة الباردة .
هذه حال المتخلفين عن الحضور الى ولية الملكوت فانهم ان تأخروا ولم يحضرروا في الوقت المعين جاز للجميع ان يدخلوا بدلا منهم ، من اعظم العظاء الى احقر الخطاة والبوءساء ، فقد دعا الملك اولا الشعب المختار ، فطفقوا كلهم واحدا فواحد يعتذرون ، فقال له الاول « قد اشتريت حقل ولا بد لي ان اخرج وانظره ، » وقال الثاني « قد اشتريت خمسة ازواج بقر وانا ماض لكي اجرهما ، » وقال الثالث « قد تزوجت امرأة فلا اقدر ان اتي اليوم ، » فكان كل واحد منهم مهماما واي اهتماما في حاجاته الخاصة ، فلم يلبوا الدعوة .
حينئذ غضب الملك وارسل عبيده ليأتوه بالمساكين ، والجدع ، والعرج ، والعميان ، واحقر من ترى من الرعاع الى ههنا ، فقال العبد ، « ياسيد ، قد قضي ما أمرت به ، وبقي محل » فامر الملك في الحال بان يضطر كل من يمر بقصره الى الدخول اليه ، كائنا من كان .

كانت ولية ملوکية ، حفلت بكل اسباب الملاذات والمسرات ، غير أنها اقتصرت على التلاذة باكل اللحوم وشرب الخمور حتى سكر الجميع ، وعند بزوغ أنوار الصباح اطفئت المشاعل ، وفرغت الموائد ، وعاد كل واحد الى بيته ، الى فقره وشقائه ، على ان الذين دعاهم الملك او لا لم يلبوا الدعوة لانهم فضلوا التمتع بلذة مادية على التمتع بهذه اللذة المادية لكانوا معدورين على تخلفهم ولا عتب عليهم . ولكن الدعوة الى الملائكة انما هي وعد بالسعادة الروحية ، المجردة ، الكاملة ، غير المتناهية السعادة التي لا اثر فيها لمسرات الحياة الارضية الزائلة : من السكر الذي لا ينفع بالعقل والادراك الى حيث لا عقل ولا ادراك ، والدعاة التي ترك صاحبها هيكلًا عظيمًا منجساً مدنساً ، ومع كل ذلك فان الذين اختارهم يسوع من بين جميع الناس ، ودعاهم او لا الى ولية الالهية المعدة للمولودين جديداً فانهم لم يلبوا الدعوة بل اداروا وجوههم متاؤهين وهم يتربعون في حماة قدرتهم وشرهم . وقد فضلوا تقنيات الشهوات الجسدية على التمتع بمحلال الرجاء الاعلى الذي هو المبرّ الوحد المعقول للحياة .

ولذلك دعي الجميع عوضاً عنهم ، المسؤولون بدلاً من الاغنياء ، والخطاؤ بدلاً من الفريسيين ، وبنات الشوارع عوضاً عن السيدات المصنونات ، والمرضى بدلاً من الاصحاء والجهلاء بدلاً من العلماء والمتآملين بدلاً من السعداء .

وَكَانَتِ الْأَبْوَابُ مَفْتُوحَةً لِلْجَمِيعِ حَتَّىٰ إِنَّ الْمُتَّخِرِينَ كَانُوا
يَقْبِلُونَ كَمَا تَقْدِيمِينَ إِذْ جَاءُوا فِي وَقْتِ الْوِلِيَّةِ . فَإِنْ رَبُّ الْكَرْمِ رَأَى
مَرَّةً بَعْضَ مِنْ الْفَعْلَةِ وَاقِفِينَ فِي السُّوقِ بَطَالِينَ يَنْتَظِرُونَ لَهُمْ عَمَلاً ،
فَأَرْسَلَهُمْ فِي الْحَالِ إِلَىٰ كَرْمِهِ لِيَشْدُّبُوا الدَّوَالِيَّ الَّتِي فِيهِ بَعْدَ إِنْ اتَّفَقَ
عَلَيْهِمْ عَلَى الْأَجْرَةِ . وَعِنْدَ اِنْتَصَافِ النَّهَارِ خَرَجَ إِيْضًا إِلَى السُّوقِ فَرَأَى
فَعْلَةَ أَخْرِيَّنَ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ فَأَرْسَلَهُمْ إِيْضًا إِلَى الْكَرْمِ ، وَعِنْدَ الْعَصْرِ
رَأَى فَرِيقًا أَخْرِيًّا مِنَ الْفَعْلَةِ فَأَرْسَلَهُمْ إِيْضًا إِلَى كَرْمِهِ لِكَيْ يَشْتَغِلُوا ،
فَأَشْتَغَلُوا جَمِيعَهُمْ فِي الْكَرْمِ ، فَنَهُمْ مِنْ قَضْبِ الدَّوَالِيِّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
تَقَبَّلَ وَعْزَقَ حَوْلَهَا ، وَعِنْدَمَا جَاءَ الْمَسَاءَ دَفَعَ رَبُّ الْكَرْمِ الْأَجْرَةَ
لِلْجَمِيعِ عَلَى التَّسَاوِيِّ . فَتَذَمَّرَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْكَرْمِ أَوْلًا ، لَأَنَّ
أَجْرَتِهِمْ كَانَتْ مِثْلَ أَجْرَةِ الَّذِينَ جَاءُوا أَخِيرًا ، وَقَالُوا لِرَبِّ الْكَرْمِ
«لِمَذَا دَفَعْتَ إِلَى هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَشْتَغِلُوا كَمَا اشْتَغَلْنَا نَحْنُ الْأَجْرَةَ
عَيْنِهَا الَّتِي دَفَعْتَهَا لَنَا؟» فَاجَابَ رَبُّ الْكَرْمِ وَقَالَ لَوْاحدٍ مِنْهُمْ ، وَرَبِّهَا
كَانَ رَئِيْسَهُمْ ، «يَا صَاحِبَ الْأَنْوَارِ مَا ظَلَمْتَنِي ، إِنَّمَا كُنْ عَلَى دِينَارٍ
شَارِطْتَنِي؟ فَلِمَذَا تَنْذِرُنِي؟ إِنْ هُلَّ إِذَا أَعْطَيْتَنِي أَجْرَةَ ذَاهِرَةِ
الَّذِينَ اشْتَغَلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً أَكُونْ قَدْ غَصِّبْتُ مَالِكَ وَمَالَ رَفَقَائِكَ؟»
أَجَلَ ، إِنَّ الظَّلْمَ الظَّاهِرِيَّ مِنْ رَبِّ الْكَرْمِ فِي مُعَامَلَةِ فَعْلَتِهِ إِنَّمَا
هُوَ أَرِيَحَيَّةٌ وَتَنَاهٌ فِي الْعَدْلَةِ . فَإِنَّهُ قدْ مَنَحَ الْجَمِيعَ كُلَّ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ .
وَإِنَّمَا الَّذِي وَصَلَّ أَخِيرًا وَلَكَنْهُ اشْتَغَلَ وَفِي قَلْبِهِ مِثْلَ الرَّجَاءِ الَّذِي فِي

قلب رفقائه يحق له أن يتمتع بالملائكة ككل واحد من رفقائه لانه
اشتغل في سبيل الملائكة الى المساء .

ولكن الويل للذى يبطئ كثيراً في قدومه ! ولا أحد يعرف
اليوم ولا الوقت الحقيقى ، ولكن الذى يأتي بعد فوات الساعة ولا
يدخل الى الداخل فإنه يظل خارجا نادبا حظه في الظلمة .

ان رب البيت قد ذهب الى العرس وليس بين الخدام من
يعرف متى يعود ربهم الى البيت . ولكن طوبى للعبد الذين يأتي
سيدهم فيجدون مستيقظين ينتظرون قدومه . فان السيد نفسه
سيجلسهم الى مائدة ويخدمهم بذاته . اما اذا جاء فوجدهم نيااما ، ولم
يجد أحداً حاضراً لكي يستقبله ، او اذا جاء وطرق الباب فلم يفتح له
احد . او اذا استقبلوه من غير ان يسرحوا شعورهم وينظفوا وجوههم
ويرتبوا ثيابهم ، فدخل الى البيت ولم يجد المصايح منارة ، ولا وجد
ماء حاراً لكي يغسل رجليه ، فإنه يأخذ أولئك العبيد بآيديهم
ويجرهم الى الخارج طاردا ايام من غير ما رحمة او حنان .

فيجب اذن على كل انسان ان يكون مستعدا لان ابن الانسان
 يأتي كما يأتي اللص في الليل من غير ان يرسل خبرا عن الساعة التي
 يأتي فيها ، بل هو كالعروس الذي اخره بعض الاصحاح في الشارع
 عن الحضور الى بيته في الوقت المعين . وكان في بيته عشر عذارى
 كن ينتظرن قدومه للخروج الى ملاقاته بالمشاعل والمصايح في مقدمة

موكب العرس . وكان خمس منهن جاهلات وخمس حكيمات . فأخذت الحكيمات زيتا في آنيةهن مع مصابيحهن ووقفن يترقبن قدومه مصغيات الى سماع الا صوات ووقع الخطوات على الارض اما الجاهلات فلم يأخذن معهن زيتا ، واذ ملأن الانتظار نعسن كلهم ونمن ، وعند انتصف الليل سمع صراغاً أنسَ هودا العروس قد اقبل فاخرجن للقاءه ، اما الخمس العذارى الحكيمات فهياأن مصابيحهن وخرجن مسرعات الى الشارع لقاء العروس . واما الجاهلات فاقفن من نومهن وسائلن الحكيمات قليلا من زيتهن . فاجابت الحكيمات وقلن ، « لماذا لم تتأهبن لذلك من قبل . اذهبن الى الباعة وابتعن لكن زيتا » فركضت العذارى الجاهلات من بيت يلتمسن قليلا من الزيت ، ولكن الجميع كانوا نيا ماما فلم يفتح لهن احد ، وكانت الحوانين قد اقللت ابوابها في تلك الساعة من الليل والكلاب تنبح عليهم من كل جانب . فعدن الى بيت العروس بعد ان اعياهن السعي والتفتيش ولكنهن وجدن الابواب كلها موصدة . اما العذارى الخمس الحكيمات فكن جالسات داخلة يتمتنن ببهجة الوليمة مع العروسين . فقرعت العذارى الجاهلات الابواب صارخات ملتسمات ان يفتح لهن . ولكن ينظرن من شقوق النوافذ الى انوار العشاء العظيمة المشرقة ، ويسمعن هيقعة الصحون بعضها على بعض ، وقرقة الكؤوس ، واصوات الشبان والصبايا ،

وعزف آلات الطرب وهن يتمرّزن خارجا ولا يقدرون على الدخول . وهنالك قضين الليل كله الى الصباح في الظلمة والرياح ، وكن يرتجفن مذعورات ويرتعدن ناقمات بعد ان حرم من ملذات وليمة ذلك المساء العظيمة .

الباب الضيق

« ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ، ورحب الطريق الذي يؤدي الى الملائكة ، والداخلون منه كثيرون . ما اضيق الباب واحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه » ان الذين يجربون الدخول بعد فوات الحين لا يستطيعون ، لأن رب البيت ، متى اغلق بابه ، لا يفتح لاحد .

الى ذلك اليوم العظيم ، الى تلك الساعة الاخيرة ، اسألوا فتعطوا ، اطلبوا فتجدوا واقرعوا فيفتح لكم «لان الاجلاف المترافقين والمكابرین غير المكترين لا نقسمهم يصغون الى التوسل والتضرع المتواصلين . ولذلك فاذا كان الناس الاشرار لا يصمون اذانهم عن الاستغاء الى اصوات المظلومين فكم بالحرى يصفعي الاب الذي يحبنا الى توصلاتنا وتضرعاتنا ؟

ذهب مرة رجل عند انتصف الليل فقرع باب جاره وايقظه من

نومه قائلًا له من خارج الباب « اقرضني ثلاثة ارغفة لأن صديقالي قد مر بي في سفره وليس لي ما اقدمه له » فاحب صديقه النائم « لا تزعجي ، فاني منهوك تعبا ، ولا اريد ان انهض من فراشي في هذه الساعة ، وزد على ذلك ان اولادي نائمون في الفراش معي وهم غارقون في نومهم ، فاذا نهضت افاقوا من نومهم وتعرضوا لبرد الليل القارس » على ان جاره القارع على الباب لم يعبأ بذلك بل ظل يقرع ويصرخ مصفقا بيديه وملتمسا من جاره ان يجيئه الى ملتمسه ويقضي حاجته لانه لم يكن له صديق سواه في ذلك الجوار وكانت الساعة متأخرة من الليل وضيقه ينتظره في البيت بفارغ الصبر لانه كان تعبا جائعا . وقد ظل يقرع الباب وينادي على جاره باعلى صوته حتى هب هذا من فراشه وفتح له الباب واعطاه ما شاء من الجبن .

اجل ، الجار المتواتي طيب القلب ، ولكن رديء القلب ذاته لا يستطيع ان يفعل غير ما فعله هذا الجار . فقد كان في احدى المدن قاض ولم يكن يعبأ باحد ، فكان عنيدا مستبدا برأيه ولا يعمل الا ما يود ويهوى . وكانت تذهب اليه ارملة مسكينة في كل صباح ملتمسة عدلا ، ومع انها كانت محققة في دعواها فان القاضي كان يردها خائبة كل يوم ولا يلتفت الى دعواها . اما الارملة فكانت تحتمل احتقاره واهانته ولا تمل عن الالحاح في الطلب . غير ان القاضي وقد سئمت نفسه منها لأنها اقلقت راحتته بتوصياتها وتضرعاتها

وصلوا امها شاء اخيرا ان يتخلص منها فحكم لها واطلقها بسلام .
ييد أن الانسان لا ينبغي له ان يطلب أكثر مما له . لأن الذي
يقوم بواجباته سينال قسطه من المأكل والشرب ولكنه لن ينال
شرفًا يفوق ما هو أهل له ، ولا يحظى بخدمة افضل من الخدمة التي
يتمتع بها سواه ، ولا يمكن أن يكون له من الكرامة مثل ما لسيده .
متى عاد الخادم من بدر البذور او رعاية المواشي الى بيت سيده
لا يدعوه ليأكل معه ويجلس بجانبه الى المائدة ، بل يأمره ان يخدمه
او لا ومتى اكل السيد كفایته يعطيه العشاء الذي يخصه . وقد ضرب
يسوع مثلا في هذا الموضوع لتلاميذه عندما كانوا يتذمرون بعضهم
مع بعض في من سيكون له المقام الارفع في الملائكة ، وبعد ان فرغ
من المثل قال لهم « وهل يشكر (السيد) ذلك العبد لانه فعل ما أمر
به ؟ أنا لا اخالة يفعل ذلك . كذلك اتم اذا فعلتم ما تؤمرون بفعله
قولوا ، إنما نحن عبيدا بطالون وقد فعلنا ما كان متوجبا علينا . »

ان الانسان لا ينتفع من القول ما لم يزيشه العمل ، لأن العبرة
بالاعمال وليس بالاقوال . فكم هنالك من الناس الذين يقولون ولا
يفعلون ويعدون ثم يحتشون . ولذلك فان دينونة امثال هؤلاء
الراوغين ستكون اعظم جدا من دينونة الذين يرفضون جهارا ثم
يندمون على رفضهم ويعودون الى الطاعة ، وقد مثل يسوع على
هذا التعليم السامي بهذا المثل قال : « كان لرجل ابنيان فقال لل الكبير ،

« يا ابني ، اذهب اليوم واعمل في كرمي » فاجابه الابن قائلاً « نعم اذهب يا سيدى » ولكنه عوضا عن ان يذهب الى الكرم ذهب واتكأ في ظلال الاشجار مع الكسالى والخاملين . ثم قال الاب للابن الصغير ، « اذهب انت ايضا يا ابني واعمل مع اخيك الاكبر » فاجابه الابن قائلاً ، « انى لا اقدر ان اذهب اليوم لانى متوعك المزاج واريد ان استريح » ولكنه رجع فيما بعد الى رشده وفكرا بابيه الشيخ الذى كان عاجزا عن ان يقوم بنفسه بذلك الشغل الضروري لحياة الكرم فنلم ورجمع عن رفضه ومضى الى الكرم طارحا عنه الكسل والخمول فشعر عن ساعديه وظل يستغل حتى المساء .

وهكذا فان الاصناف لسماع كلية الملكوت لا ينفع ما لم يتزين بالعمل الصالح . لأن الموافقة بالكلام دون العمل ومن غير أن يرتد الانسان المتكلم عن اعوجاج حياته الماضية وينوي نية صالحة على تجديد قلبه وروحه — لا تجدي صاحبها شيئاً . قال يسوع « كل من يسمع كلامي هذا ويعمل به يشبهه رجلا حكيمًا بنى بيته على الصخر . فنزل المطر ، وجرت الانهار ، وهبت الرياح ، واندفعت على ذلك البيت ، فلم يسقط لأن أساسه كان على الصخر ، وكل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به ، يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الانهار ، وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت ، فسقط ، وكان سقوطه عظيمًا . »

وإنما نرى مثل هذا التعليم في مثل الزارع «خرج الزارع ليزرع زرعه ، وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق ، فاقت طيور السماء وأكلته . والبعض سقط على أرض حجرة حيث لم يكن له تراب كثير ، فلما وقعت نبت إذ لم يكن لها عمق تراب ، وعندما أشرقت الشمس احترق ، وحيث لم يكن لها أصل ييس . وبعض سقط بين الشوك ، وطلع الشوك فخنقه فلم يعط ثماراً . وبعض سقط في الأرض الجيدة ، فارتفع ونبت وأعطى ثماراً » هذا هو مثل الزارع الذي لم يفهمه الآثنا عشر فاضطر يسوع إلى أن يفسره لهم بنفسه قال « إن الزرع هو كلام الله . والذي زرع على الطريق هو كل من يسمع كلام الله ولا يفهمها فيأتي الشرير ويختطف ما قد زرع في قلبه لكي لا يؤمن ويتخلص من خططيته . والذي زرع على الأرض الحجرة هو الذي يسمع الكلمة ويقبلها من ساعته . ولكن ليس له فيه أصل وإنما هو إلى حين . فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فلما وقعت يشک . والذي زرع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة وهم هذا الدهر وخداع الغنى والملذات في الحياة تخنق الكلمة في قلبه فلا يثمر أثمار الكمال . والذي زرع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة بنقاء قلبه وصفاء نيته فيفهمها ويحفظها إلى أن تثمر أثمار الفضيلة بالصبر والثبات » ولذلك لا يكفي أن نسمع الكلمة فقط بل يجب أن نفهمها ونعمل بها وعلى الذي يقبلها أن لا يخفى لها في قلبه ويحبسها عن أخوانه

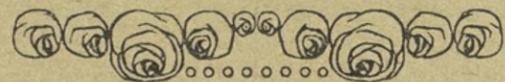
في الإنسانية . لأنه أي سراج يؤتى به ليوضع تحت المدّ أو تحت السرير ؟ أليس الأجدر بالنور أن يوضع على مكان مرتفع في وسط البيت حتى أن الداخلين إليه يبصرونه وبنوره يهتدون ولا يغترون ؟ ذلك يشبه مثل أمير أراد أن يسافر إلى كورة بعيدة فدعاه إليه عبيده الثلاثة وأعطى كل واحد منهم وزنة واحدة لكي يستغلوا بها لما يؤول إلى خيرهم وخير الناس أجمعين . وعند عودته دعاهم إليه وحاسبهم فدفع إليه العبد الأول إحدى عشرة وزنة لأنه قد تاجر بهذه الوزنة فربح بها عشر وزنات غيرها ، فاقامه الأمير وكيلًا على كل أمواله . ثم جاء الثاني ودفع إليه ست وزنات ، لأنه لم يقدر أن يربح أكثر من خمس وزنات . أما العبد الثالث فتقدم وهو يرجف خوفاً وقدم له الوزنة الواحدة التي قبلاًها ملفوفة بمنديل وقال له «يا رب ، قد علمت أنك رجل قاس تحصد من حيث لم تزرع وتحجم من حيث لم تبذّر ، فحقت وذهبت فدفنت وزنك في الأرض » فاجاب سيده وقال له « أيها العبد الشرير الكسلان ، ابني من هنك ادينك . خذوا منه الوزنة واعطوها للذي عنده الأحادي عشرة » لكن ! أليس له ما يكفيه ؟ فزاد قائلاً « لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فيؤخذ منه ما يخيل إليه انه له » وأما العبد البطل فالقوه في الظلمة الخارجيه حيث البكاء وصرير الاسنان .

إن الذي يقبل الكلمة يجب ان يضاعف ثروته بها . وأما الذي

يحظى بكل عظيم فيتركه من غير أن ينتفع أو ينفع به فاما الاجدر
ان يتزعز منه الكثير ويعطى لمن يعرف كيف يستثمره للخير . ولذلك
فان الذي لا يزيد على مالديه من الثروة الروحية يتزعز ما عنده في
الحال ويعطى لذلك الذي قد ضاعف ما قبله من الثروة والنعمة .
واما الذين لا يستخدمون الثروة الروحية ثروة الكلمة الحية وكنوزها ،
فلا يمكننا ان نسميهم قراء ونحن عليهم لأنهم في فاقة وعوز ، بل
انما هم زنادقة قد اقررت قلوبهم من حياة الایمان المنشطة ، وحراثون
كسالي متربخون عن القيام بواجباتهم ، قد دفع اليهم اخصب حقل
في هذا الوجود فلم يشأوا ان يستثمروه وينتفعوا بخيراته . لكن
طويي لذلك الوكيل الأمين الذي يحمله سيده مواظبا على عمله بامانة
واخلاص يؤدي للجميع ما يصيبهم من الحصاد بالحق والانصاف .
ولكن ان قال ذلك الوكيل في قلبه ان سيدني يبطيء في قدوته ،
فجعل يضرب العبيد والاماء ويأكل ويشرب ويسكر ، يأتي سيده
في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعلمها ويفصله من خدمته جاعلا نصبه
مع الكافرين والخائنين .

فان العبد الذي لا يعلم ارادة سيده ليعمل بها ، فيفعل عن جهل
منه ما يخالف رغبات سيده ، يجب أن يقاصر ولكن قصاصا احلى
من قصاص العبد الذي يعرف ارادة سيده ويخالفها — فان مثل
هذا يجب ان يطرد من شركة سيده ويجرد من عمله في الحال .

فان حاملي الكلمة لا عذر لهم اذا لم يكونوا في مقدمة
المطين والعاملين بوصايا الله . لان كل من يودعونه كثيراً
يطالبونه بأكثر .



اتهى الجزء الاول من حياة المسيح

ويليه الجزء الثاني وهو يبدأ بفصل «الابن الشاطر» وقد تزيد
صفحاته على صفحات الجزء الاول ٥٠ صفحة او أكثر ، وسنجعله
مجلداً أول من مجلدات الخالدات في عامها الم قبل ان شاء الله . اما
المجلد الرابع من الخالدات عن هذه السنة فيصدر في حينه وسيحمل
لقراء مئات المقالات الصغيرة المقتلة حكمة وعلم فليرقيه القراء في
حينه ولينتظروا الجزء الثاني من حياة المسيح في بحر السنة الثالثة
للالهادات ولهم شكرنا الجزيل .

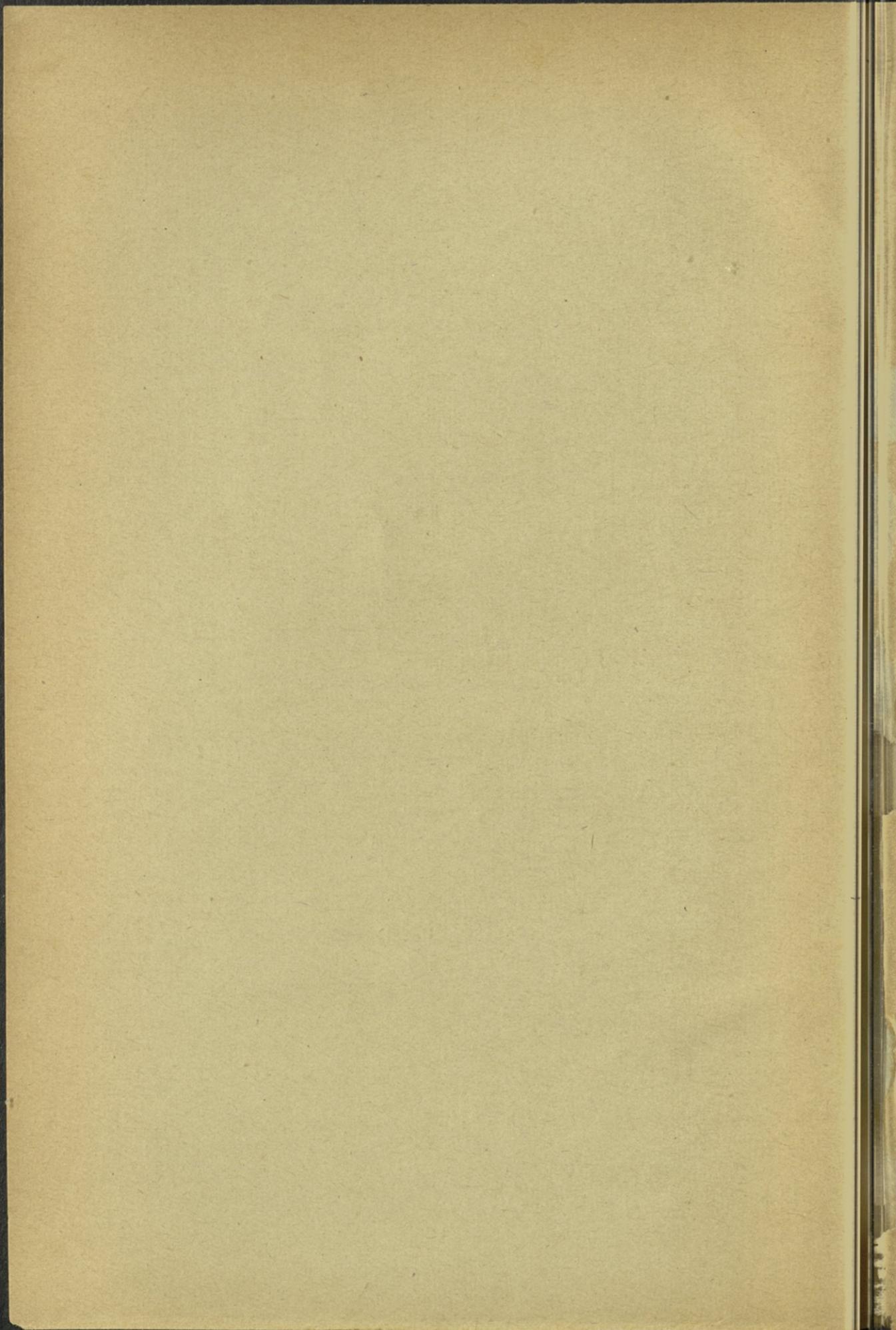


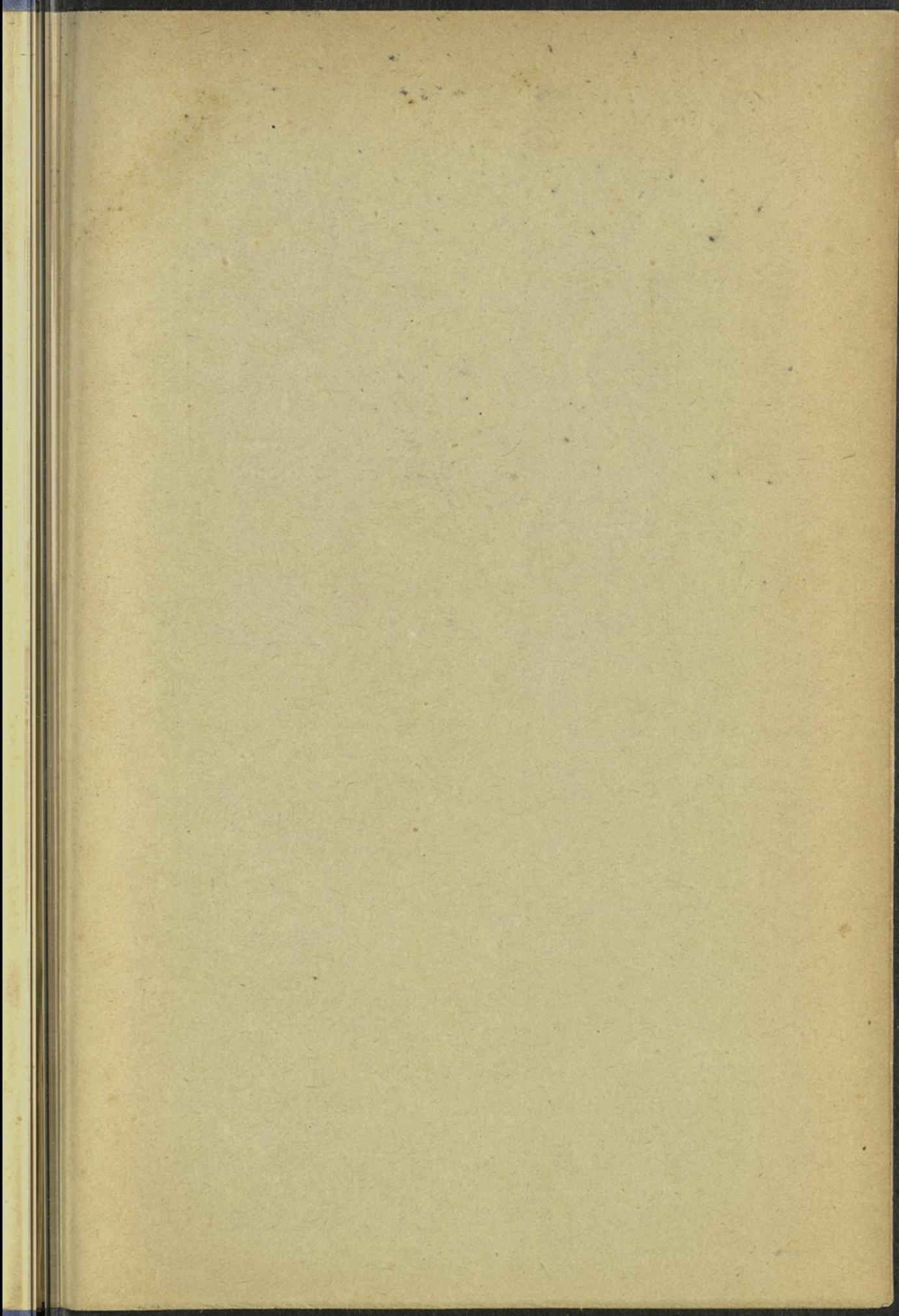
محتويات هذا الجزء

صفحة	
٥	بيان وشكراً
٧	المتمرد المصالح والابن الشاطر
٩	جيوفاني پاپيني
٤٠	كلمة المترجم
٤٦	مقدمة
٨٧	المعارة
٨٩	الثور والحمار
٩٢	الرعاة
٩٥	المجوس الحكماء
٩٩	اكتافيوس اوغسطوس
١٠٤	هيرودس الكبير
١٠٧	الابرياء
١١٠	الهرب الى مصر
١١٤	الضائع يوجد
١١٨	النجار
١٢٣	الأبوبة
٢٢٠	الجبل
٢٠٦	الفقراء
٢٠٠	كفر ناحوم
١٩٣	ملكوت الله
١٨٩	العودة من البرية
١٧١	المغرب
١٧٢	البرية
١٦٩	المعمودية
١٦٤	اليقظة
١٥٩	البشرة الاولى
١٥٥	نبي النار
١٤٨	الذى يأتي بعدي
١٤٢	الأنبياء
١٣٠	العهد القديم
١٢٧	الحقل

٢٨٣	اخيل وفريام	٢٢٣ طوبى للمساكن
٢٩٥	أحبوا	٢٢٦ طوبى للوداع
٣٠٠	الامتحان الاخير	٢٢٧ طوبى للحزانى
٣٠٥	أبانا	٢٢٨ طوبى للجيع والعطاش الى
٣٠٩	آيات عظيمة	البر
٣١٤	العميان يبصرون	٢٢٩ طوبى للرحماء
٣٢٠	جواب ليوحنا	٢٢٩ طوبى لانقىاء القلوب
٣٢٤	ياطاليتا قومي	٢٣٠ طوبى لفاعلي السلامة
٣٢٨	يقظة لعاذر	٢٣١ طوبى للمضطهدین من اجل
٣٣١	عرس قانا	البر
٣٣٦	التينة الملعونة	٢٣٢ طوبى اذا غيروكم
٣٣٩	الخبر والسمك	٢٣٥ الاح�ية الاهمية
٣٤٥	يسوع الشاعر	٢٤٥ قد قيل
٣٤٩	المهيرة	٢٥٢ اما انا فاقول
٣٥٣	الوليمة	٢٦١ لا تقاوموا الشرير
٣٥٩	الباب الضيق	٢٦٧ ضد الطبيعة
.....		٢٧١ قبل الحبة









232.9
P21hA

v.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

1000

جاء

1000

لـ

2.9
A
C